المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

# بَلاغَةُ الحَذْف

# في تفسير «التَّحرير والتَّنوير» للطاهر ابن عاشور

Eloquence of deletion in the interpretation of "Al-Tahrir wa-Al-Tanwir" by Taher Ben Ashour

رسالة مُقدَّمة لاستكمال مُتطلَّبات الحُصول على درجة الماجستير

في الدراسات الأدبية

**إعداد الطالبة**

نوف بنت محمد بن علي الصمعاني

٣٢١٢١٦٥٦٢

**إشراف الأستاذ الدكتور**

السَّيد عبدالسميع محمد حسونة

أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية والدِّراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

العام الجامعي

١٤٣٨/١٤٣٩هـ -٢٠١٧/٢٠١٨م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

# بَلاغَةُ الحَذْف
# في تفسير "التَّحرير والتَّنوير" للطاهر ابن عاشور

**إعداد الطالبة**

نوف بنت محمد بن علي الصمعاني

تقرير اللجنة:

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الأدبية

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

| أعضاء اللجنة | الاسم | المرتبة العلمية | التخصص | التوقيع |
|---|---|---|---|---|
| المشرف الرئيس | | | | |
| المشرف المساعد | | | | |
| المناقش الخارجي | | | | |
| المناقش الداخلي | | | | |
| المناقش الداخلي | | | | |

بتاريخ:

إهداء

إلى قرة عيني ونعيم قلبي:

أمي وأبي

عليهما الرحمة والسلام

إلى دار السلام

شكر وامتنان وعرفان
لمن رعى بذرة هذا البحث
وتعاهدها رغم اختلاف الفصول
حتى آتت أكلها طيبة - بإذن ربها.

أ.د علي بن إبراهيم السعود

# مُلخَّص الرِّسالة

## بَلاغَةُ الحَذفِ في تَفسيرِ "التحرير والتنوير" للطاهر ابنِ عاشور

إعداد الطالبة: نوف بنت محمد بن عليّ الصمعاني

يُعالج هذا البحثُ بلاغةَ الحذْف في تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور من زاويةِ ما تؤدِّيه من أغراض متعدِّدة وظَّفَها القرآنُ الكريم، حيثُ أبرز الجوانبَ البلاغية التي تميَّز بها ابنُ عاشور في تناوُل ظاهرة الحذف، من خلال جمْع مواضعِ الحذْفِ في تفسير ابن عاشور وتَصنيفها وتحليلِها، ونقْدِها مقارنةً بمَن سبَقَه، والكشفِ عن منهج ابن عاشور في تناوُلِ الحذْف في القرآن الكريم، ونقْد هذا المنهج. وقد تكوَّن البحث من تمهيد، تضمَّن الحديث عن الحذف البلاغي: مفهومه، وشروطه، وأغراضه، وخمسة فصول؛ أولها: بلاغة حذْف الحرف عند ابن عاشور، سواء كانت حروف المعاني أو المباني. وثانيها : بلاغة حذْف الكلمة عند ابن عاشور على مستوى حذْف المسنَد إليه كالمبتدأ والفاعل، ومستوى حذْف المسنَد كحَذْف الخبر والفِعل، ومستوى حذْف المتعلِّقات كحذف المفعول به، والمضاف والمضاف إليه، والصفة والموصوف. وثالثها: حذْف الجُملة عند ابن عاشور؛ الجملة الاسميَّة، والجملة الفعلية، وجملة الشرط، وجملة القَسَم. ورابعها: بلاغة حذْف الجُمل الكثيرة المفيدة وغير المفيدة. وخامِسها: منهج الطاهر ابن عاشور في معالجة الحذف ونقْده. وقد توصَّل البحث إلى نتائج مُتعدِّدة، من أهمها: أنَّ أغراض الحذف لا يُمكن أن تُحصَر، بل مردُّها وعمادُها الذَّوقُ وطاقةُ الفَهم والتدبر، وأنَّ الغاية الأساسية هي الإيجاز، وقد يُضاف إليه معانٍ أخرى، وأنَّ دراسة الحذْف يجب أن تكون داخلَ سِياق الآية والسورة والنص القرآني، ولا يمكن اجتزاؤها من موضعها، كما أنَّ ابن عاشور يرَى قَبول الأقوال المختلفة في الحذف الواحد ما لم تُعارِضْ نصًّا شرعيًّا. وقد أكثرَ ابنُ عاشور من الوقوف على حذْف المفعول، والبحثِ عن بواعثه وسَبْر أغواره، وتبيَّن أنَّ حذف المفعول هو أكبرُ أبواب الحذْف وأكثرُها أبعادًا ومقاصدا؛ لأنَّ المفعول إنْ حُذِف لا ينوبُ عنه شيءٌ كالمضاف عند حذْفه. وقد أكَّد على أنَّ ما يُحذَف في مقامٍ ويُذكر في نظيرِه دليلٌ على أنَّ

السِّياق هو الذي يُسلِّط الضوءَ على أهداف معيِّنة؛ بُغيةَ إبرازها، والعناية بها في مقام، وإغفالها وتجاوُزها في مقامٍ آخَرَ. ويرَى أنَّ ظاهرةَ حذْف المضاف إليه هي الأقلُّ، وعند حذفه مع "كل" يُعوَّض عنه بالتنوين، ويدلُّ حينئذ على العموم والشُّمول والإحاطة. كما شاعَ حذْفُ الموصوف في "الدنيا والآخرة" و"الحَسنة والسيِّئة"؛ لكثرةِ استعمالها وكونِها معلومةً. وكذلك يُحذف الموصوفُ إذا كانت الصفةُ مُختصَّةً به ولا تكون إلَّا له كالصافنات والرواسي والجَواري. ويَندُر حذفُ الصفة وإقامةُ الموصوف مُقامَها، إلَّا إذا دَلَّ عليها المقامُ فيُفيد التعظيمَ والتفخيمَ. ويرَى أنَّ غرَض حذْفِ الجملة الفعلية لتخييل المستقبل حاضرًا حيًّا؛ ليكونَ التأثيرُ أبلغَ والخيال واقعًا، والشك يقينًا. كما أنه إذا كان في المقْسَم به دلالةٌ على المقسَمِ عليه فحَذْفُ الجوابِ أبلغُ وأوجزُ؛ لتتَّسعَ الدلالةُ في المقسَمِ عليه. وقد كثُر حذفُ الجمل في سِياق القَصص القرآني، وذلك عائدٌ إلى المشاهِدِ المرادِ إظهارُها وتسليطُ الضوءِ عليها بما يَخدُمُ غرَضَ السِّياق، وعلى ذلك فقدْ تختلفُ الجُملُ المحذوفةُ في القِصَّة نفْسِها باختلافِ السِّياق.

# مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي أنزَل أعظمَ كِتابٍ وأوجزَه، وجعَله لنبيِّه محمد صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه آيةً ومُعجِزَة، وتَحدَّى الخلْقَ أن يأتوا بمِثله ولو كان بعضُهم لبعض ظَهيرًا، وبعدُ:

فإنَّ موقعَ الإيجازِ من البلاغة كموقِع البَلاغةِ من الإعجاز، وهو سِمةٌ من سِماتِ القرآن الكريمِ، ومنحًى من مناحي إعجازِه الذي شَهِد به المنصِفون، حتى صارَ القرآنُ في لُغته وأسلوبه وبيانِه دافعًا إلى كثيرٍ من دِراسات الإعجازِ على مرِّ الزمان.

وكم تبارَى في ميدان القرآن أربابُ العِلم والقَلَم؛ في العقيدةِ والفِقه، والتفسيرِ والنحو والبلاغة، وكلِّ ما يَصلُحُ به شأنُ الحياة، ولكلٍّ وِجهةٌ هو مُولِّيها، وفي القرآن تلتقي نواحيها.

وفي التفسيرِ برز عُلماءٌ أدْرَكوا أنَّ مِفتاحَ فَهْمه هو معرفةُ ألفاظِه، وبيانُ أساليبِه وبديعُ تركيبه، فشادُوا وأجادوا، وخَلَفهم مَن بَعدَهم فأحسنوا وزادوا، تصديقًا لقول القائل: "كم ترَك الأوَّلُ للآخِر! "، ولِمَا تَضمَّنه تَفسيرَا الكشَّاف للزمخشري والمحرَّر الوَجيز لابن عطية من عناية باللُّغة والبِلاغة، حتَّى ظُنَّ أنه لن يأتيَ بعدهما مَن يفوقهما؛ إذ سطعتْ شمسُ علَّامةِ تونس، الإمامِ الطاهِرِ ابن عاشور في تَفسيره الموسوم بـ "تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الذي اعتنَى فيه بالجانب اللُّغوي والبَلاغي عنايةً بالغةً، واستكشف مِن بواطنِه الدَّقائق، واستنبط مِن تأمُّلاته عظيمَ الحقائق، فأضافَ آراءً تُحسَبُ له مِن السوابق، منها ما خالَف فيها الأئمَّةَ بالدَّليلِ والتَّعليل والحُجَّة.

وطالَمَا تَطلَّعتِ النفْسُ إلى دِراسةٍ تُعنَى بالبلاغة القرآنيَّة؛ لأنَّها الأصلُ في الدِّراسات البَلاغيَّة، ولأنَّ القرآن منبعُ البيان المتدفِّق على مَرِّ الأزمان، يَغمُر فَيضُه كلَّ ساعٍ فيه، متأمِّلٍ لمعانِيه، وتُدرِك بركتُه الباحثَ في اكتشافِ عِبَرِه ومرامِيه، ولِمَا تكتسبُه الدراسةُ فيه مِن شَرفِ البقاءِ وعظيم الجزاء.

وممَّا لَفَت نظري في بلاغة القرآن الكريم: ظاهرةُ الحَذف؛ إذ كيف يكون إسقاطُ جزءٍ من الكلامِ أكثرَ دَلالةً وأعمقَ معنًى مِن إتمامِه؟! فهو "بابٌ دَقيقُ المِسْلك، لطيفُ المأخذ، عَجيبُ الأمر، شَبيهٌ بالسِّحْر؛ فإنَّكَ ترَى به تَرْكَ الذِّكْر أَفْصَحَ من الذِّكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِن"(١). والمتأمِّل يُلاحِظ كثرةَ الحَذْف في القرآن، حتى قال عنه ابنُ جني: "في القرآنِ زُهاءُ ألف موضِع... منها ثلاثمائة في حَذْف المضاف"(٢)، وقد أَوْلى ابنُ عاشور هذه الظاهرةَ عنايةً خاصَّةً، فقال: "إنَّك تجد في كثيرٍ مِن تراكيب القرآن حَذْفًا ولكنَّك لا تَعثُر على حذْفٍ يخلو الكلامُ مِن دليل عليه، مِن لَفْظ أو سِياق، زيادةً على جمْعِه المعانيَ الكثيرةَ في الكلامِ القليل"(٣)، وذكر أنَّ مِن أنواع الإيجاز: كثْرةَ حذْف القولِ عند عدَم الالتباس، وشيوعَ حذْف المضاف، وحذْفَ الجُمل التي يدلُّ الكلامُ على تقديرها، والإخبارَ عن أمْرٍ خاصٍّ بخبَرٍ يَعمُّه وغيرَه؛ لتَحصُلَ جملةُ فوائد: فائدة الحُكم العامِّ، وفائدة الحُكم الخاصِّ، وفائدة أنَّ هذا المحكومَ عليه بالحُكم الخاصِّ هو مِن جِنس ذلك المحكومِ عليه بالحُكم العامِّ(٤).

لذا شَمَّرتُ عن ساعد الجِدِّ لدِراسة "بلاغة الحذف في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور"، ساعيةً إلى جمْع مواضِعِ الحذفِ في تفسيره وتصنيفها وتحليلها، ونقْدها مقارنةً بِمَن سبَقَه. وإبراز الجوانِب البلاغيَّة التي تميَّز بها ابنُ عاشور في تناوُل ظاهرة الحذْف. ثم الكشف عن مَنهجِه، ونَقْد هذا المنهج.

وقد تجلت أهميةُ هذا الموضوعِ وأسبابُ اختيارِه في استمدادِه من القُرآن الكريم أوَّلًا،

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة ١٩٧١، ص١٤٦.

(٢) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤ د. ت. (٤٥٢/٢).

(٣) التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ، (١٢٢/١).

(٤) التحرير والتنوير، (١٢٢/١).

وباعتبارِه مَبحثًا مِن مباحثِ عِلم المعاني في أعظمِ تَفاسيرِ العصرِ الحديثِ.

أمَّا الدِّراسات التي سبَقتْ في هذا الموضوع، فأهمُّها: "بلاغة الحذْف في القرآن الكريم" للدكتور إبراهيم عبد الفتاح رمضان. و"الحذف بين البلاغيِّين والنحويين" لحيدر حسين عبيد. و"المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (بلاغة إيجاز الحذف) " للدكتور نوري صابر الزيباري. وجميعُها تناولتْ بلاغةَ الحذْف لدَى المفسِّرين عامَّةً على اختلاف تبوياتها، ولم تختصَّ بتفسيرٍ معيَّن ولا ببيانِ منهجٍ أو نقْد، وهذا الأمرُ الذي تفرَّد به هذا البحثُ.

وبحَمدِ اللهِ وتوفيقِه استوى هذا البحثُ على سُوقِه، وطاب جَنْيُ قِطافِه وعُذوقِه، في خَمسةِ فُصولٍ يَسبقُها تمهيدٌ، عرَضتُ فيه مفهومَ الحذْف البلاغيِّ وشُروطَه وأقسامَه وأغراضَه، ثم تعريفًا موجزًا بالطاهر ابن عاشور وتَفسيره التحرير والتنوير، ثم:

**الفصل الأول: بلاغةُ حذف الحرْف عند ابن عاشورٍ.**

المبحث الأول: بلاغةُ حذف أحرفِ المعاني.

المبحث الثاني: بلاغةُ حذف أحرفِ المباني.

**الفصل الثاني: بلاغةُ حذف الكلمةِ عند ابن عاشورٍ.**

المبحث الأول: حذفُ المسنَد إليه (حذف المبتدأ- حذف الفاعل)

المبحث الثاني: حذف المسنَدِ (حذف الخبر- حذف الفعل)

المبحث الثالث: حذف المتعلِّقات (حذف المفعول به- حذف المضاف- حذف المضافِ إليه- حذْف الصِّفة- حذْف الموصوفِ)

**الفصل الثالث: بلاغة حذف الجُملةِ عند ابن عاشورٍ.**

المبحث الأول: حذفُ الجُملة الاسميَّة.

المبحث الثاني: حذفُ الجُملة الفعليَّة.

المبحث الثالث: حذفُ جُملة الشرْط وجُملة القسَم.

**الفصل الرابع: بلاغة حذفِ الجُمَلِ الكثيرة.**

المبحث الأول: حذف الجُمَلِ المفيدة.

المبحث الثاني: حذْف الجُمل غيرِ المفيدة.

**الفصل الخامس: منهجُ الطاهرِ ابن عاشور في مُعالجةِ الحذْف ونقْده.**

المبحث الأول: منهج الطاهرِ ابن عاشور في معالجةِ الحذْف.

المطلب الأول: العزْو والتوثيقُ.

المطلب الثاني: المناقشةُ والاستدلالُ.

المطلب الثالث: الاختيار والترجيحُ.

المبحث الثاني: نقْدُ منهجِ الطاهر ابن عاشورٍ في الحذف.

ثم الخاتمة تضُمُّ أبرزَ النتائج.

ثم قائمة المصادر والمراجع، ثم الفهارس.

وقد سَلكتُ في هذا البحثِ المنهجَ الوصفيَّ التحليلي؛ إذ جمعتُ مواضعَ الحذف وصنَّفتُها، ثم قَسَّمتُها حسَبَ الفصولِ والمباحث، كاشفةً عن أبعادها البلاغيَّة مِن وجهةِ نظرِ ابن عاشور أولًا، ثم ما يُعضِّد قولَه أو يُثريه من أقوالِ غيرِه من المفسِّرين والبلاغيِّين، وختمتُها بفصل تتبُّع منهج ابن عاشور في ظاهرة الحذْف ونقْد هذا المنهج.

ولا بدَّ لكلِّ غالٍ مِن ثمَن؛ فالبحثُ في الدِّراسات القرآنية مُرتقى صعبٌ، يتطلَّب تحسُّسَ موطِئ القَلَمِ، والتعبيرَ بأقصى دِقَّةٍ، وأصحَّ عبارةٍ، وتَوخِّيَ الحذَر من الزَّلل، مع الأخْذ بحظٍّ وافرٍ مِن عُلوم اللُّغةِ واللِّسان.

إضافةً إلى ضَخامةِ حَجْم تفسيرِ "التحرير والتنوير" وطولِه، فلا أدَّعي الإحاطةَ

والاستقصاءَ، بل بذلت ما بوسعي للوقوفِ على أبرزِ المواضِع التي تجلَّت فيها بلاغةُ الحذْف، وما أُتيح لي مِن مَبْلغ الفَهم وطاقة التدبُّر.

وللرُّوح هنا وقفةٌ.. في رِسالةٍ لن تَصِلَ، أقولُ فيها:

خَطوتُ خُطواتي الأولى في هذا البحثِ تُعضِّدني دعواتُ والديّ الرَّحيمينِ، اللَّذينِ شاطراني الهمَّ، وألهماني الهِمَّة، يَستحثُّني للإنجازِ بريقُ سَعادتهما يومَ أزفُّ لهما بشرى التَّمام!

ثم إنَّه قد آن الأوان، لكن لم يَعُد الزمانُ هو الزَّمان! فاليوم تاهَتْ بُشراي.. رفَعَ اللهُ مقامَهما في فِردوس الجِنان.

لَا يَعــرِفُ الحُــزنَ إلَّا مَــن أحــاطَ بــه ... صَــمتُ الجــوابِ إذا مــا صــاحَ أُمَّــاه

كما أُقدِّم خالصَ امتناني وجمَّ اعتذاري لرَفيق دَرْبي أبي مُهنَّد على مُسانَدتِه لي ودَعْمِه المثمِر، وتقديرِه ما يَتطلَّبه البحثُ من انشغالي، ولصغيري مُهنَّد الذي قاسَمه البحثُ وقتي.

ولأختي الكُبرى قَسيمةِ الرُّوح د/نوال الغنَّام، بصَمْتها الأولى في تخصُّصي، ومنذ عَرَفتُ نفْسي وهي مُلهِمتي وقُدوتي؛ فلها كلُّ الحُبِّ وأكاليلُ الوفاء.

وفي الختامِ أُزْجي خالِصَ شُكري لأستاذي الكريم أ. د. السيد عبد السميع حسونة، على ما بذلَه من توجيهٍ وتقويمٍ وعِنايةٍ؛ فلم يَبخلْ عليَّ بوقتٍ ولا بجُهدٍ ولا أُبوَّة عِلميَّة ورُوحيَّة؛ فجزاه الله خيرَ الجزاء.

والشكرُ موصولٌ لأساتذتي في قِسم اللُّغة العربية، وفي مُقدَّمتهم عميد الكلية أ. د/ علي ابن إبراهيم السعود، الذي أخَذ بيدي منذ البَدء وإلى الخِتام، وجاد لي بوقتِه وعِلمِه وكُتُبه، ورئيس القسم: د/ إبراهيم اللاحم؛ فللجميع خالصُ الدُّعاء.

كما أتقدَّم إلى الأستاذين الفاضلينِ:

أ. د/ عوض بن معيوض الجميعي.

ود/ عبد الرحيم دفع الله العقلي.

بالشُّكر على تَفضُّلهما بقَبول مناقشةِ هذِه الرسالةِ.

وقد اجتهدتُ في هذه الرسالة ما استطعتُ، مع يَقيني أنَّ بِضاعتي مُزجاةٌ، وزادي قَليل؛ فما كان فيها مِن صَوابٍ فهو بتوفيق ربي -سبحانه-، وما كان مِن خطأٍ أو زَللٍ فهو شأنُ العملِ البَشري الملازِم للنقص، وأسأل اللهَ أن يَتقبَّل صوابَها، وأنْ يعفو عن زَلِلِها.

**ولله الحمدُ مِن قبلُ ومِن بعدُ،،**

**الباحثة**

# تمهيد

أولًا: الحذفُ البلاغيُّ:

- مفهومه.
- شُروطه.
- أقسامه
- أغراضه

ثانيًا: الطاهرُ ابن عاشور وتفسيرُه "التحرير والتنوير":

- مولدُه ونشْأته.
- تعليمُه وشيوخه.
- وفاتُه.
- تفسيرُه.

## أولًا: الحذفُ البلاغيُّ

إنَّ أبرَز ما يَلفِت الانتباهَ في لُغةِ العرب أنها لغةُ إيجازٍ، وكيف أنَّ كلمة واحدةً فيها أو جملةً واحدة تحْتوي على ألوانٍ من المعاني المختلفةِ والمتشعِّبة التي يَتلاعب خيالُها في ذِهنِ المرْءِ بسماعه لهذه اللُّغةِ، فإذا اقْتَفينا آثار خُطى هذه اللُّغة المجيدةِ منذ بدايات عَهدها في العصرِ الجاهليِّ، نجِدُ أنَّ العرب حينذاك كانوا شَديدي الحِرصِ على الإيجازِ في كلامِهم، وكانوا يَعمدون إلى حذفِ الحرف والكلمةِ والجُملة والجُمَلِ إذا وجَدوا أنَّ المعنى يتِمُّ بدونها، ويقتصِرون على الإشارةِ المعبِّرة الموحِية إلى المعنى بدلًا مِن السَّردِ المملِّ.

وهكذا كانت السَّجِية العربيةُ الأولى تَميل إلى الإيجازِ، واللقطاتِ الإيحائيةِ في تعبيرِها حين يُغْنِي التلميحُ عن التفصيلِ، وهذا ما نَلمَسُه في أمثلتِهم السائرةِ وخُطَبِهم المتقطِّعةِ إلى فواصلَ كثيرةٍ، وفي جَعْلِهم البيتَ وحدةً قائمة بنفْسِها.

وفي صدرِ الإسلام كان العربُ يجعَلون من الإيجازِ عِمادَ بلاغتِهم وركنَ فصاحتِهم، إلى جانبِ أنه طبْعٌ وسليقةٌ في اللُّغة العربيةِ، فالإيجازُ بعدَ أنْ كان رُوحًا وطبْعًا لُغويًّا صار -للأهميةِ في تزيينِ الأسلوبِ- اجتهادًا ورَوِيَّةً وتدريبًا.

وذِروةُ سنامِ البلاغةِ البشريةِ أحاديثُ الرسولِ ﷺ؛ فعن أبي هُريرةَ، قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: «بُعِثْتُ بجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وبيْنَا أنَا نائِمٌ أُتِيتُ بمَفاتِيحِ خزَائِنِ الأرضِ فَوُضِعَتْ في يَدِي»[1].

وقيل لبعضِهم: ما البلاغةُ؟ فقال: الإيجازُ. قيل: وما الإيجازُ؟ قال: حذفُ الفُضولِ،

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٣٦/٩، رقم ٧٠١٣.

وتقريبُ البعيدِ[١].

**أ- مفهومُ الإيجازِ:**

**الإيجازُ لُغةً:** وجُزَ الكلامُ وَجازةً ووَجْزًا وأوجَزَ: قلَّ في بلاغةٍ، وأوجَزَهُ: اختصَرهُ. وكلامٌ وَجْزٌ: خفيفٌ. وأمرٌ وجيزٌ وكلامٌ وجيزٌ، أي: خفيفٌ مُقتصر، قال رُؤْبَةُ:

لولا عطاءٌ مِن كريمٍ وَجْز[٢]

**الإيجازُ اصطلاحًا:** للإيجازِ تعريفاتٌ ومفاهيمُ مختلفةٌ لدى أصحاب البلاغةِ واللُّغة؛ فهو عند الرُّماني: البيانُ عن المعنى بأقلِّ ما يُمكِن من اللفظِ، وقد فسَّر الإيجازَ بقولِه: "إذا كان المعنى يُمكِن أنْ يُعبَّرَ عنه بألفاظٍ كثيرة، ويُمكِن التعبيرُ عنه بألفاظٍ قليلة، فالألفاظُ القليلة الإيجازُ"[٣].

وقد تعرَّض أبو هلالٍ العسكريُّ للإيجازِ وعرَّفه بأنه: "قصورُ البلاغةِ على الحقيقة، وما تجاوَز مقدارَ الحاجةِ فهو فضلٌ"[٤].

ويُبيِّن ابنُ الأثير حدَّ الإيجازِ بقولِه: "حدُّ الإيجازِ هو دلالةُ اللفظِ على المعنى من غير أنْ يَزِيد عليه، والتطويلُ هو ضدُّ ذلك، وهو أنْ يدلَّ المعنى بلفظٍ يكْفيك بعضُه في الدلالةِ عليه"[٥].

---

(١) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ. ص١٧٣.

(٢) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ. (٢٤٥/٥).

(٣) النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، الرماني (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م. ص٧٠.

(٤) الصناعتين، ص١٧٣.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. (٧١/٢).

**ب- أقسامُ الإيجازِ:**

**١- إيجازُ القِصَر:**

يحُدُّه الرُّماني بقوله: "بِنيةُ الكلامِ على تقليلِ اللفظِ وتكثيرِ المعنى من غيرِ حذْفٍ"(١).

وذكَر السيوطيُّ "قال بعضُهم: إيجازُ القصرِ هو تكثيرُ المعنى بتقليلِ اللفظ. وقال آخرُ: هو أن يكونَ اللفظُ بالنسبةِ إلى المعنى أقلَّ من القدْرِ المعهودِ عادةً، وسببُ حُسنِه: أنه يدلُّ على التمكُّن في الفصاحةِ"(٢).

ومثالُه قولُ اللهِ ﷻ في سورةِ البقرةِ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣)، "ويتبيَّن فضلُ هذا الكلامِ إذا قرَنْتَه بما جاء عن العربِ في معناه، وهو قولُهم: «القتلُ أنْفى للقتلِ»، فصار لفظُ القرآنِ فوق هذا القولِ؛ لزيادتِه عليه في الفائدةِ، وهو إبانةُ العدْل؛ لذِكرِ القصاص، وإظهار الغرضِ المرغوب عنه فيه؛ لذِكرِ الحياةِ، واستدعاء الرَّغبة والرهبةِ لحُكمِ اللهِ به، ولإيجازِه في العبارة؛ فإنَّ الذي هو نظيرُ قولِهم: «القتلُ أنفى للقتل» إنما هو: «القصاص حياة»، وهذا أقلُّ حروفًا من ذاك، ولبُعدِه من الكُلفةِ بالتكريرِ، وهو قولُهم: «القتلُ أنفى للقتل». ولفظُ القرآنِ بريءٌ من ذلك، وبحُسنِ التأليف وشدَّةِ التلاؤُم المدرَك بالحسِّ؛ لأنَّ الخروج من الفاءِ إلى اللامِ أعدلُ من الخروجِ من اللامِ إلى الهمْزة"(٤).

**٢- إيجازُ الحذفِ:**

الحذْفُ لُغةً: حَذْفُ الشيءِ: إسقاطُه، يقال: حذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَةِ، أي: أخذْتُ، وحذَفْت رأسَه بالسيفِ: إذا ضَربتَه، فقطعْتَ منه قطعةً(٥).

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ص٧٠.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، (١٨١/٣).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٤) الصناعتين، ص١٧٥.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار =

وحذَفَ الشيءَ حذْفًا: قطَعهُ من طرَفِه، ويُقال: حذَفه بجائزةٍ: أعطاهُ إيَّاها صِلةً له.

وحذَفَ الشيءَ: سوَّاه، يُقال: حذَف الحجَّامُ الشَّعرَ: سوَّاهُ، وحذَف الخطيبُ الكلامَ: هذَّبه وصفَّاه[١].

والحذْفُ: الرمْيُ عن جانبٍ والضربُ عن جانبٍ، والحِذْفةُ: القطعةُ مِن الثوبِ[٢].

وأما الحذْفُ اصطلاحًا: فهو عند الرُّماني "إسقاطُ كلمةٍ للاجتزاءِ عنها بدلالةِ غيرها من الحالِ أو فَحوى الكلامِ"[٣].

وقد سمَّى ابنُ جِنِّي الحذفَ شجاعةَ العربيَّةِ[٤].

وعرَّفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "هو بابٌ دقيقُ المِسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر؛ فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِّكْر أفصحَ من الذِّكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ أزيَدَ للإفادة، وتجِدُك أنطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنطِقْ، وأتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِنْ"[٥].

ويرى الزَّركشيُّ أنَّ الحذف: "إسقاطُ جزءٍ من الكلامِ أو كلِّه لدليلٍ"[٦].

**ج- شروطُ الحذفِ:**

**الشرطُ الأوَّل**: أنْ يُوجَد دليلٌ على المحذوف؛ لئلا يُؤدِّي الحذفُ إلى الجهلِ بالمقصود،

---

= العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. (١٣٤١/٤).

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة. (١٦٢/١).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (٣٩/٩).

(٣) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص٧٦.

(٤) الخصائص، لابن جني، (٣٦٢/٢).

(٥) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. ص١٤٦.

(٦) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م. (١٠٢/٣).

وقد يُعَبَّرُ عنه بالقرائن الدالةِ. وهو إمَّا دليلٌ لفظي عامٌّ، أو دليل صوتيٌّ، أو دليل إعرابيٌّ، أو دليل صناعيٌّ.

**الشرطُ الثاني**: ألَّا يكونَ المحذوفُ مؤكِّدًا للمذكور؛ إذْ الحذْفُ منافٍ للتأكيد.

والدليل الدالُّ على المحذوف:

(١) إمَّا أنْ يكون من المقالِ الموجودِ في السِّياق.

(٢) وإمَّا أن يكون من قرائن الحالِ.

(٣) وإمَّا أنْ يكون من المفاهيم الفكريةِ والاقتضاءاتِ العقليَّة، واللوازم الذِّهنية.

ومِن ذلك قولُ الله ﷻ في تصوير موقفٍ مِن أحداثِ يوم الدِّين: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾[1].

أي: قالوا: أنزلَ ربُّنا خيرًا. إنَّ إجابتَهم تقتصِر على ذِكر المفعولِ به فقط، وهو لفظُ "خيرًا"، وقد دلَّت قرينةُ المقال في سياقِه على المحذوفِ[2].

**الشرطُ الثالث**: ألَّا يكون المحذوفُ كالجزء.

**الشرطُ الرابع**: عدمُ اللَّبس: فيَنبغي ألَّا يُؤدِّي حذفُ عنصرٍ أو أكثرَ من عناصرِ الجملةِ، أو حذفُ جملةٍ أو أكثرَ من الكلام إلى اللَّبس على المخاطَب، ولذلك كان اشتراطُ القرينة اللفظيَّة أو الحالية أو العقلية المصاحِبة للكلام؛ لأن المخاطَب يُدرِك بها العناصرَ المحذوفة.

**الشرطُ الخامس**: ألَّا يكون عِوَضًا عن شيء محذوفٍ؛ فلا يجوزُ أن يُحذَفَ لفظٌ جِيء به عوضًا عن محذوف.

**الشرطُ السادس**: ألَّا يكون المحذوفُ عاملًا ضعيفًا، فلا يجوزُ حذفُ الجارِّ مع بقاء

(١) سورة النحل، الآية ٣٠.

(٢) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. ص ٤٣، ٤٤.

عمَلِه، وكذلك لا يجوزُ حذْف الجازم والناصبِ للفعلِ إلا في مواضعَ قَوِيَت فيها الدلالةُ، وكثُرَ فيها استعمالُ تلك العواملِ، ولا يجوزُ القياسُ عليها(١).

**د- أقسامُ الحذف:**

قسَّمَ ابنُ الأثير الحذفَ إلى قسمينِ:

القسم الأول: وهو الذي تُحذَفُ منه الجُمَلُ؛ وهو ينقسِم إلى قسمينِ أيضًا:

القسم الأول: حذْفُ الجُمَلِ المفيدة التي تَستقِل بنفْسها كلامًا، وهذا أحسنُ المحذوفات جميعِها، وأدلُّها على الاختصارِ، ولا تكاد تجِدُه إلا في كتابِ الله تعالى.

والقسم الثاني: حذْفُ الجُمَلِ غيرِ المفيدة.

وجُملتُهما أربعةُ أضربٍ:

الضرب الأول: حذفُ السُّؤال المقدَّرِ، ويُسمَّى الاستئنافَ، ويأتي على وجهينِ: الوجه الأول: إعادةُ الأسماء والصِّفات. الوجه الثاني: الاستئنافُ بغيرِ إعادة الأسماءِ والصِّفات.

الضرب الثاني: الاكتفاء بالسببِ عن المسبَّب، وبالمسبَّب عن السبب.

الضرب الثالث: وهو الإضمارُ على شريطة التفسيرِ؛ وهو أنْ يُحذَفَ من صدْر الكلامِ ما يُؤتى به في آخرِه، فيكون الآخرُ دليلًا على الأول.

**وهو يَنقسِم إلى ثلاثةِ أوجهٍ:**

الوجه الأول: أنْ يأتي على طريق الاستفهامِ، فتُذكَرُ الجملةُ الأولى دون الثانية.

الوجه الثاني: أن يَرِدَ على حدِّ النفيِ والإثبات.

الوجه الثالث: أن يَرِدَ على غيرِ هذين الوجهينِ؛ فلا يكون استفهامًا، ولا نفيًا وإثباتًا.

الضرب الرابع: ما ليس بسبَبٍ ولا مُسبَّب، ولا إضمارٍ على شريطةِ التفسيرِ، ولا استئنافٍ(٢).

---

(١) انظر: المثل السائر، (٢/٧٧).

(٢) انظر: المثل السائر، (٢/٧٧ - ٨٣).

**هـ- أغراضُ الحذفِ:**

يُفِيد الحذفُ معانيَ وأغراضًا لا تكون بالذِّكر، أذكُرُ منها:

١- التفخيمُ والإعظام؛ لأنَّ الإبهامَ تَذهَب النفْسُ فيه كلَّ مذهبٍ.

٢- الاختصارُ والاحتراز عن العبَثِ لظُهوره.

٣- الإيجازُ ودلالة اللفظِ القليل على المعنى الكثير.

٤- التنبيهُ على أن الزمانَ يَتقاصرُ عن الإتيان بالمحذوفِ، وأن الاشتغالَ بذِكْره يُفضي إلى تفويتِ المهمِّ. وهذه هي فائدةُ باب التحذيرِ والإغراءِ، وقد اجتمعَا في قولِه تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾[1]؛ فـ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ تحذيرٌ، بتقديرِ: ذَرُوا، ﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾ إغراءٌ، بتقديرِ: الْزَموا.

٥- التشجيعُ على الكلام، ولذا سمَّاه ابنُ جِنِّي "شجاعةَ العربيةِ".

٦- التخفيفُ؛ لكثرةِ دورانه في الكلامِ، كما في حذفِ حرفِ النِّداء في قولِه تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ﴾[2].

٧- تَنزيهُ المحذوفِ عن ذِكره تشريفًا، كما في قولِه تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨﴾[3] الآياتِ، حُذِفَ فيها المبتدأُ في ثلاثةِ مواضعَ: قبْلَ ذِكرِ الربِّ، أي: "هو رب السموات"، و"اللهُ ربُّكم"، و"اللهُ ربُّ المشرقِ... "؛ لأنَّ موسى استعظَمَ حالَ فرعون وإقدامَه على السؤالِ، فأضمَر اسمَ الله تعظيمًا وتفخيمًا.

---

(١) سورة الشمس، الآية ١٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات ٢٣- ٢٨.

٨- صِيانةُ اللِّسان عن ذِكرِهِ تحقيرًا له، وذلك نحوُ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾[١]، أي: هم، أو المنافقون.

٩- قصدُ العمومِ، نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢]، أي: على العبادةِ وعلى أمورِنا كلِّها.

١٠- رعايةُ الفاصلةِ، نحوُ: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾[٣]، أي: وما قلاك.

١١- البيانُ بعدَ الإبهامِ[٤].

(١) سورة البقرة، الآية ١٨.

(٢) سورة الفاتحة، الآية ٥.

(٣) سورة الضحى، الآية ٣.

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (٣/١٩٠ – ١٩٣) بتصرف.

# ثانياً: الطاهرُ ابنُ عاشور
# وتفسيرُه: التحريرُ والتنـوير

## ١- الطاهرُ ابن عاشور

### أ- اسمه ونسبُه ومولده:

وُلِدَ محمَّد الطاهر بن محمد بنِ محمد الطاهرِ بن عاشورٍ، الشهيرُ بالطاهرِ ابنِ عاشور، بتُونس في (١٢٩٦هـ = ١٨٧٩م) في أُسرةٍ علميةٍ عريقة تَمتدُّ أُصولها إلى بلادِ الأندلسِ. وقد استقرَّت هذه الأسرةُ في تونس بعدَ حملاتِ التنصيرِ ومحاكم التفتيشِ التي تعرَّض لها مُسلِمو الأندلسِ.

وقد حفِظَ الطاهرُ القرآنَ الكريم في السادسةِ من عُمره، كما تعلَّم اللُّغة الفرنسيةَ، والْتحقَ بجامع الزَّيتونة سنة (١٣١٠هـ = ١٨٩٢م) وعُمره آنذاك أربعةَ عشرَ عامًا، وأخَذ العلمَ عن كبارِ عُلماء عصره، الذين لمِسوا فيه نُبوغًا وسرعةَ بديهةٍ، فأَولَوه عنايةً ورعاية أثَّرت في شخصيتِه وتكوينه العلميِّ[(١)].

### ب- مسيرته الدِّراسيةُ والعلمية:

الْتحقَ الشيخ محمد الطاهرُ ابنُ عاشور بجامعِ الزيتونةِ في سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م، وثابَر على تعليمِه به حتى نال شهادةَ التطويعِ سنةَ ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م، وسُمِّي عدلًا مُبرزًا. ثم جلَس للتدريس بجامعِ الزيتونة والمدرسة الصادقيَّة من الدرجة الثانيةِ ابتداءً من سِنة ١٩٠٠م، ثم من الدرجة الأولى سنةَ ١٩٠٥م، ثم عُيِّن عضوًا مؤسِّسًا لِلَجنةِ إصلاح التعليم بجامعِ الزيتونة سنةَ ١٩١٠م.

وفي عام ١٩١١م عُيِّن عضوًا بمجلس الأوقافِ الأعلى، ثم صار عضوًا بالمحكمة العقاريةِ وقاضيًا مالكيًّا، ثم مفتِيًا مالكيًّا سنة ١٩٢٣م، فكبيرَ المفتينَ سنة ١٩٢٤م، فشيخَ الإسلامِ للمذهبِ المالكيِّ سنة ١٩٣٢م.

---

(١) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص١٥٤.

سُمِّي شيخَ الإسلامِ المالكيَّ، وهو أولُ مَن تولَّى هذا المنصبَ من المالكية، وذلك سنة ١٩٣٢م، ثم سُمِّي من جديدٍ شيخًا لجامع الزيتونة في سنة ١٩٤٥م. وفي سنة ١٩٥٦م سُمِّي عميدًا للكليةِ الزيتونيَّة للشريعة وأُصول الدِّين حتى سنة ١٩٦٠م.

وكان مُقبِلًا على الكتابة والتحقيقِ والتأليف، وأنشَأ مجلَّة السعادة سنة ١٩٥٢م، ونشَر عديدًا من البحوث في المجلَّة الزيتونية، والمنارِ، والهدى، والهدايةِ، ونورِ الإسلام، ومجلَّة مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، وشارَك في الموسوعةِ الفقهيةِ بإشرافِ وزارة الأوقافِ والشُّؤون الإسلامية بالكويتِ[1].

**ج- أبرزُ شيوخِه:**

١- محمَّد العزيز بن محمد الحبيبِ بن محمد الطيِّب بن محمد بن محمد بوعتور العثماني - نسبةً إلى عُثمان ﷺ (١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م)، وهو جدُّه لأمِّه.

٢- عمرُ بن أحمدَ بن علي بن حسنِ بن علي بن قاسمٍ المعروفُ بابن الشيخِ الماتليني البنزرتي (١٣٢٩ هـ).

٣- الشيخ سالم بوحاجب (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م).

٤- أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عثمان النجَّار (١٣٣١ هـ).

٥- محمد صالح الشريف (١٣٣٨ هـ).

٦- محمد النخلي القَيرواني (١٩٢٥ م)[2].

**د- وفاته:**

وقد تُوفِّي الطاهرُ ابنُ عاشورٍ في (١٣ رجب ١٣٩٣ هـ = ١٢ أغسطس ١٩٧٣م)، بعد حياةٍ حافلة بالعلمِ والإصلاح والتجديدِ على مُستوى تونس والعالمِ الإسلامي.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، دراسة منهجية ونقدية، د/ جمال محمود أبو حسان، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ. (٣٧/١).

(٢) مقاصد الشريعة، ص١٥٥.

## ٢- التحريرُ والتنويرُ

يُعَدُّ الطاهرُ ابن عاشور من كِبار مفسِّري القرآن الكريم في العصر الحديثِ، وقد احتوى تفسيرُه "التحرير والتنوير" على خُلاصة آرائه الاجتهادية والتجديديَّة؛ إذ استمرَّ في هذا التفسير ما يَقرُب من خمسين عامًا، وبيَّن في مقدِّمته أنَّ منهجه هو أن يقِفَ موقف الحَكَم بين طوائف المفسِّرين، تارةً لها وأخرى عليها؛ "فالاقتصار على الحديثِ المعاد في التفسير هو تعطيلٌ لفيض القرآنِ الكريم الذي ما له من نَفاد"، ووصَف تفسيرَه بأنه انتقى أفضل ما في التفاسير وفيه أحسنَ مما في التفاسيرِ.

وتفسيرُ "التحرير والتنوير" تفسيرٌ بَلاغي، كشَف فيه ابنُ عاشور عن دقائقِ البلاغة في كلِّ آية، وذكَر بعضَ الحقائق العلميَّة باعتدالٍ ودون إطالة.

ويَرى ابنُ عاشور أنَّ سبب تأخُّرِ عِلم التفسير: هو الوقوفُ عند النقْل وإن كان ضعيفًا أو فيه كذِبٌ، وترْكُ الرأيِ ولو كان صوابًا، وانتقَد بذلك كثيرًا من المفسِّرين والتفاسير.

**أ- التعريفُ بالتفسير:**

وتفسيرُه المسمَّى بالتحرير والتنوير اسْمُه الأصليُّ: "تحرير المعنى السديدِ، وتنويرُ العقل الجديدِ، وتفسيرُ الكتابِ المجيد". وضَع له تمهيدًا ذكَر فيه مرادَه منه؛ فقال: "فجعَلْت حقًّا عليَّ أن أُبدِيَ في تفسير القرآن نُكتًا لم أرَ مَن سبقني إليها، وأن أقِف موقف الحَكَم بين طوائف المفسِّرين، تارةً لها وآونةً عليها؛ فإن الاقتصارَ على الحديث المعاد تعطيلٌ لفَيض القرآن الذي ما له مِن نَفاد، ولقد رأيت الناسَ حول كلام الأقدمين أحدَ رجلين: رجلٌ مُعتكِفٌ فيما شادَه الأقدمون، وآخرُ آخِذٌ بمِعْوَلِهِ في هدْم ما مضت عليه القرونُ، وفي تلك الحالتين ضرٌّ كثير، وهنالك حالةٌ أخرى يَنجبِر بها الجَناحُ الكسير؛ وهي أن نَعمِد إلى ما أشاده الأقدمون، فنُهذِّبه ونَزيده، وحاشَا أن نَنقُضَه أو نُبيدَه، علْمًا بأنَّ غمْضَ فضْلِهم كفرانٌ للنِّعمة، وجحْد مزايا سلَفِها ليس من حميدِ خِصال الأُمة"(١).

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن =

وقد ذكَر في مقدِّمته مراجعَه في التفسير، فبدَأها بتفسير الكشَّاف، ثم المحرر الوجيز، ثم مفاتيحِ الغيب، وتفسير البيضاوي، وتفسير الآلوسيِّ، وذكَر بعضَ الحواشي على الكشَّاف، وتفسير أبي السعود والقرطبي، وتقْييد الأبيِّ على ابنِ عرفة، وتفسير ابن جرير، ودُرَّة التنزيل. ثم قال: "ولقصْدِ الاختصارِ أُعرِضُ عن العزوِ إليها"(١)، فكأنها مراجعُه الأساسية. ومما يدلُّ على أنَّ منهج ابنِ عاشور عقلانيٌّ: تقديمُه الكشَّاف على تفسير ابن جرير الطبريِّ.

ثم قال: "وقد ميَّزْت ما يَفتَحُ اللهُ لي مِن فَهمٍ في معاني كتابه وما أَجْلِبُه من المسائل العلميَّة مما لا يَذكُره المفسرون، وإنما حسْبي في ذلك عدَمُ عُثوري عليه فيما بين يدي من التفاسيرِ في تلك الآية خاصةً، ولست أدَّعي انفرادي به في نفْس الأمر؛ فكم مِن كلامٍ تُنشِئُه، تجِدُك قد سبَقك إليه مُتكلِّمٌ"(٢).

ونبَّه على أنه اختصَّ تفسيرَه بدقائقِ البلاغة التي لا تخلو منها آيةٌ من آياتِ القرآن الكريم، كلَّما لاحت له حسبَ طاقة التدبُّرِ ومَبلَغَ الفَهمِ.

وأخيرًا فهو يمتدِح كتابه بقوله: "ففيه أحسنُ ما في التفاسير، وفيه أحسنُ مما في التفاسيرِ"(٣).

**وقد أتبَع كلامه عن تفسيرِه بعشْرِ مُقدِّمات:**

الأولى: في التفسير والتأويل، وكون التفسيرِ عِلْمًا.

الثانية: في استمداد عِلْم التفسير.

الثالثة: في صِحَّة التفسير بغير المأثورِ، ومعنى التفسير بالرأيِ ونحوه.

الرابعة: فيما يَحِقُّ أن يكون غرَض المفسِّر.

---

= محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ. (٧/١).

(١) التحرير والتنوير، (٧/١).

(٢) التحرير والتنوير، (٧/١).

(٣) التحرير والتنوير، (٨/١).

الخامسة: في أسباب النزولِ.

السادسة: في القراءاتِ.

السابعة: في قَصص القرآنِ.

الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسُوره وترْتيبها وأسمائها.

التاسعة: في أنَّ المعاني التي تتحمَّلها جُمَلُ القرآن تُعتبَرُ مرادةً بها.

العاشرة: في إعجاز القرآنِ.

**ب- المنهج العامُّ للتفسير:**

يبدأُ ابنُ عاشور في تفسيره للسُّورة بذِكْرِ بعض المعلوماتِ المتعلِّقة بها؛ كوجهِ تسميتِها، ثم ينتقِلُ إلى الحديث عن مكِّية السُّورة أو مَدنيتها، وتاريخِ نزولها، ثم يَعرِضُ لأغراض السُّورة الكريمة، ثم يَذكر سبب النزولِ إنْ كان لها سبب، ثم يَذكر أحاديثَ في فضائلها، ثم يُورِدُ مقطعًا من الآيات مُتَّحدِة الفكرةِ الخاصَّة، ثم يبدأُ باللفظِ: معناه واشتقاقِه، مُستشهدًا على ذلك ما أمكَن، ثم يَذكر نظائر الآية القرآنيةِ؛ وهو تفسيرُ القرآن بالقرآن، ثم يَعرِضُ مناسبةَ الآية أو المقطعِ لِمَا قبله، وإذا كان في الآية أقوالٌ للعلماء بسَطها وناقَشها واختار ورجَّح، وقد يَعرِضُ لبعض الإشارات العلمية في بعضِ الآيات، وتَجدُر الإشارةُ أنَّ هذه الأمورَ لا يَلْزمها بالترتيب[1].

وتفسيرُ "التحرير والتنوير" يُعَدُّ في الجُملة تفسيرًا بلاغيًّا بيانًا لُغويًّا عقلانيًّا، لا يُغفِلُ المأثورَ ويهتمُّ بالقراءات. وطريقةُ مؤلِّفه فيه: أنْ يَذكر مقطعًا من السورة، ثم يَشرَع في تفسيره، مُبتدئًا بذِكر المناسبة، ثم لُغويات المقطع، ثم التفسير الإجمالي، ويتعرَّض فيه للقراءاتِ والفِقهيات وغيرها. وهو يُقدِّم عرضًا تفصيليًّا لِمَا في السورة، ويتحدَّث عن ارتباطِ آياتها.

**ج- موقفه من اللُّغة:**

وممَّا قاله المصنِّف في تقديمه لكتابِه: "وقد اهتمَمْتُ في تفسيري هذا ببَيان وُجوه الإعجاز

(١) تفسير التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، دراسة منهجية ونقدية، (١/٢٠٢).

ونُكَت البلاغة العربية وأساليبِ الاستعمال"(١).

وقال: "واهتمَمْتُ بتبْيين معاني المفردات في اللُّغة بضبْط وتحقيقٍ، مما خلَت عن ضبْطه وتحقيقِه كثيرٌ منه قواميسُ اللغة"(٢).

وهو كما قال فعلًا؛ حيثُ أضافَ إلى التفسيرِ قاموسًا لُغويًّا لمفرداتِ القرآن، ومن أمثلة ذلك: الإطنابُ في كلمة (حجارة) الإطنابَ الشديدَ(٣).

وجعَل المقدِّمة الثانيةَ في استمداد عِلم التفسير، وركَّز على أهميةِ عِلْمي البيان والمعاني ثم الشِّعر، وجعَل المقدِّمة التاسعة: في أنَّ المعاني التي تتحمَّلها جُمَلُ القرآن تُعتبَرُ مرادةً بها.

وأمَّا المقدِّمة العاشرة والأخيرة فكانت في إعجاز القرآنِ، ويقول فيها: "وإنَّ عَلاقة هذه المقدِّمة بالتفسير: هي أن مُفسِّرَ القرآن لا يُعَدُّ تفسيرُه لمعاني القرآن بالغًا حدَّ الكمال في غرَضِه ما لم يكن مُشتمِلًا على بَيان دقائقَ من وُجوه البلاغة في آيِهِ المفسَّرة بمقدار ما تسْمو إليه الهِمَّة من تطويل واختصارٍ؛ فالمفسِّر بحاجة إلى بَيان ما في آيِ القرآن من طُرق الاستعمالِ العربي وخصائص بلاغته، وما فاقت به آيُ القرآنِ في ذلك"(٤).

ومِن إطناباتِه اللغوية: كلامُه عن اشتقاق كلمةِ (الفاتحة) في قريبٍ من صفحةٍ كاملة، كما أفاض في وَجه إضافةِ (سُورة) إلى فاتحة الكتابِ بما يَقرُب من صفحةٍ أيضًا، وكذا في أصل كلمةِ (بسملة) أكثر من صفحةٍ كاملة، وفي مُتعلَّق الباء، وفي اشتقاق كلمة (اسم)، وفي الفرْق بين الحمْد والثناء والمدْح(٥).

وتتَّضح عِنايةُ ابن عاشور بظاهرة الحذْف، وينصُّ على ضوابطه بقوله: "إنَّكَ تَجِدُ فِي كَثِيرٍ

(١) التحرير والتنوير، (٨/١).
(٢) التحرير والتنوير، (٨/١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٣٤٤/١).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١٠٢/١).
(٥) انظر: التحرير والتنوير، (١٣١/١) وما بعدها.

مِنْ تَرَاكِيبِ الْقُرْآنِ حَذْفًا، وَلَكِنَّكَ لَا تَعْثُرُ عَلَى حَذْفٍ يَخْلُو الْكَلَامُ مِنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مِنْ لَفْظٍ أَوْ سِيَاقٍ، زِيَادَةً عَلَى جَمْعِهِ الْمَعَانِيَ الْكَثِيرَةَ فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ"(١).

واستعرَض في مُقدِّمته الثالثة عِنايةَ المفسِّرين بظاهرة الحذْف بقوله: "قَالَ فِي «الْكَشَّافِ» فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: «الحذْفُ والاخْتِصارُ هو نَهْجُ التَّنْزِيلِ»، قالَ بَعْضُ بَطارِقَةِ الرُّومِ لعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَمَّا سَمِعَ قولَهُ تعالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(٢): «قدْ جَمَعَ اللَّهُ في هذه الآيَةِ ما أَنْزَلَ على عيسَى مِنْ أحْوالِ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ». ومِنْ ذلِكَ قولُه تعالَى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾(٣) الْآيَةَ، جَمَعَ بينَ أمْرَيْنِ ونَهْيَيْنِ وبِشارَتَيْنِ. ومِنْ ذلك قولُه: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾(٤) مُقَابِلًا أَوْجَزَ كَلَامَ عُرِفَ عِنْدَهُمْ وهو: «الْقَتْلُ أَنْفَى للْقَتْلِ». ومِنْ ذلك قولُه تعالَى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾(٥)، ولقَدْ بسَطَ السَّكَّاكِيُّ في «الْمِفْتَاحِ» آخِرَ قِسْمِ الْبَيَانِ نَمُوذَجًا ممَّا اشْتَمَلَتْ عليه هذهِ الآيةُ مِنَ البَلاغَةِ والفَصاحَةِ"(٦).

وذَكر ابنُ عاشور أنَّ مِن أنواع الإيجاز: الحذْفَ مع عدمِ الالتباس، الذي كثُر في حذْف القولِ، وشيوع حذْف المضاف، وحذْف الجُمل التي يدلُّ الكلامُ على تقديرها، والإخبار عن أمْرٍ خاصٍّ بخبرٍ يعمُّه وغيرَه لتحصُل فوائد: فائدة الحُكم العامِّ، وفائدة الحُكم الخاصِّ، وفائدة أنَّ هذا المحكومَ عليه بالحُكم الخاصِّ هو مِن جِنس ذلك المحكومِ عليه بالحُكم العامِّ(٧).

وعدَّ ابنُ عاشور التضمينَ مِن بديعِ الإيجاز، الذي يَرجِع إلى إيجازِ الحذْف، وهو تَضمينُ

(١) التحرير والتنوير، ١/١٢٢.
(٢) سورة النُّور، الآية ٥٢.
(٣) سورة الْقَصَص، الآية ٧.
(٤) سورة الْبَقَرَة، الآية ١٧٩.
(٥) سورة هود، الآية ٤٤.
(٦) التحرير والتنوير، ١/١٢٢.
(٧) التحرير والتنوير، ١/١٢٢.

الفِعل أو الوَصْف معنَى فِعلٍ أو وصْفٍ آخَرَ، ويُشار إلى المعنى المضمَّن بذِكر شيءٍ من مُتعلِّقاته من حرْف أو معمول؛ فتفيد الجملةُ معنيينِ. ومِن هذا البابِ ما تشتملُ عليه الجُملُ الجاريةُ مَجرى الأمثال، ولأنَّه نادرٌ في كلام بُلغاء العرب عُدَّت قصيدة زهير في المعلقَّات[1].

وختامًا أقولُ: إنَّ تفسير "التحرير والتنوير" مِن أعظمِ التفاسيرِ الحديثة، ولا سيَّما في الجانبِ اللُّغويِّ والبَلاغيِّ، الذي يَستحقُّ الوُقوفَ عنده واستجلاءَ روائعِه.

(١) التحرير والتنوير، ١/١٢٣.

# الفصل الأول

# بلاغةُ حذْف الحرف عند ابن عاشورٍ

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** بلاغة حذْف أحرفِ المعاني.

**المبحث الثاني:** بلاغة حذْف أحرف المباني.

# المبحث الأول
# حذف أحرفِ المعانـي

يُحذَفُ الحرفُ في الكلام على ضربين: أحدهما: حرفٌ زائد على الكلمةِ ممَّا يَجِيءُ لمعنًى، والآخر: حرفٌ من نفْس الكلمة، وقد ذكَر ابنُ جِنِّي أنَّ الحروف إنما دخلَت الكلامَ لضَربٍ من الاختصارِ، فلو ذهبْتَ تَحذِفُها لكنتَ مختصِرًا لها هي أيضًا، واختصارُ المختصَرِ إجحافٌ به[1]. وعلى ذلك فلا يُحذَفُ الحرف إلا إذا قَوِيَت الدلالةُ عليه.

## أولًا: حذفُ حروفِ الجرِّ

يُحذَفُ حَرْفُ الجرِّ؛ لتتعدَّد الدَّلالة، ولإفادةِ أكثرَ من معنًى، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾[2].

في هذه الآيةِ حُذِفُ حرف الجرِّ بعد الفعلِ «ترغبون»؛ إذ إنه فِعلٌ مُتعدٍّ بحرف جرٍّ، وتقديرُ المحذوفِ يَحتمل حرفين: الأول: ترغبون في أن تنكحوهن، وهو يُستعمَلُ للشيء المرغوبِ. الثاني: ترغبون عن أن تنكِحوهن، ويُستعمَل للشيء غير المرغوب، وقد حُذِفَ الحرفُ ليَحتمل المعنيين؛ فقد ورَد عن ابن عباس قوله: ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، فكان الرجلُ في الجاهلية تكون عنده اليتيمةُ، فيُلقي عليها ثوبَه، فإذا فعَل بها ذلك لم يَقدِرْ أحدٌ أن يَتزوجها أبدًا، فإنْ كانت جميلةً وهَوِيَها، تَزوجها وأكَل مالَها، وإنْ كانت دميمةً

(١) الخصائص، (٢/٢٧٥) و(٢/٣٨٣).

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٧.

منَعها الرجلُ أبدًا حتى تموتَ، فإذا ماتتْ ورِثَها، فحرَّم اللهُ ذلك ونهى عنه[1].

قال ابن عاشور: "ولحذْفِ حرف الجرِّ بعدَ «ترغبون» هنا موقعٌ عظيم من الإيجازِ وإكثار المعنى، أي: ترغبون عن نكاحِ بعضهنَّ، وفي نكاحِ بعضٍ آخرَ؛ فإنَّ فِعْل (رغِب) يتعدَّى بحرف (عن) للشيءِ الذي لا يُحَبُّ، وبحرفِ (في) للشيء المحبوبِ؛ فإذا حُذِفَ حرفُ الجرِّ احتمل المعنيين إنْ لم يكن بينهما تنافٍ"[2].

وبيَّن الزمخشري المعنى بقوله: "في أن تَنكِحوهن لجَمالِهنَّ، وعن أن تَنكِحوهن لدَمامتهنَّ"[3].

وقال الرازيُّ: "هذا يَحتمل الرغبةَ والنَّفرة؛ فإنْ حمَلْته على الرغبة كان المعنى: وترغَبون في أنْ تنكِحوهن، وإنْ حمَلْته على النفرةِ كان المعنى: وترغبون عن أن تنكِحوهن لدَمامتِهنَّ"[4].

قالت عائشةُ رضِيَ الله عنها: وقول الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ**﴾[5] هي رغبةُ أحدِكم يتيمتَه -وقال مسلم: عن يَتيمتِه- التي تكون في حجْره حين تكون قليلةَ المال والجَمال، فنُهُوا أن يَنكِحوا ما رَغِبوا في مالها وجمالها من يتامى النِّساء إلا بالقسطِ؛ من أجلِ رَغبتِهم عنهنَّ. زاد مسلم: إذا كنَّ قليلاتِ المال والجمال، وقال البخاري في النكاحِ: فكما يَترُكُونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أنْ يَنكِحوها إذا رَغِبوا فيها، إلا أن يُقسِطوا لها ويُعطوها حقَّها الأوفى في الصَّداق[6].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. (٢٦٤/٩).

(٢) التحرير والتنوير، (٢١٣/٥).

(٣) تفسير الزمخشري= الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ. (٥٧٠/١).

(٤) التفسير الكبير =مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ. (٢٣٤/١١).

(٥) سورة النساء، الآية ١٢٧.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. (٤١٩/٥).

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾(١).

قال ابن عاشور: "الحالةُ التي دلَّ عليها الاستفهامُ المستعمَلُ في التعجيبِ تُؤذِنُ بحالةٍ مَهولة للمشركين، وتُنادي على حَيرتِهم، ومحاولتهم التملُّصَ من العقاب بسلوكِ طريقِ إنكارِ أنْ يكونوا أُنذِروا، مما دلَّ عليه مَجِيءُ شهيدٍ عليهم، ولذلك حُذِفَ المبتدأ المستفهَمُ عنه، ويُقدَّرُ بنحو: كيف أولئك، أو كيف المشهَد، ولا يُقدَّرُ: بكيف حالهم خاصةً؛ إذ هي أحوالٌ كثيرة ما منها إلا يَزيده حالُ ضِدِّه وضوحًا؛ فالناجي يَزداد سرورًا بمشاهدة حالِ ضدِّه، والموبقُ يَزداد تحسُّرًا بمشاهَدة حالِ ضدِّه، والكلُّ يقوى يقينُه بما حصل له بشَهادة الصادقين له أو عليه، ولذلك لما ذُكِرَ الشهيدُ لم يُذكَر معه مُتعلقه بـ(على) أو اللام؛ ليَعُمَّ الأمرين"(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾(٣).

في الآية حذفُ حرف الجرِّ (عن)، والتقدير: ولا يسألُ حميمٌ عن حميمٍ، قال ابن عاشور: "ومعنى ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ لشدَّةِ ما يَعتري الناسَ من الهولِ؛ فمِن شدَّة ذلك أنْ يَرى الحميمُ حميمَه في كربٍ وعَناء، فلا يتفرَّغ لسؤاله عن حالِه؛ لأنه في شاغلٍ عنه، فحُذِفَ مُتعلِّق «يَسْأَلُ»؛ لظُهورِه من المقام ومِن قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾(٤)، أي: يُبصَّرُ الأخلَّاءُ أحوالَ أخلَّائهم من الكرب، فلا يَسأل حميمٌ حميمًا، قال كعب بن زهير:

وقـــال كـــلُّ خليـــلٍ كنـــتُ آمُلُـــه ... لا أُلْهِيَنَّـــك إني عنـــك مشْـــغولُ(٥)

والحميم: الخليل الصدِيق.

---

(١) سورة النساء، الآية ٤١.

(٢) التحرير والتنوير، (٥/٥٧).

(٣) سورة المعارج، الآية ١٠.

(٤) سورة المعارج، الآية ١١.

(٥) ديوان كعب بن زهير، تحقيق: د/ دوريش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص١٣٢.

والمعنى: لا يسألُ حميمٌ عن حميمٍ؛ بحذف حرف الجرِّ"(١).

وقال الواحدي: المعنى: "لا يَسْأل عن حميمِه، فيُحذَفُ الجارُّ، ويُوصَلُ الفعلُ"(٢).

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾(٣).

جاءت هذه الآيةُ بعد النذير والوعيدِ والتهديد بالبُشرى للمؤمنين الذين صدَقوا وأحسَنوا واتَّبعوا ما أُمِرُوا به، وعادةُ القرآن تعقيبُ النِّذارة بالبشارة، والعكسُ، وهذا القول يَحتمل أن يكون في الآخرةِ تبعًا لسياقِ الآيات السابقة، وقد يكونُ عند موتِ المؤمن في أقوالٍ أخرى، فالنفْسُ المذكورة راضيةٌ بما أُعطِيَت من جزاءٍ أوفى، ومرضيًّا عنها لما أحسنت، مُتفضَّلًا عليها بمزيد الإنعامِ، وحذفُ حرف الجرِّ (عن) دلالةٌ على إفاضة الهِبات والعطايا أكثر ممَّا رضِيَ به المعطَى.

يقول ابن عاشور: "والمرضيةُ: اسم مفعولٍ، وأصله: مَرضيًّا عنها، فوقَع فيه الحذفُ والإيصال، فصار نائبَ فاعلٍ بدون حرف الجرِّ، والمقصودُ من هذا الوصفِ زِيادة الثَّناء، مع الكِناية عن الزيادة في إفاضة الإنعامِ؛ لأنَّ المرضيَّ عنه يَزيده الراضي عنه من الهبات والعطايا فوق ما رضِيَ به هو"(٤).

وبلاغةُ القرآن تقْتضي ذِكْرَ حرفِ الجرِّ في موضعٍ، وحذْفَه في موضعٍ آخرَ مُشابهٍ؛ لاختلاف السياق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٥)، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(٦)؛ فقد اطرَدَ

(١) التحرير والتنوير، (٢٩/١٥٩-١٦٠).

(٢) التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ. (٢٢/٢١٤).

(٣) سورة الفجر، الآيتان ٢٧- ٢٨.

(٤) التحرير والتنوير، (٣٠/٣٤٣).

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٦٣.

(٦) سورة النحل، الآية ٦٥.

حذفُ حرف الجرِّ (من) بعدَ قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، باستثناءِ الآية الواردة في العنكبوتِ[1]؛ ففي (النحل) كان السياقُ في ذِكْر دلائل وَحدانية اللهِ -سُبحانه- وتفرُّدِه بالخلْق، وتبِعَها تذكيرٌ بالنِّعم لغرض الامتنانِ، وفي العنكبوتِ كان السياقُ للتقرير؛ لأن المشركين لا يدَّعون أنَّ الأصنام تُنزِلُ المطرَ، فقامت بذلك الحُجة عليهم.

قال ابن عاشور: "ولما كان سياقُ الكلام هنا في مساقِ التقرير كان المقامُ مقتضيًا للتأكيد بزيادةِ (من) في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾؛ إلجاءً لهم إلى الإقرارِ بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامِهم؛ فلذلك لم يكن مُقتضًى لزيادةِ (من) في آية البقرةِ... وقد أشار قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ إلى موت الأرضِ، أي: موت نباتِها يكون بإمساكِ المطرِ عنها في فصول الجفافِ، أو في سنين الجدْب؛ لأنه قابَلَه بكون إنزال المطرِ لإرادته إحياءَ الأرضِ بقوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾"[2].

وقد بيَّن الخطيب الإسكافيُّ سببَ هذا الاختلاف من قبْلُ بقولِه: "إنَّ التقرير يُؤثَرُ فيه من تحقيقِ الكلام ما لا يُؤثَر في غيرِه، والظروف إذا حُدَّت حُقِّقَت، تقول: سِرتُ اليومَ، فإن قلتَ: من أولِه إلى آخره، كان الحدُّ تحقيقًا؛ لأنه قد يُطلَقُ لفظ (اليوم) وإن ذهبَت ساعة أو ساعتان من أوَّلِه، وإن بقِيَت ساعة أو ساعتان من أوَّله، وإن بقِيَت ساعة أو ساعتان من آخِره، فإذا وقَع الحدُّ زال هذا الوهمُ. وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾[3] تحقيقٌ؛ لأنه محدودٌ بـ(مِن)، وخُصَّ به التقريرُ؛ لأنه من أماكنه، وقوله تعالى في الآيتين الأخريين: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[4] ليس فيه تقريرٌ كما كانت الأولى، وإن كان يُؤدِّي معنى المحدودِ، إلا أنه ليس له لفظُه؛ فاختلَف الموضعان لِمَا ذكرْتُ"[5].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، (١/١٥٤).

(٢) التحرير والتنوير، (٢١/٢٩).

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٦٤، سورة النحل، الآية ٦٥.

(٥) درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، =

ويُؤَكِّد هذ المعنى البقاعيُّ؛ حيث يرى أنَّ حذْفَ حرف الجرِّ كان في سياقِ تثبيت دعائم الدِّين، ولأن الإحياءَ بالماء لا يزال أثَرُه مستمِرًّا في شجرٍ أو زرع، في أيِّ مكان، فصار المعنى بحذف الجارِّ أبلغَ(١).

## ثانيًا: حذف حرفِ النِّداء

أصلُ حروف النِّداء وأكثرُها استعمالًا هو "يا"، وهو مُشترَك لنِداء القريب والبعيدِ، ولذلك لا يُقدَّر غيرُه عند حذْف حرفِ النِّداء(٢). وقد ورَد النداءُ كثيرًا في القرآن، واستَعمل "يا" دونَ غيرِها من حروف النِّداء، واطَّرد حذْفُها في نداء الرَّبِّ -تبارك وتعالى- في جميع الآيات مُضافةً إلى "نا"، أو إلى ياءِ المتكلِّم ما عدا موضعين: هما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾(٣)، وقوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾(٤)، وظاهرٌ أنَّ سياقَ الآيتين هو شَكوى الرسولِ من إعراض قومِه عن القرآن وعن الإيمانِ، والمقامُ يقْتضي الإطنابَ؛ فلذلك ذُكِرت(٥).

وذكَر الزركشيُّ علَّة حذفِ "يا" النداء مع الدُّعاء بقوله: "وكثُرَ ذلك في نداءِ الربِّ سُبحانه، وحكمةُ ذلك: دلالته على التعظيم والتنزيهِ؛ لأنَّ النداء يَتشرَّب معنى الأمْر؛ لأنك إذا قلتَ: يا زيدُ، فمعناه: أدْعوك يا زيدُ، فحُذِفَت "يا" من نداء الربِّ؛ ليَزول معنى الأمر ويتمحصَّ التعظيمُ والإجلالُ"(٦).

---

= دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى. (١٠٢٥/١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٩١/١١).

(٢) التحرير والتنوير، (٣٢٤/١).

(٣) سورة الفرقان، الآية ٣٠.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٨٨.

(٥) بلاغة الحذف في القرآن الكريم، د/ إبراهيم عبد الفتاح رمضان، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ. ص٨٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن، (٢١٣/٣).

**وقوله تعالى:** ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

في الآية حُذِفَ حرف النِّداء من المنادى (رب)، والتقديرُ: يا ربِّي، و"حُذِفَت ياء المتكلِّم تخفيفًا، وهو كثيرٌ في المنادى المضافِ إلى الياء"[2].

ويرى ابن عاشورٍ أن " (اللهم) في كلامِ العرب خاصٌّ بنداء اللهِ –تعالى– في الدعاءِ، ومعناه: يا اللهُ. ولما كثُرَ حذْف حرفِ النِّداء معه، قال النُّحاة: إنَّ الميم عِوَضٌ من حرف النداءِ، يُريدون أنَّ لحاقَ الميمِ باسم (الله) في هذه الكلمة لما لم يقَعْ إلا عند إرادة الدُّعاء، صار غنيًّا عن جلْب حرف النداءِ اختصارًا، وليس المرادُ أن الميمَ تُفِيد النداءَ. والظاهرُ أن الميمَ علامةُ تنوينٍ في اللغة المنقولِ منها كلمةُ (اللهم) من عِبرانية أو قَحطانية، وأنَّ أصلَها (لاهم)، مرادفُ (إله).

ويدلُّ على هذا أن العربَ نطَقوا به هكذا في غير النداءِ، كقول الأعشى:

كَـــــدَعْوَةٍ مِـــــن أبِي رَبَـــــاحٍ يَســـــمَعُها اللَّهُـــــمُّ الكبِـــــيرُ[3]

وأنهم نطَقوا به كذلك مع النداءِ، كقول أبي خِراش الهذليِّ:

إنِّي إذا مـــــا حـــــدَثٌ ألَمَّـــــا أقـــولُ يـــا اللَّهُـــمَّ يـــا اللَّهُمَّـــا[4]

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٣٨/١٣).

(٣) البيت من بحر الرجز، وفي الديوان:

**كحَلْفَـةٍ مـــن أبـي رِيـــاحٍ يَسْمَعُهـا لاهُـــــهُ الكُـبَـار**

انظر: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م، ص٢٨٣.

(٤) البيت في شرح أشعار الهذليين:

**إنـــي إذا مـــا لمـــمٌ ألمـــا أقـــول يـــاللـــهـــم ياللـــهمـــا**

انظر: شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ص١٣٤٦.

وأنهم يقولون: "يا اللهُ" كثيرًا. وقال جمهور النُّحاة: إن الميمَ عِوَضٌ عن حرف النداءِ المحذوفِ، وإنه تعويضٌ غير قياسيٍّ، وإن ما وقَع على خلافِ ذلك شذوذٌ. وزعَم الفرَّاء أنَّ "اللهم" مُختزَلٌ من اسم الجلالة وجملةٍ أصلُها: (يا الله أُمَّ)، أي: أقبِلْ علينا بخيرٍ، وكلُّ ذلك تكلُّف لا دليلَ عليه"[1].

ومِن الآيات التي حُذِفَ فيها حرف النداءِ **قوله تعالى**: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

لما عاد موسى عليه السلام مِن ميقات ربِّه تعالى، وكان قد أخلَف في قومه أخاه هارونَ عليه السلام، وجَدهم قد عبَدوا العِجلَ، فغضِبَ عليهم ووبَّخهم، وأخَذ برأسِ أخيه، فناداه مُذكِّرًا إيَّاه برَحِمِ الأم استعطافًا: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾، فـ (ابن): منادى حُذِفَ حرف ندائه، والتقديرُ: يا ابنَ أُمَّ، وقد حُذِفَ حرف النداءِ؛ "لإظهارِ ما صاحَب هارونَ من الرعبِ والاضطراب، أو لأنَّ كلامه هذا وقَع بعدَ كلامٍ سبَقه فيه حرفُ النداء، وهو المِحكيُّ في سورةِ (طه): ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي﴾[3]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾[4]؛ فهما كلامانِ مُتعاقبان، ويَظهرُ أنَّ المِحكيَّ هنا هو القولُ الثاني، وأن ما في سُورة (طه) هو الذي ابتدَأ به هارونُ؛ لأنه كان جوابًا عن قول موسى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾[5]"[6].

ويرى البقاعيُّ أن الحال تقْتضي الإيجازَ؛ لذا حُذِفَت "يا" النداء وياءُ الإضافةِ[7]، وموسى

(١) التحرير والتنوير، (٢١٢/٣).
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٠.
(٣) سورة طه، الآية ٩٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٠.
(٥) سورة طه، الآيتان ٩٢، ٩٣.
(٦) التحرير والتنوير، (١١٦/٩ - ١١٧).
(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨٩/٨).

حالَ إمساكه هارونَ -عليهما السلامُ- يقْتضي قُربَه منه، فلا حاجةَ لـ (يا) النداء، ولأنَّ هارون عليه السلام يُريد استمهالَ موسى عليه السلام عن الغضبِ؛ حتى يُبيِّن له ما حدَث، فيَعذِره.

## ثالثًا: حذفُ حروف النَّفي

يَشيع حذفُ حرف النفيِ بعدَ لام التعليلِ -ظاهرةً ومُقدَّرة- إذا اتَّضح المعنى، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

هذه الآيةُ جاءت في سياقِ محاورة طائفةٍ من أهل الكتاب بعضِهم بعضًا، وقد حُذِفَ حرف النفيِ بعد لام التعليلِ، والتقدير: "لئلَّا يُؤتَى أحدٌ مثلَ ما أُوتِيتم"، وحذْفُ حرف النفيِ بعد لام التعليلِ -ظاهرةً ومقدَّرة- كثيرٌ في الكلامِ[2].

**وقال تعالى:** ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

قال ابن عاشور: "المعنى: لا تجْعَلوا اسم الله مُعرَّضًا لأنْ تَحلِفوا به في الامتناعِ من البِر والتقوى، والإصلاح بين الناس؛ فالأيمانُ على ظاهرِه، وهي الإقسامُ، واللامُ متعلِّقة بـ ﴿عُرْضَةً﴾، و﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ مفعولُ الأيمانِ، بتقديرِ (لا) محذوفةٍ بعد (أن)، والتقديرُ: ألَّا تَبرُّوا"[4].

**وقال الله تعالى:** ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٧٣، ٧٤.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨١/٣).

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٢٤.

(٤) التحرير والتنوير، (٣٧٩/٢).

(٥) سورة النساء، الآية ١٧٦.

قال ابن عاشور: "تأوَّل البصريون الآيةَ على تقدير مضافٍ يدلُّ عليه السياقُ، هو المفعولُ لأجله"(١)، قال الزمخشري: " ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعولٌ له، ومعناه: كراهةَ أن تضِلوا"(٢)، "ويرى بعضُ المفسِّرين أنَّ ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعولًا به لـ﴿يُبَيِّنِ﴾، فيكون المعنى: أن اللهَ فيما بيَّنه من الفرائض قد بيَّن لكم ضلالَكم الذي كُنتم عليه في الجاهلية"(٣).

ويَرُدُّ ابن عاشور هذا الرأيَ بقوله: "وهذا بعيدٌ؛ إذ ليس ما فعَلوه في الجاهلية ضلالًا قبْل مَجِيء الشريعة؛ لأن قسمةَ المال ليست من الأفعالِ المشتملة على صِفةِ حَسنٍ وقبيحٍ بيِّنة، إلا إذا كان فيها حِرمانٌ لمن هو حقيقٌ بالمؤاساة والمبرَّة، ولأن المصدرَ مع (أنْ) يتعيَّن أن يكون بمعنى المستقبَل، فكيف يصِحُّ أنْ يُراد بـ ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ ضلالًا قد مضى؟! "(٤)

ويرى ابن عاشور أن "قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ امتنانٌ، و﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ تعليلٌ لـ﴿يُبَيِّنِ﴾، حُذِفَت منه اللامُ، وحُذِفَ الجارُّ مع (أنْ) شائعٌ، والمقصود التعليلُ بنفيِ الضلَال لا لوقوعِه؛ لأن البيانَ يُنافي التضليلَ، فحُذِفَت (لا) النافية، وحذْفُها موجودٌ في مواقعَ من كلامهم إذا اتَّضح المعنى، كما ورَد مع فِعلِ القَسمِ في نحو:

..... فَآلَيْنَا عليهَا أنْ تُباعَا(٥)

أي: ألَّا تُباع، وقوله:

---

(١) التحرير والتنوير، (٦٧/٦).

(٢) الكشاف، (٥٩٩/١).

(٣) التحرير والتنوير، (٦٧/٦).

(٤) التحرير والتنوير، (٦٧/٦-٦٨).

(٥) البيت للقطامي، وصدره:

**عـرفنا مـا يـرى البصـراءُ فيها فـآلينـا عليـهـا أنْ تُبـاعَـا**

ديوان القطامي، دراسة وتحقيق: د. محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص٤٦٢.

آلَيْــتُ حَــبَّ العِــرَاقِ الــدَّهْرَ أَطْعَمُــهُ[1] .....

وهذا كقول عمرو بن كُلثوم:

نَــــزلْتُمْ مَنــــزِلَ الأضْــــيافِ مِنَّــــا فعَجَّلْنَــــا القِــــرَى أنْ تَشــــتُمُونَا[2]

أي: ألَّا تَشتُمونا بالبُخل"[3].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[5].

ورَدت هاتانِ الآيتان في سورة التوبةِ بتشابُهٍ يدلُّ على تأكيدِ معنًى وإيضاحِه، والعنايةِ بأمرٍ يجِب الحذرُ منه، فيُخاطِب الله -سُبحانه- النبيَّ ﷺ والمؤمنين ناهيًا لهم عن الإعجاب بمِنَّة الله على المنافقين بالأموال والأولاد، وهم الذين عادَوا النبيَّ وآذَوه، وفي هذا تسليةٌ للمؤمنين، وبيانُ أنَّ هذه العطايا وإنْ ظهَرت في صُورة النِّعم، فإنها عذابٌ ووبالٌ عليهم؛ فهم دائمو الخوفِ عليها؛ لعِلْمهم سوءَ بواطنِهم، وخوفِهم انكشافَ أمْرِهم وعقوبةَ الله.

وذكَر ابن عاشور أوجهَ الاختلاف بيْن الآيتين نُورِدُ منها ما يتعلَّق بـ (لا) النافية؛ ففي الأولى عطَف الأولادَ على الأموال بإعادةِ حرف النفيِ، وفي الثانية عطَفها بدونه؛ "ووجْهُ ذلك: أنَّ ذِكرَ الأولاد في الآية السالفة لمجرَّد التكملةِ والاستطرادِ؛ إذ المقام مقامُ ذمِّ أموالهم؛ إذ لم

---

(١) البيت للمتلَمِّس، وعجزُه:

**آلَيْـتُ حَـبَّ العِـرَاقِ الدّهْـرَ أَطْعَمُـهُ والحَـبُّ يَأْكُلُـهُ فـي القـريـةِ السُّـوسُ**

انظر: جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ص٤٤٦.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٧٣.

(٣) التحرير والتنوير، (٦٧/٦)، والبيت في جمهرة أشعار العرب، ص٢٩٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٥٥.

(٥) سورة التوبة، الآية ٨٥.

ينتفِعوا بها، فلمَّا كان ذِكرُ الأولاد تكملةً كان شبيهًا بالأمر المستقلِّ، فأُعِيد حرفُ النفيِ في عطْفه، بخلافِ مقام هذه الآيةِ؛ فإنَّ أموالَهم وأولادهم معًا مقصودٌ تحقيرُهما في نظَر المسلمين"(١). وأظهَرَ في الأولى لامَ التعليلِ، وحذَف (أن)، وفي الثانيةِ أظهَرَ (أن) دون لامِ التعليلِ، "وحذْفُ حرف الجرِّ مع (أن) كثيرٌ، وهنالك قُدِّرت (أنْ) بعدَ اللامِ، وتقديرُ (أن) بعد اللامِ كثيرٌ. ومن محاسن التأكيدِ الاختلافُ في اللفظِ، وهو تفنُّن"(٢).

وللرازيِّ رأيٌ في هذا الاختلاف؛ حيث يقول: "الفائدة فيه التنبيهُ على أنَّ التعليل في أحكامِ الله تعالى مُحالٌ، وأنه أيْنما ورَد حرف التعليلِ فمعناه (أنْ)"(٣).

ويَذكر السَّمينُ الحلبي أنَّ حذْف اللامِ يدلُّ على "النهيِ عن الإعجاب بهما مُجتمعينِ، وعند ذِكْرَها أنه نهيٌ عن كل واحدٍ، وعلى ذلك فالنهيُ عنهما مجتمعينِ ومنفردين. وفي الفرْق بين ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾ و﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: أنَّ اللام مُشعِرةٌ بالغلَبةِ، ومفعول الإرادةِ محذوفٌ، أي: إنما يُريد الله اختبارهم بالأموال والأولاد، وأتى بـ (أن) لأنَّ مصَبَّ الإرادة التعذيبُ، أي: إنما يُريد اللهُ تعذيبَهم؛ فقد اختلَف متعلِّق الإرادةِ في الآيتين"(٤).

ويرى بعضُ المفسِّرين أن الآيةَ الأولى في قومٍ والثانيةَ في آخرين؛ "إذ كان أحدُهما خبرًا عن قوم مُعرِضين لزيادةِ إنعام الله عليهم، والأخير خبرًا عمَّن انقطَعت أعمالُهم وبلَغت نِعمةُ الله عليهم غايةً لا مَزيد فيها لهم، واللهُ يُريد تعذيبَهم بذلك بعد كُفرِهم ومقامِهم على نفاقِهم"(٥).

## رابعًا: حذفُ حروف العطْف

يَكثُر حذْف حرفيِ العطف الواوِ والفاء في المحاوَرات؛ لأنها تقْتضي تَكرير أفعالِ القول؛

(١) التحرير والتنوير، (٢٨٧/١٠).

(٢) التحرير والتنوير، (٣٨٧/١٠).

(٣) تفسير الرازي، (١١٧/١٦).

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. (٩٤/٦).

(٥) درة التنزيل وغرة التأويل، (٧١٧/٢).

كراهيةَ تكرير العاطفِ، فاطَّرد حذْفُها، وهو كثيرٌ في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

قال ابن عاشورٍ: "قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ هذا جوابُ الملائكة عن قولِ الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فالتقديرُ: فقالوا، على وزْن قولِه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾(٢)، وفُصِلَ الجواب ولم يُعطَفْ بالفاء أو الواو؛ جريًا به على طريقةٍ مُتَّبعة في القرآن في حكايةِ المحاورات، وهي طريقةٌ عربيَّة، قال زهير:

قِيـــلَ لهُـــمْ أَلَا ارْكَبُـــوا أَلَاتَـــا  قـــالُوا جمِيعًـــا كلُّهُـــمْ آلَافَـــا(٣)

أي: فارْكَبوا، ولم يقل: فقالوا.

وقال رُؤبة بن العجَّاج:

قالَـــتْ بنَـــاتُ العَـــمِّ يـــا سَـــلْمَى وإِنْ  كـــانَ فقِـــيرًا مُعْـــدَمًا قالَـــتْ وإِنْ(٤)

وإنما حذَفوا العاطفَ في أمثاله كراهيةَ تَكرير العاطف بتكريرِ أفعال القولِ؛ فإن المحاوَرة تقتضي الإعادةَ في الغالب، فطَردوا البابَ، فحذَفوا العاطف في الجميعِ، وهو كثيرٌ في التنزيل، وربما عطَفوا ذلك بالفاء؛ لنُكتةٍ تقْتضي مخالفةَ الاستعمال، وإن كان العطفُ بالفاء هو الظاهرَ والأصلَ، وهذا مما لم أُسْبَقْ إلى كشْفه من أساليب الاستعمالِ العربيِّ"(٥).

**وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ**

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: د/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي- القاهرة، ص٢٤٢٧.

(٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. (١٤/٩).

(٥) التحرير والتنوير، (٤٠١/١).

إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[1].

قال ابن عاشور: "تُحذَفُ الفاء في مثلِه من المقاوَلات والمحاوَرات للاختصارِ"[2].

**وقوله تعالى:** ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[3].

قال ابن عاشورٍ: "وهذا جوابٌ عن النداءِ الذي نُودوا به من قِبَلِ الله تعالى، فحَكى مقالَهم على طريقةِ حكاية المحاوَرات بحذْف حرف العطْف"[4].

ومما يُلفِتُ النظرَ آيتانِ في سورة الزُّمَرِ، ذُكِرَت الواوُ في واحدةٍ، وحُذِفَت من الأخرى؛ هما قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[6]؛ فالواوُ التي سبَقت (فُتِحَت) استرعَتْ اهتمامَ كثيرٍ من المفسِّرين والبلاغيين، فاختلَفت آراؤهم وتعدَّدت تفسيراتُهم لذِكْرِها وحذْفِها في الآيتين؛ فذكَر بعضُهم أنها (واو) الثمانية؛ لأن أبوابَ الجنَّة ثمانية، وقال آخرون: "إنَّ في ذلك دلالةً على أن أبوابَ جهنَّم كانت مُغلَقة، ففُتِحَت لما جاؤوها، وأن أبوابَ الجنة كانت مفتوحةً قبْل مَجِيءِ المؤمنين إليها"[7].

---

(١) سورة الصف، الآية ١٤.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٠٠/٢٨).

(٣) سورة غافر، الآية ١١.

(٤) التحرير والتنوير، (٩٧/٢٤).

(٥) سورة الزمر، الآية ٧١.

(٦) سورة الزمر، الآية ٧٣.

(٧) درة التنزيل وغرة التأويل، (١١١٩/١).

ويرى ابنُ عاشور أن هذه الواوَ هي واوُ الحال، وعرَض أقوال بعض النحويين والمفسِّرين بقوله: "والواوُ في جُملة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ واوُ الحال، أي: حين جاؤوها وقد فُتِحَت أبوابها، فوَجدوا الأبوابَ مفتوحةً، على ما هو الشأنُ في اقتبالِ أهل الكرامة. وقد وهِمَ في هذه الواوِ بعضُ النحاةِ؛ مثل ابن خالَويهِ والحريريِّ، وتبِعهما الثعلبيُّ في تفسيره، فزعَموا أنها واوٌ تَدخل على ما هو ثامنٌ؛ إما لأنَّ فيه مادةَ ثمانيةٍ، كما في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[1]، فقالوا في ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: جِيءَ بالواوِ؛ لأن أبواب الجنة ثمانيةٌ، وإمَّا لأنه ثامنٌ في التَّعداد، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2]؛ فإنه الوصفُ الثامن في التَّعداد، ووقوعُ هذه الواواتِ مُصادفةٌ غريبةٌ، وتنبَّه أولئك إلى تلك المصادَفة تنبُّهٌ لطيفٌ، ولكنه لا طائلَ تحته في معاني القرآن بلْهَ بلاغتِه، وقد زيَّفه ابنُ هشام في «مغني اللبيب»، و(إذا) هنا لمجرَّد الزمان، غير مُضمَّنة معنى الشرطِ، فالتقدير: حتى زمَن مَجيئهم إلى أبواب الجنةِ، أي: خلَّتهم الملائكة الموكَّلون بإحفافِهم عند أبواب الجنة، كحالةِ مَن يَهْدي العروسَ إلى بيتها، فإذا أبلَغَها بابه خلَّى بينها وبيْن بيتها، كأنهم يقولون: هذا منزلُكم، فدُونَكُموه، فتلقَّتْهم خزنةُ الجنة بالسلامِ"[3].

وبيَّن الخطيبُ الإسكافي الفرقَ بين الآيتين بقوله: "يَختلِف بأنَّ الفتح يقَعُ عند مَجيءِ أهل النار؛ لأنَّ قوله: ﴿فُتِحَتْ﴾ جزاءٌ للشرط، وحقُّه إذا كان فِعلًا ألَّا تدخُله واوٌ ولا فاءٌ، ويكون عَقِيبَ الشرطِ، وإذا حُذِفَ الجزاء وعُطِفَ فِعلٌ عليه، فقيل: حتى إذا جاؤوها وفُتِحَت، كان التقديرُ: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مُفتَّحةٌ، فهذا حُكم اللفظِ، وأمَّا حُكم المعنى: فإن جهنَّم لما كانت أشدَّ المحابسِ، ومن عادةِ الناس إذا شدَّدوا أمْرَها ألَّا يفتَحوا أبوابَها إلا لداخلٍ وخارج، وكانت جهنَّمُ أهولَها أمرًا، وأبلغَها عقابًا، أُخبِرَ عنها الإخبارُ عمَّا شُوهِدَ من أحوال

(١) سورة الكهف، الآية ٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٢.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٤/٧٢).

الحبوسِ التي تُضيَّقُ على محبوسِها، فوقَع الفتحُ عَقِيبَ مجيئِهم؛ ليتطابَق لذلك اللفظُ والمعنى، ولم يكُن هناك حذفٌ"(١).

ويُمكِن القولُ: إن قيمةَ الحذْف "للدلالة على أنه شيءٌ لا يُحِيط به الوصفُ، ولِتذهبَ نفْس السامعِ فيه كلَّ مذهبٍ، ولو عُيِّن شيءٌ اقتُصِرَ عليه"(٢).

وقدَّر البقاعي المحذوفَ بـ (فدخلوها)(٣)، ويَشهَد لهذا التأويل قولُه تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾(٤).

ويقول السَّمين الحلبيُّ: "جِيءَ هنا بالواو دون التي قبْلها؛ لأنَّ أبواب السجونِ مُغلَقةٌ إلى أنْ يَجِيئَها صاحبُ الجريمة، فتُفتَح له، ثم تُغلَق عليه؛ فناسَب ذلك عدمُ الواوِ فيها، بخلاف أبواب السُّرور والفرح؛ فإنها تُفتَحُ انتظارًا لمن يَدخلها"(٥).

وثَمَّة حُروفٌ أخرى حُذِفَت لأبعادٍ بلاغية نَذكُر منها: حذْف لامِ التوكيدِ، كما في قوله تعالى: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾(٦)؛ ففي الآيةِ حُذِفَت لامُ التوكيد "التي شأْنها أن تَدخُل على جواب (لو) الماضي المثبَتِ؛ لأنها لامٌ زائدة لا تُفيد إلا التوكيدَ، فكان حذْفُها إيجازًا في الكلامِ"(٧)، والتقدير: لجعَلْناه. ولم يُبيِّن ابن عاشور الفرقَ بين هذه الآية وما سبَقها من آياتٍ أُكِّدت أفعالُها، كما ذكَر ذلك البيضاويُّ؛ حيث يَرى أن سببَ حذْف اللام هو عِلم السامع بمكانها، أو الاكتفاءُ بذِكْرها السابق، فيقول: "وحذْف اللامِ الفاصلة بين جوابٍ ما

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، (١/١١٢١-١١٢٣).

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. (٢/٣٣٧).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٦/٥٦٩).

(٤) سورة ص، الآية ٥٠.

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٩/٤٤٧).

(٦) سورة الواقعة، الآية ٧٠.

(٧) التحرير والتنوير، (٢٧/٣٢٤).

يَتمحَّض للشرطِ وما يتضمَّن معناه؛ لعِلم السامع بمكانها، أو الاكتفاءِ بسبْقِ ذِكرها، أو يختصُّ ما يُقصَدُ لذاته ويكون أهمَّ وفقْدُه أصعَب بمزيدِ التأكيد"(١).

وفصَّل الزركشيُّ القولَ في حذْف هذه اللام بثلاثةِ أوجهٍ: "**أولها**: أنَّ تحوُّلَ الماء العذْب إلى مالحٍ أسهلُ من جَعلِ الحرث حُطامًا؛ فالتوعُّد به لا يَحتاج إلى تأكيدٍ. **وثانيها**: إنَّ جَعلَ الحرثِ حطامًا خروجٌ عن المعتادِ وقلبٌ للصورة والمادةِ معًا، وجَعلَ الماء العذبِ أُجاجًا قلبٌ للكيفيةِ فقط، وهو أسهل. **وثالثها**: أنَّ دخول اللامِ على آية المطعومِ دون المشروب دلالةٌ على تقديمِه، فيكون الوعيدُ بفقْده أشدَّ؛ وذلك أن المشروب تبَعٌ للمطعوم(٢)، وربما أفاد الحذفُ التعجيلَ، أي: جعلناه أجاجًا لوقتِه"(٣).

وتخريج الآيةِ على قولِ الزركشيِّ أولى مِن جَعلِ اللام زائدةً، كما يرى ابن عاشور.

وبعدَ هذه الوقفاتِ اتَّضح أنَّ غايةَ حذْف الحروفِ هي التخفيفُ، وقد تتعدَّى إلى دَلالاتٍ أخرى، كإفادة أكثرَ مِن احتمال عند حذْف الجرِّ. وتنزيهِ الربِّ -تبارك وتعالى- عند الدُّعاء بحذْف حرْف النِّداء؛ لِمَا يتضمَّنُه الدعاءُ من معنَى الأمر. وكراهة التَّكرار في حذْف حُروف العطف في المحاورات.

(١) تفسير البيضاوي =أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ. (١٨٢/٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن، (٨٩/٣ و٣٣٨/٤).

(٣) المرجع السابق، (٣٣٨/٤).

# المبحث الثاني
# بلاغةُ حذف أحرفِ المباني

حروفُ المباني هي الحروف الهِجائية التي تُبْنى منها الكلمةُ، وليس للحرف منها معنًى مُستقِلٌّ في نفسِه، ولا في غيره، ويُطلَقُ عليها حروفُ التهجِّي.

**١- حذف التاء:**

مِن الحروف التي تُحذَفُ حرفُ التاء، ونراه يُذكَر في لفظٍ ويُحذَفُ من الآخرِ، وهما في آيةٍ واحدةٍ، كما في سورة الكهفِ في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾[(١)].

قال ابن عاشورٍ: " (اسْطاعُوا) تخفيفُ (استطاعوا)، والجمعُ فبينهما تفنُّنٌ في فصاحةِ الكلامِ؛ كراهيةَ إعادة الكلمةِ. وابتُدِئَ بالأخفِّ منهما؛ لأنه وَلِيَه الهمزُ، وهو حرفٌ ثقيل؛ لكونه من الحلْق، بخلاف الثاني؛ إذ وَلِيَه اللامُ، وهو خفيف.

ومُقتضى الظاهر: أنْ يُبتدَأَ بفِعل ﴿ٱسْتَطَـٰعُواْ﴾، ويُثنَّى بفِعلِ ﴿ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾؛ لأنه يَثقُل بالتَّكرير، كما وقَع في قوله آنفًا: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[(٢)]، ثم قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[(٣)].

ومِن خصائص مُخالَفة مقتضى الظاهرِ هنا: إيثارُ فِعلٍ ذي زيادةٍ في المبْنى بمَوقعٍ فيه زِيادةُ المعنى؛ لأن استطاعةَ نقْبِ السدِّ أقوى من استطاعةِ تسلُّقِه، فهذا من مواضعِ دلالة زيادة المبنى

(١) سورة الكهف، الآية ٩٧.

(٢) سورة الكهف، الآية ٧٨.

(٣) سورة الكهف، الآية ٨٢.

على زيادةٍ في المعنى"[1].

**وقوله تعالى:** ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

عندما انتهى الخَضِرُ من بيانِ أسباب ما فعَله لموسى عليه السلام وكشَف عن مقاصده، وأنَّ ذلك بأمْر الله له، وليس من تِلقاء نفْسه؛ ختَم كلامه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

قال ابن عاشور: " ﴿تَسْطِع﴾ مضارع (اسطاع)، بمعنى: استطاع. وحُذِفَ تاءُ الاستفعالِ تخفيفًا؛ لقُربِها من مخرج الطاءِ، والمخالَفة بينه وبين قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ للتفنُّنِ؛ تجنبًا لإعادة لفظٍ بعينِه مع وُجود مرادفِه. وابتُدِئَ بأشهرهما استعمالًا، وجِيءَ بالثانية بالفعلِ المخفَّف؛ لأن التخفيفَ أولى به؛ لأنه إذا كُرِّر (تستطع) يحصُل مِن تَكريره ثِقَلٌ"[3].

وقال الألوسيُّ: "إنما خُصَّ بالتخفيف؛ للإشارةِ إلى أنه خفَّ على موسى عليه السلام ما لقِيَه ببيانِ سببه"[4]، ولأنَّ التفرُّق حانَ، "فأوجَزَ في بيانِه حتى في كلمة (تستطع)؛ إذ قال: ﴿تَسْطِع﴾ بحذْف التاء التي بعدَ السِّين؛ لأن مُقتضى الحالِ بعد انتهاء أجَلِ المصاحَبة -إذ لم يَلتزِمْ موسى عليه السلام بشروطُها- أن يكون الكلامُ مُوجَزًا جِدًّا؛ إذ لا داعيَ للإطناب ولا للمساواةِ، ومِثلُ موسى عليه السلام يَكفيه من الكلام عبارةٌ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ﴾؛ فهو الخبيرُ بإخلاله بشروطِ المصاحبة المتَّفق عليها"[5].

---

(١) التحرير والتنوير، (٣٢/١٦).

(٢) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(٣) التحرير والتنوير، (١٥/١٦).

(٤) تفسير الألوسي= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ. (٣٣٧/٨).

(٥) البلاغة العربية، (١٣/٢).

**وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾(١).

قال ابن عاشور: " ﴿تَخَيَّرُونَ﴾ أصلُه: تتخيرون بتاءين، حُذِفَت إحداهما تخفيفًا"(٢).

**٢- حذف النونِ:**

ذكَر ابن عاشور شيوعَ حذْف النون الساكنةِ في مضارِع (كان) في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "حذف نُون (يكن) للتَّخفيف؛ لأنها لسُكونِها تهيَّأت للحذْف، وحسَّنه وقوعُ حركةٍ بعدها، والحركةُ ثقيلة؛ فلذلك شاع حذْف هذه النون في كلامِهم"(٤).

**قال الله تعالى:** ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾(٥)

قال ابن عاشور: "قرَأ نافع (تبشرونِ) -بكسر النُّون مخفَّفة دون إشباعٍ- على حذْف نونِ الرفع، وحذْف ياء المتكلِّم؛ وكلُّ ذلك تخفيفٌ فصيحٌ"(٦).

**٣- حذف الواو:**

مِن الحروف التي تُحذَفُ حرفُ الواو، ويُكتَفى بالضمَّة للتخفيفِ، وحُذِفَت في القرآن من ثلاثة أفعالٍ، هي: (يمح - سندع - يدع).

**ومنها ما ورَد في قوله تعالى:** ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾(٧).

---

(١) سورة القلم، الآية ٣٨.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٩/٩٣).

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٤.

(٤) التحرير والتنوير، (١٠/٢٧١).

(٥) سورة الحج، الآية ٥٤.

(٦) التحرير والتنوير، (١٤/٥٩).

(٧) سورة الشورى، الآية ٢٤.

قال ابن عاشور: "فِعلُ «يمحِ» مرفوعٌ، وحقُّه ظهور الواوِ في آخره، ولكنها حُذِفَت تخفيفًا في النُّطق، وتبعَ حذْفَها في النُّطق حذْفُها في الرسمِ؛ اعتبارًا بحال النُّطق، كما حُذِفَ واوُ ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[1]، وواوُ ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾[2]"[3].

والألوسيُّ يُبرِّر حذْف واوِ ﴿سَنَدْعُ﴾ "عند الوصل لالتقاءِ الساكنين، أو لمشاكَلةِ ﴿فَلْيَدْعُ﴾ "[4].

ويرَى الزركشيُّ أنَّ حذْفَ الواوِ من الأفعال "دلالة على سُرعة وقوعِ الفِعل، وسهولتِه على الفاعلِ، وشدَّةِ قَبول المنفعِل المتأثِّر به في الوجود:

أولُها: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾؛ ففيه سُرعة الفِعل، وإجابةُ الزَّبانية، وقوَّة البطْشِ، وهو وعيدٌ عظيم ذُكِرَ مَبدؤه، وحُذِفَ آخره، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[5].

وثانيها: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾[6]، حُذِفَت منه الواوُ علامةً على سرعة الحقِّ وقبول الباطل له بسرعةٍ؛ بدليلِ قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[7].

وثالثها: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾[8]، حذْف الواوِ يدلُّ على أنه سهلٌ عليه ويُسارِع فيه كما يَعمل في الخيرِ، وإتيان الشرِّ إليه مِن جهةِ ذاته أقربُ إليه من الخير.

ورابعها: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[9]، حذف الواو؛ لسُرعة الدعاءِ وسرعة الإجابةِ"[10].

---

(١) سورة العلق، الآية ١٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية ١١.
(٣) التحرير والتنوير، (٢٥/٨٧).
(٤) تفسير الألوسي، (١٥/٤١٠).
(٥) سورة القمر، الآية ٥٠.
(٦) سورة الشورى، الآية ٢٤.
(٧) سورة الإسراء، الآية ٨١.
(٨) سورة الإسراء، الآية ١١.
(٩) سورة القمر، الآية ٦.
(١٠) البرهان في علوم القرآن، (١/٣٩٧).

**٤- حذف الياء:**

**حُذِفَت الياء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾**[١].

قال ابن عاشور: "قرَأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوبُ: (إذا يسري) بياءٍ بعد الراء في الوصلِ على الأصل، وبحذْفها في الوقف؛ لمراعاةِ بقية الفواصلِ: «الفجر، عشر، والوتر، حِجْر»؛ ففواصلُ القرآن كالأسجاعِ في النثر، والأسجاعُ تُعامَل معاملةَ القوافي، قال أبو علي: وليس إثباتُ الياء في الوقف بأحسنَ من الحذْف، وجميعُ ما لا يُحذَفُ وما يُختار فيه ألَّا يُحذَفُ -نحو القاضِ بالألف واللام- يُحذَفُ إذا كان في قافيةٍ أو فاصلة، فإنْ لم تكن فاصلةً فالأحسنُ إثباتُ الياء، وقرَأ ابن كثير ويعقوبُ بثبوت الياءِ بعد الراء في الوصلِ، وفي الوقفِ على الأصل.

وقرَأ الباقون بدون ياءٍ وصلًا ووقفًا، وهذه الرِّواية يُوافِقها رسمُ المصحف إياها بدون ياءٍ، والذين أثْبتوا الياء في الوصلِ والوقف اعْتمدوا الرِّواية، واعتبروا رسمَ المصحف سُنة، أو اعتدادًا بأن الرسمَ يكون باعتبار حالةِ الوقف"[٢].

**وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ٧﴾**[٣].

قال ابن عاشور: "اختلَف القرَّاء في إثبات الياءِ وحذْفها في حالتي الوصل والوقْف؛ فقرَأ الجمهورُ: (هادٍ) بدون ياءٍ في آخره في حالتي الوصل والوقف؛ أما في الوصلِ فلالتقاءِ الساكنينِ: سكونِ الياء، وسكونِ التنوين الذي يجِب النُّطق به في حالة الوصلِ، وأما في حالةِ الوقف فتبعًا لحالة الوصلِ، وهو لغةٌ فصيحة، وفيه متابَعة رسمِ المصحف. وقرَأه ابن كثيرٍ في الوصل مثل الجمهورِ. وقرَأه بإثبات الياء في الوقفِ؛ لزوال مُوجِبِ حذْف الياء، وهو لغةٌ صحيحةٌ"[٤].

---

(١) سورة الفجر، الآية ٤.

(٢) التحرير والتنوير، (٣١٥/٣٠).

(٣) سورة الرعد، الآية ٧.

(٤) التحرير والتنوير، (٩٦/١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[1].

قال ابن عاشور: "قرَأ الجمهورُ ﴿مِن وَالٍ﴾ بتنوين (والٍ) دون ياءٍ في الوصل والوقف. وقرَأه ابن كثيرٍ بياءٍ بعد اللام وقْفًا فقط دون الوصلِ[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[3].

قال ابن عاشور: "أصل ﴿مَتَابِ﴾: مَتابي -بإضافةٍ إلى ياءِ المتكلِّم- فحُذِفَت الياءُ تخفيفًا، وأُبقِيَت الكسرةُ دليلًا على المحذوف"[4].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾[5].

قال ابن عاشور: "حذْف ياءِ المتكلِّم من (مآبي) كحذْفِها في قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ "[6].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[7].

قال ابن عاشور: " (عقاب) أصلُه: عقابي، مثل ما تقدَّم آنفًا في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[8].

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[9].

قال ابن عاشور: "قرَأ الجمهور (دين) بدون ياءٍ بعد النون، على أنَّ ياءَ المتكلِّم محذوفةٌ للتخفيفِ مع بقاءِ الكسرة على النون، وقرَأه يعقوبُ بإثبات الياءِ في الوصل والوقفِ، وقد

(١) سورة الرعد، الآية ١١.
(٢) التحرير والتنوير، (١٠٢/١٣).
(٣) سورة الرعد، الآية ٣٠.
(٤) التحرير والتنوير، (١٤٢/١٣).
(٥) سورة الرعد، الآية ٣٦.
(٦) التحرير والتنوير، (١٥٩/١٣).
(٧) سورة الرعد، الآية ٣٢.
(٨) التحرير والتنوير، (١٤٨/١٣).
(٩) سورة الكافرون، الآية ٦.

كُتِبَت هذه الكلمة في المصحفِ بدون ياءٍ اعتمادًا على حِفظ الحفَّاظ؛ لأن الذي يُثبِتُ الياءَ -مثل يعقوب- يُشبِعُ الكسرةَ؛ إذ ليست الياءُ إلا مدَّةً للكسرةِ، فعدَمُ رسْمِها في الخطِّ لا يقتضي إسقاطَها في اللفظِ"(١).

**قال الله تعالى:** ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ ياءُ المتكلِّم من (نُذُر)، وأصله: نُذري. وحذْفها في الكلام في الوقف فصيحٌ، وكثُرَ في القرآن عند الفواصلِ"(٣).

**قال الله تعالى:** ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾(٤).

قال ابن عاشور: "قرأَ نافعٌ ﴿أَكْرَمَنِ﴾ و﴿أَهَٰنَنِ﴾ بياءٍ بعد النون في الوصل، وبحذْفِها في الوقف، وقرأَهما ابنُ كثير بالياء في الوصل والوقفِ، وقرأَهما ابن عامرٍ وعاصمٌ وحمزة والكسائي ويعقوبُ بدون ياءٍ في الوصل والوقفِ، وهو مرسومٌ في المصحف بدون نونٍ بعد الياءين، ولا مُنافاة بين الرِّواية ورسْم المصحف"(٥).

وبناءً على ما سبَق: يتبيَّن لنا أنَّ حذْف الحروف غايتُها التخفيفُ والإيجاز والاختصارُ، وقد تُصاحِبها قِيَمٌ أخرى؛ ككراهةِ التَّكرار والقربِ، وغيرها مما سبَق ذِكْرُه.

(١) التحرير والتنوير، (٣٠/٥٨٤).
(٢) سورة القمر، الآية ١٦.
(٣) التحرير والتنوير، (٢٧/١٨٧).
(٤) سورة الفجر، الآيتان ١٥، ١٦.
(٥) التحرير والتنوير، (٣٠/٣٣٢).

# الفصل الثاني
# بلاغة حذْف الكلمة عند ابن عاشورٍ

**وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** حذْف المسنَد إليه.

**المبحث الثاني:** حذْف المسنَدِ.

**المبحث الثالث:** حذْف المتعلِّقات.

# المبحث الأول
# حذْف المُسنَد إليه

## المطلب الأول
## حذْف المُبتدأ

المسنَد إليه هو الرُّكن الأساسيُّ في الجُملة، سواء كانت اسميَّة أو فِعليةً، ويُسمَّى المحكومَ عليه أو المخبَرَ عنه(١)، وتَكمُن أهميته في كونِه يُمثِّل الرُّكن الثابتَ في الجُملة، في حين يُمثِّل المسنَدُ الرُّكنَ المتغير، ويكون المسنَدُ إليه إمَّا مبتدأً، أو فاعلًا أو نائبَ فاعلٍ، وحذْف المسنَد إليه لا يجوزُ إلا بأمرينِ:

الأول: وجودُ قرينةٍ -لفظية أو معنوية- دالةٍ عليه، ومرَدُّ هذا إلى عِلم النحْو.

الثاني: وُجود سرٍّ بلاغي يُرجِّح مزيَّة الحذْف على الذِّكْر(٢).

والأصل ذِكرُ المسنَد إليه؛ لتوقُّفِ فَهم الكلام عليه، إلا أنه يجوز حذْفُه لأغراضٍ بلاغية ذكَرها السكَّاكي؛ منها: معرفةُ السامع بالمسنَد واستحضارُه، أو تعظيمًا لشأنه، أو تنزيهًا للمقام عن ذِكْره، أو لقصدِ الإبهامِ، أو لأنَّ الخبر لا يصلُح إلا له حقيقةً، أو ضِيق المقام، أو لأن الاستعمال واردٌ على ترْكِه أو ترْك نظائره(٣).

ويَشيع عند العرب حذْفُ المسنَد إليه حذفًا سمَّاه السكَّاكي بمتابعةِ الاستعمال الوارد على ترْكِه؛ إذا ذكَروا موصوفًا بأوصاف أو أخبارٍ جعَلوه كأنه قد عُرِف للسامعِ، فيقولون: فلانٌ أو

(١) علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. ص١٢٠.

(٢) علم المعاني، ص١٢٢.

(٣) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.، ص١٧٦.

فتًى أو رجلٌ، أو نحو ذلك، على تقدير: هو فلانٌ، كقول الحماسيِّ:

سأَشْـــكُرُ عمْـــرًا إنْ تَراخَـــتْ مَنِيَّـــتِي أيَـــادِيَ لمْ تَمْـــنُنْ وإنْ هـــيَ جَلَّـــتِ

فـــتًى غـــيرُ مَحجُـــوبِ الغِـــنَى عـــن صَـــدِيقِه ولا مُظْهِـــرُ الشَّـــكْوى إذا النَّعْـــلُ زلَّـــتِ[1]

ولحذْف المبتدأِ أبعادٌ بلاغية؛ أهمُّها:

**أ- التعظيم:**

ورَد المسنَدُ إليه محذوفًا في مطْلعِ سُورتِي النمل والأعراف: ﴿سُورَةٌ﴾ ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ تعظيمًا لأمْر هذا القرآنِ، وارتبطَتا بالإنزال من اللهِ -تعالى- تأكيدًا لتمامِ العظمةِ والجلالِ؛ ففي قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، يرى ابن عاشور أنه "يجوز أنْ يكون ﴿سُورَةٌ﴾ خبرًا عن مبتدأٍ مُقدَّر، دلَّ عليه ابتداءُ السورة، فيُقدَّر: هذه سورة، واسمُ الإشارةِ المقدَّرُ يُشير إلى حاضرٍ في السمع، وهو الكلام المتتالي؛ فكلُّ ما يَنزِل مِن هذه السورة وأُلحِقَ بها من الآيات، فهو من المشار إليه باسم الإشارةِ المقدَّر، وهذه الإشارة مُستعمَلة في الكلام كثيرًا"[3].

وقال الزمخشريُّ: " ﴿سُورَةٌ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ"[4]، وقدَّر ابن عطية والرازيُّ المبتدأَ بـ (هذه سورة)[5]، ويرى ابنُ كثير أنَّ افتتاح السورةِ بهذا "فيه تنبيهٌ على الاعتناء بها، ولا ينْفي ما

(١) التحرير والتنوير، (٣١٣/١)، والبيت لمحمد بن سعد الكاتب التميمي البغدادي في معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، تحقيق: د/ فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ص٤٢٠، ولعبد الله بن الزبير الأسدي في خزانة الأدب، (٢٦٥/٢)، ولإبراهيم بن العباس الصولي في ديوان الصولي ضمن الطرائف الأدبية، صححه: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٣٠.

(٢) سورة النور، الآية ١.

(٣) التحرير والتنوير، (١٤١/١٨).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٢٠٨/٣).

(٥) يُنظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، (١٦٠/٤). ومفاتيح الغيب، (٣٠١/٢٣).

عداها"(١).

وفي قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، قال الزمخشري والبيضاوي: " ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هو كتاب"(٣).

ويُخالف ابنُ عاشور المفسِّرين فيَرى أن: " ﴿كِتَٰبٌ﴾ مبتدأٌ"، و"وقوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يجوز أن يكون صِفةً لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾، فيكون مُسوِّغًا ثانيًا للابتداءِ بالنكرة، ويجوز أن يكون هو الخبرَ". ويرَدُّ قولَ الزمخشري وغيرِه بقوله: "ومِن المفسِّرين من قدَّروه مبتدأً محذوفًا، وجعَلوا ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا عنه، أي: هذا كتاب، أي: أن المشارَ إليه القرآنُ الحاضر في الذِّهن، أو المشار إليه السورةُ، أُطلِقَ عليها كتابٌ، ومنهم من جعَل ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا عن كلمة ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾؛ وكلُّ ذلك بمَعزِلٍ عن مَتانةِ المعنى"(٤).

**وقوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾(٥).

قال ابن عاشور: "اسمُ الجلالةِ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديره: هو الله، وهذا مِن حذْف المسنَدِ إليه؛ لمتابعةِ الاستعمالِ كما سمَّاه السكَّاكي؛ فإنه بعدَ أنْ جرى ذِكْرُ شُؤون من عظيمِ شؤون اللهِ -تعالى- ابتداءً من قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾(٦) إلى هنا، فقد تكرَّر اسمُ الجلالة وضميرُه والإسنادُ إليه زُهاء ثلاثين مرَّة، فاقتضى المقامُ عَقِبَ ذلك أن يُزاد تعريفُ الناس

(١) تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م. (٣/٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، (٨٥/٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٥/٣).

(٤) التحرير والتنوير، (٨-ب/١٠، ١٢).

(٥) سورة الطلاق، الآية ١٢.

(٦) سورة الطلاق، الآية ١.

بهذا العظيم، ولما صار البِساط مليئًا بذِكْر اسمه صحَّ حذْفُه عند الإخبار عنه إيجازًا"(١).

**ب- التهويل:**

يُحذَفُ المبتدأ في جواب الاستفهامِ للتهويل، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾(٢).

قال ابن عاشور: "جُملة ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾(٣) جوابٌ عن جملةِ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾(٤)، مُفِيدٌ مجموعُهما بيانَ الحُطمة ما هي، وموقعُ الجملةِ موقعُ الاستئناف البَياني، والتقديرُ: هي -أي: الحطمة- نارُ الله، فحُذِفَ المبتدأ من الجملة؛ جرْيًا على طريقة استعمالِ أمثاله من كلِّ إخبارٍ عن شيء بعدَ تقدُّم حديثٍ عنه وأوصافٍ له، وإضافة (نار) إلى اسم الجلالةِ؛ للترويعِ بها بأنها نارٌ خلَقها القادرُ على خلْق الأمور العظيمةِ"(٥).

**وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾(٦).**

قال ابن عاشور: "الكتاب: المكتوبُ، أي: الصحيفة، وهو هنا يَحتمل شيئًا تُحصَى فيه الأعمال، ويَحتمل أن يكون كِنايةً عن إحصاء أعمالِهم وتوقيفِهم عليها... وقوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ خبرٌ عن ضميرٍ محذوف يعودُ إلى ﴿كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾، والتقدير: هو -أي: كتاب الفجار- كتابٌ مرقومٌ، وهذا مِن حذْف المسنَد إليه الذي اتُّبع في حذْفه استعمالُ العرب إذا تحدَّثوا عن شيءٍ، ثم أرادوا الإخبارَ عنه بخبر جديدٍ"(٧).

---

(١) التحرير والتنوير، (٣٣٩/٢٨).

(٢) سورة الهمزة، الآية ٥، ٦.

(٣) سورة الهمزة، الآية ٦.

(٤) سورة الهمزة، الآية ٥.

(٥) التحرير والتنوير، (٥٤٠/٣٠).

(٦) سورة المطففين، الآية ٩.

(٧) التحرير والتنوير، (١٩٤/٣٠، ١٩٥).

**ج- التحقير:**

ومِن أمثلة الحذْف الذي يَشيع عند العرب: أنْ إذا ذكَروا موصوفًا بأوصافٍ أو أخبارٍ، حذَفوا المسنَد إليه، وجعَلوه كأنه معروفٌ للسامع، وقد سمَّاه السكَّاكي "الحذفَ الذي اتُّبع فيه الاستعمالُ الوارد على تَرْكِه"، ومنه قول اللهِ تعالى: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾[1].

قال ابن عاشور: " ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ أخبارٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، هو ضميرٌ يعود إلى ما عاد إليه ضميرُ ﴿مَثَلُهُمۡ ﴾، والإخبارُ عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقةِ التشبيه البليغِ؛ شُبِّهوا في انعدام آثارِ الإحساس منهم بالصُّم البُكم العُمْيِ، أي: كلُّ واحد منهم اجتمَعت له الصِّفات الثلاثُ، وذلك شأن الأخبارِ الواردة بصيغةِ الجمْع بعد مبتدأٍ هو اسم دالٌّ على جمْع، فالمعنى: كلُّ واحد منهم كالأصمِّ الأبكم"[2]؛ لأن الحديث ما زال مُستمِرًّا عن المسنَدِ إليه؛ فهو ماثلٌ في الذِّهن، ولا حاجةَ لذِكْرِه، وقد ذكَره القزوينيُّ شاهدًا على حذْف المسنَدِ إليه[3]، وفي الحذْف صونُ اللِّسان عن المسنَدِ إليه باعتبار لِسان القارئ[4].

**د- إذا جرى الكلام مَجرى المثَلِ:**

قد يَجري الكلام مَجرى المثلِ، فيُلتزَمُ فيه حذْف المبتدأِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨.

(٢) التحرير والتنوير، (٣١٣/١).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة. (٥/٢).

(٤) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م. (١٦٠/١).

(٥) سورة النساء، الآية ٤٦.

قال ابن عاشور: " ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ يُشبِه أنه ممَّا جرى مَجرى المَثَلِ بقولِ مَن أُمِرَ بشيءٍ وامْتثَلهُ: سَمعٌ وطاعةٌ، أي: شأني سمْع وطاعةٌ، وهو مما الْتُزِمَ فيه حذْف المبتدأ؛ لأنّه جرى مَجرى المثلِ"(١).

وقوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾(٢).

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿هَل لَّكُم﴾ تركيبٌ جرى مَجرى المَثَلِ، فلا يُغيَّرُ عن هذا التركيب؛ لأنه قُصِدَ به الإيجازُ، يقال: هلْ لك إلى كذا؟ وهل لك في كذا؟ وهو كلامٌ يُقصَدُ منه العرضُ بقول الرجل لضَيفِه: هل لك أن تَنزِلَ؟ ومنه قول كعبٍ:

أَلَا بَلِّغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فهَلْ لكَ فيمَا قُلْتُ ويْحَكَ هلْ لَكَا(٣)

بضمِّ تاءِ (قلت). وقول بُجيرٍ أخيه في جوابه عن أبياته:

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فهَلْ لَكَ في الَّتي تَلُومُ عليهَا باطِلًا وهِيَ أحْزَمُ(٤)

و (لك) خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديره: هلْ لك رغبةٌ في كذا؟ فحُذِفَ (رغبة)، واكتُفِيَ بدلالة حرف (في) عليه، وقالوا: هل لك إلى كذا؟ على تقديرِ: هل لك ميلٌ؟ فحُذِفَ (ميل)؛ لدلالة (إلى) عليه.

قال الطيبيُّ: "قال ابنُ جِنِّي: متى كان فِعلٌ من الأفعال في معنى فِعلٍ آخر، فكثيرًا ما يجرى أحدُهما مَجرى صاحبه، فيُعوَّلُ به في الاستعمالِ، ويُحتذى به في تصرُّفِه حذْوَ صاحبه، وإن كان طريقُ الاستعمالِ والعُرف ضدَّ مأخَذِه؛ ألَا تَرى إلى قوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾، وأنت إنما تقول: هل لكَ في كذا؟ لكنه لما دخَله معنى: آخُذُ بك إلى كذا، أو أدعوك إليه، قال: هل

(١) التحرير والتنوير، (٥/٧٧).

(٢) سورة النازعات، الآيتان ١٧، ١٨.

(٣) ديوان كعب بن زهير، ص١٠٥.

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، (١٦/٤٣٠).

لك إلى أن تزكَّى... وهذا من أسدِّ مذاهب العربية؛ لأنه موضعٌ يَملِكُ فيه المعنى عِنانَ الكلامِ، فيأخُذه إليه» اهـ. قيل: ليس هذا من بابِ التضمين، بل مِن باب المجاز والقرينةِ الجارَّة"(١).

**هـ- دلالة المقام:**

يُحذَفُ المبتدأُ لظُهور المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾(٢)، قال ابن عاشور: "قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الفاءُ رابطةٌ لجواب الشرط، و(تحرير) مرفوعٌ على الخبرية لمبتدأٍ محذوفٍ من جُملة الجواب؛ لظُهور أن المعنى: فحُكمه أو فشأنه تحريرُ رقبةٍ"(٣).

**و- التأكيد والمبالَغة:**

وقد يُحذَفُ المبتدأُ، ويُجعَلُ الفِعلُ خبرًا عنه؛ لقصْدِ الدلالة على الاختصاص، أو التقوِّي، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾(٤).

قال ابن عاشور: "دخَلت الفاءُ في قوله: ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ مع أنَّ شأن جواب الشرطِ إذا كان فِعلًا ألَّا تَدخُل عليه الفاء الرابطةُ؛ لاستغنائه عن الربْطِ بمجرَّد الاتِّصال الفِعلي، فدخولُ الفاء يقَع في كلامهم على خلاف الغالبِ، والأظهرُ أنهم يرْمُون به إلى كون جُملةِ الجواب اسميَّةً تقديرًا، فيَرمُزون بالفاء إلى مبتدأٍ محذوفٍ جُعِلَ الفعلُ خبرًا عنه؛ لقصْدِ الدلالة على الاختصاص

(١) التحرير والتنوير، (٧٦/٣٠).

(٢) سورة النساء، الآية ٩٢.

(٣) التحرير والتنوير، (١٥٨/٥).

(٤) سورة المائدة، الآية ٩٦.

أو التقوّي، فالتقدير: "فهو يَنتقِم اللهُ منه"؛ لقصْدِ الاختصاص؛ للمبالَغة في شدَّة ما يَناله، حتى كأنه لا يَنال غيرَه، أو لقصْدِ التقوّي، أي: تأكيدِ حصول هذا الانتقامِ"(١).

**ز- دلالة ما قبْله عليه:**

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوف، تقديره: فأنتم مُستقَرٌّ ومستودعٌ، والوصف بالمصدرِ للمبالَغة في الحاصلِ به، أي: فتفرَّع عن إنشائكم استقرارٌ واستيداعٌ، أي: لكم"(٣).

وعند الواحديِّ: "أراد: فلكُم مُستقَرٌّ ومستودع، وبهذا الإضمار يَحسُن اتِّصال هذا الكلام بما قبْله، وحَسُنَ الإضمارُ؛ لأن الفاء يَغلُب على ما بعدها الاتِّصالُ بما يَسبِقُها، فحذْف ما يُحذَفُ بعد الفاء؛ إنما هو لدلالةِ الذي قبْلها عليه للمواصَلة، كقول العرب: إنْ تَزُرْني فمُحسِنٌ، وإنْ قصدْتَني فبارٌّ، وهم يريدون: فأنت بارٌّ، فيَحذفون لوُضوح المعنى"(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٥).

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوف دلَّ عليه ما في السؤال، والتقديرُ: هو أساطيرُ الأولين، أي: المسؤولُ عنه أساطيرُ الأولين، ويُعلَمُ من ذلك أنه ليس مُنزَّلًا من ربِّهم؛ لأن أساطيرَ الأولين لا تكون مُنزَّلةً من اللهِ، ولذلك لم يقَعْ ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ منصوبًا؛ لأنه لو نُصِبَ لاقتضى التقدير: أنزَل أساطيرَ الأولين، وهو كلامٌ متناقض؛ لأن

(١) التحرير والتنوير، (٥١/٧).

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٨.

(٣) التحرير والتنوير، (٣٩٦/٧).

(٤) التفسير البسيط، (٣١٢/٨).

(٥) سورة النحل، الآية ٢٤.

أساطيرَ الأولين السابقة لا تكون الذي أنزَل اللهُ الآن"[1].

إنَّ الكفَّار لَمَّا سُئِلوا عمَّا أنزَلَ اللهُ -سبحانه- عدَلوا بالجوابِ عن السؤالِ، فقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وليس من الإنزالِ في شيء[2].

**ح- التنبيه على أهمِّية المذكور:**

وقد يُحذَفُ المبتدأُ للتنبيه على أهميةِ المذكور، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

قال ابن عاشور: "أسماءُ الفاعلين هنا أوصافٌ للمؤمنين من قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، فكان أصلُها الجرَّ، ولكنها قُطِعَت عن الوصفيَّة، وجُعِلَت أخبارًا لمبتدأ محذوفٍ هو ضميرُ الجمْع؛ اهتمامًا بهذه النعوت اهتمامًا أخرَجها عن الوصفية إلى الخبريَّة، ويُسمَّى هذا الاستعمال نعتًا مقطوعًا، وما هو بنعتٍ اصطلاحي، ولكنه نعتٌ في المعنى"[5]. وقدَّر ابن عطية المحذوفَ بـ"هم التائبون"[6]، وكذا قال الرازيُّ[7].

**ط- العِلم به:**

ويُحذَفُ المبتدأ للعِلم به، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[8].

---

(١) التحرير والتنوير، (١٣١/١٤).
(٢) الكشاف، (٦٠٣/٢).
(٣) سورة التوبة، الآية ١١٢.
(٤) سورة التوبة، الآية ١١١.
(٥) التحرير والتنوير، (٤٠/١١).
(٦) تفسير ابن عطية، (٨٨/٣).
(٧) تفسير الرازي، (١٥٢/١٦).
(٨) سورة يونس، الآيتان ٦٩، ٧٠.

قال ابن عاشور: قوله: " ﴿مَتَٰعٌ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ يُعلَم من الجملة السابقة، أي: أمْرُهم متاع"(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(٢).

قال ابن عاشور: " ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ معلومٍ من المقام، أي: هذا الحقُّ"(٣).

وقد يدلُّ السِّياق على المسنَد إليه، فيُحذَف، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾(٤).

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ دلَّ عليه السياق، والتقدير: "فأمْري صبرٌ"، أو مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ كذلك، والمعنى على الإنشاءِ أوقَعُ"(٥).

وقدَّر ابن عطية المحذوفَ: "فشأني صبْر جميل"(٦)، فالحذْفُ للاحترازِ عن العبث بناءً على الظاهر؛ حيث يكون معلومًا، فيُحذَفُ اتكالًا على العِلم به(٧)، وقد يُفيد حذْفُ المسنَد إليه هنا تكثيرًا للفائدة(٨)، وتعظيمًا لشأن هذا الصبْر.

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٣٣/١١).

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٣) التحرير والتنوير، (٣٠٧/١٥).

(٤) سورة يوسف، الآية ١٨.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (٢٣٢/١٢).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢٢٧/٣).

(٧) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ. (١٤٤/٣).

(٨) أساليب بلاغية: الفصاحة – البلاغة – المعاني، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م. ص١٦٣.

**ي- إذا كان المبتدأ كالعنوان أو الطالِع:**

وقد يُحذَفُ المبتدأُ إذا كان بمقام العنوان أو الطالِع، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾[1].

قال ابن عاشور: " ﴿بَلَٰغٞ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديره: هذا بلاغٌ، على طريقة العنوان والطالِع، نحو ما يُكتَبُ في أعلى الظهيرِ: «ظهيرٌ من أميرِ المؤمنين»، أو ما يُكتَبُ في أعلى الصُّكوك، نحو: «إيداعُ وصيَّة»، أو ما يُكتَبُ في التأليفِ، نحو ما في الموطَّأ: «وُقوتُ الصلاةِ»، ومنه ما يُكتَبُ في أعالي المنشورات القضائية والتجارية، كلمة: «إعلانٌ» "[2].

وهكذا تبيَّنَ أنَّ حذْف المسنَد إليه المسمَّى بمُتابعة الاستعمالِ يُمكن أنْ يَخرُجَ إلى دَلالاتِ التعظيمِ أو التهويلِ أو التَّحقيرِ، وأنَّ المبتدأ يُحذَفُ ليَجريَ الكلامُ مجرَى المثَل، وللتأكيدِ والمبالَغة، ولدَلالة المقامِ أو العِلم به، إلى غير ذلك من الأغراض التي تختصُّ بها في مواضعِها.

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.

(٢) التحرير والتنوير، (٦٨/٢٦).

## المطلب الثاني
## حذْف الفاعــل

يُعَدُّ الفاعل رُكنًا أساسيًّا في الجُملة الفعلية، وقد اختلَف النُّحاة في جواز حذْفه من عدَمِه؛ فذهَب بعضهم إلى أنه لا يجوز حذْفُه؛ لكونه عمدةً، وجوَّز بعضهم حذْفه في حالاتٍ؛ منها: إذا بُنِيَ الفِعلُ للمفعول(١)، وذكَر البلاغيون أنَّ من أهم أغراضِ حذْف الفاعل الإيجازَ، وقصدَ الإبهام بألَّا يتعلَّق مراد المتكلِّم بتعيُّنه، والمماثَلة محافظةً على السَّجع، كما يُحذَف الفاعل للعِلم به، أو الجهلِ به، ولتعظيمِه أو تحقيره، والخوفِ منه أو عليه، فيُستَرُ ذِكْرُه.

ثم إنَّ أكثر المواطنِ التي حُذِفَ فيها الفاعل في القرآن الكريم، يُقام فيها المفعولُ مُقامه، فيأخُذ وظيفته وعلامتَه ومعناه، وينقلِب الفِعل المبنيُّ للمعلوم إلى مبنيٍّ للمجهول.

وفيما يلي بعضُ الأغراض التي ذكَرها ابن عاشور في تفسيره للآيات التي ورَد فيها حذْف الفاعل:

**١- إفادةُ أكثر من احتمالٍ:**

كما في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "في الآية لم يُذكَرْ فاعلُ الفِعل ﴿ زُيِّنَ ﴾؛ لأن المزيِّن لهم يَحتمل أن يكون

(١) انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٢٧هـ. (١/١٥٩)، والخصائص، لابن جني، (٢/٣٦٨)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م. (٢/٢٤٠)، وظائف الحذف في القرآن، توفيق البوشخي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة القرويين، مراكش، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ، ص١٥٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٢.

هو اللهُ تعالى، إلا أنهم أفْرَطوا في الإقبال على الزينة، فيكون المعنى: أنَّ ما خُلِقَ زينًا في الدنيا قد تمكَّن مِن نفوسِهم واشتدَّ توغُّلهم في استحسانه، ويحتمل أن يكونَ الشيطانَ ودُعاته، فيكون المعنى: ترويجُ تزيينها في نفوسِهم بدعوةٍ شيطانية تُحسِّن ما ليس بالحَسن؛ كالأقيسة الشِّعرية والخواطر الشَّهوية"(١).

وقد يكون الفاعل حُذِفَ لدقَّتِه؛ "إذ المزيِّن لهم الدنيا أمرٌ خَفِيٌّ، فيُحتاج في تفصيلِه إلى شرحٍ في أخلاقهم، وهو ما اكتسبَتْه نفوسُهم من التعلُّق باللذَّات وبغيرها مِن كل ما حمَلهم على التعلُّق به للتنافُس أو التقليد، حتى عَمُوا عما في ذلك من الأضرار المخالِطة للَّذَّات، أو من الأضرار المختصَّة المغشَّاة بتحسين العادات الذَّميمة"(٢).

ويرى الزجَّاج أن في قوله: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ قولين: **أولهما**: "زيَّنها لهم إبليسُ؛ لأن الله ﷻ قد زهَّد فيها، وأعلَم أنها متاعُ الغرور، و**الثاني**: معناه: أن اللهَ ﷻ خلَق فيها الأشياء المعجِّبة، فنظَر إليها الذين كفروا بأكثر مِن مِقدارها، ودليلُ قول هؤلاء قولُه تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ** ﴾(٣)؛ وكلٌّ جائز"(٤).

وعند الزمخشري أن "المزيِّن هو الشيطان؛ زَيَّن لهم الدنيا وحسَّنها في أعينهم بوساوِسه، وحبَّبها إليهم، فلا يريدون غيرَها. ويجوز أن يكون اللهُ قد زيَّنها لهم؛ بأنْ خذَلهم حتى استحسنوها وأحبُّوها، أو جعَل إمهالَ المزيَّنِ له تزيينًا"(٥)، ويُقرِّر الشوكاني أن "المزيِّن هو

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢/٢٩٤) بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير، (٢/٢٩٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. (١/٢٨١).

(٥) الكشاف، (١/٢٥٤).

الشيطانُ، أو الأنفس المجبولةُ على حبِّ العاجلة"[1].

**وقوله تعالى:** ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2].

قال ابن عاشور: "نرى الفِعلينِ (يُقال – قيل) بُنِيَا للمجهول، وهذا يحتمل أن يكون الفاعلُ هم المشركين، فيكون المعنى: أنَّ ما يقوله المشركون في القرآنِ والنبيِّ ﷺ، هو دأبُ أمثالِهم المعاندين من قبْلهم؛ فما صدق ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ﴾ هو مقالات الذين كذَّبوهم، أي: تشابَهت قلوب المكذِّبين فكانت مقالاتُهم مُتماثِلةً.

ويحتمل أن يكونَ الفاعلُ اللهَ سبحانه، فيكون المعنى: ما قُلنا لك إلا ما قلناه للرُّسل مِن قبلك، فأنت لم تكن بِدعًا من الرسلِ، فيكون لقومك بعضُ العُذرِ في التكذيب، ولكنهم كذَّبوا كما كذَّب الذين مِن قبلهم؛ فما صدق ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ﴾ هو الدين والوحيُ"[3].

وكلا المعنيين محتملٌ، ولم يرجِّح ابن عاشور أحدهما، ولكنه علَّق عليهما بقوله: "وفي التعبير بـ (ما) الموصولة، وفي حذْف فاعلِ القولين في قوله: ﴿مَّا يُقَالُ﴾ وقوله: ﴿مَا قَدْ قِيلَ﴾: نظْمٌ متينٌ حمَّلَ الكلامَ هذين المعنيين العظيمينِ، وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ﴾ تشبيهٌ بليغ. والمعنى: إلا مثلُ ما قد قِيل للرُّسل"[4].

**وفي قوله تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[5]

قال ابن عاشور: " ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ مَبْنِيٌّ للمجهول مِن (أفكه) مِن باب (ضرَبه): إذا صرَفه

(١) فتح القدير، (٢٤٣/١).

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٣.

(٣) التحرير والتنوير، (٣١٠/٢٤).

(٤) التحرير والتنوير، (٣١٠/٢٤).

(٥) سورة فاطر، الآية٤.

وعدَل به، فالمصروف مأفوكٌ، وحُذِفَ الفاعل هنا؛ لأن آفِكِيهم أصنافٌ كثيرون"(١).

**٢- الاهتمام بالفِعل وأثرِه لا تَعيين الفاعل:**

ويُحذَف الفاعلُ في القرآن الكريم للاهتمامِ بأثر الفِعل، لا تعيينِ الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾(٢).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ فاعل الاستهزاء، فبُنِيَ الفِعل إلى المجهول؛ لأن المقصودَ هنا هو ترتُّب أثرِ الاستهزاء لا تعيين المستهزئين"(٣).

**٣- العِلم به:**

يُحذَفُ الفاعلُ للعِلم به، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾(٤).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ فاعلُ الوحي، وبُنِيَ فِعلُه للمجهول؛ للعِلم بالفاعل الذي أوحاهُ إليه، وهو الله تعالى"(٥)، ويُعزِّز ذلك قول ابن عطية: "وفي «أوحي» ضميرٌ عائد على اللهِ تعالى من قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ "(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٥٦).
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠.
(٣) التحرير والتنوير، (٧/١٤٧).
(٤) سورة الأنعام، الآية ١٩.
(٥) التحرير والتنوير، (٧/١٦٨).
(٦) التحرير والتنوير، (٢/٢٧٥).

سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

قال ابن عاشور: "حُذِفَ فاعلُ التِّلاوة؛ لظهورِ أنه الرسول ﷺ؛ إذ هو تالي آياتِ اللهِ، فالإشارة في قولِهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ﴾ إلى الرسول ﷺ، واستحْضَروه بطريق الإشارة دون الاسمِ؛ إفادةً لحُضوره مجلسَ التِّلاوة، وذلك من تمامِ وَقاحتِهم"[2].

٤- لخَفائه عن إدراك عُموم المخاطَبين.

يحذَفُ الفاعل لخَفائه عن إدراك عُموم المخاطَبين، كما في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[3].

قال ابن عاشور: "حُذِفَ فاعلُ التزيين؛ لخفائه عن إدراكِ عموم المخاطبين؛ لأنَّ ما يدلُّ على الغرائز والسَّجايا، لما جُهِلَ فاعلُه في متعارَف العمومِ، كان الشأنُ إسنادَ أفعاله للمجهول، كقولهم: عُنِيَ بكذا، واضْطُرَّ إلى كذا، لا سيما إذا كان المرادُ الكنايةَ عن لازم التزيين؛ وهو الإغضاءُ عما في المزيَّن من المساوئ؛ لأن الفاعل لم يبْقَ مقصودًا بحال، والمزيَّن في نفْس الأمرِ هو إدراكُ الإنسان الذي أحبَّ الشَّهوات، وذلك أمرٌ جِبلِيٌّ جعله الله في نظام الخِلْقة"[4]. والفاعل على الحقيقةِ هو اللهُ -سبحانه- بخلْقِه الجِبلَّات لا بدعوتِه، أما الأسباب القريبةُ المباشرة فهو الشيطانُ، أو ميلُ النفس إلى الشهواتِ، أو ترغيبُ القُرَناء"[5].

**٥- إذا جرى مَجرى المثل:**

يُحذَفُ الفاعل ليَصلُح الكلامُ للتمثُّل به في كلِّ مقام، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ

(١) سورة سبأ، الآية ٤٣.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٢٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤.

(٤) التحرير والتنوير، (٣/١٨٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (٣/١٨٠) بتصرف.

عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

قال ابن عاشور: "تركيبُ ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ شاع، فجَرى مجرى المثَلِ، فحُذِفَ الفاعل؛ ليَصلُح التمثُّل به في كلِّ مقام"(٢).

ويُحذَفُ الفاعلُ لدلالة المقامِ عليه حتى يصير كالمثَلِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ فاعل ﴿تُقَطَّعَ﴾ على قِراءة الفتح؛ لأن المقصودَ حصول التقطُّع، ففاعلُه اسم مُبْهمٌ مما يصلُح للتقطُّع، وهو الاتصال، فيُقدَّر: لقد تقطَّع الحبل أو نحوه، قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾(٤)، وقد صار هذا التركيبُ كالمثَلِ بهذا الإيجازِ... وقد حَسُنَ حذفُ الفاعل في الآية على هذه القراءة؛ لدلالة المقامِ عليه، فصار كالمثلِ(٥).

**٥- للتعظيم:**

يُحذَفُ الفاعلُ لتعيُّنه وعدمِ احتمال غيرِه تعظيما له، كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٨.

(٢) وهناك آيات أخرى ذكرها ابن عاشور منها: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]. وذكر ابن عاشور أيضًا- أنه إذا جاء في غير طريقة المثل يُصرَّح بفاعله كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾. انظر: التحرير والتنوير (٢٦٩/٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية ٩٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٦٦.

(٥) وقد شاع في كلام العرب ذكر التقطع مستعارًا للبُعد وبطلان الاتصال تبعًا لاستعارة الحبْل للاتصال، كما قال امرؤ القيس:

تَقطَّـعَ أسبـابُ اللُّبانـةِ والهَـوَى عَشِيَّـةَ جـاوزْنَا حَمَـاةَ وَشَيْـزَرَا.

البيت في ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، ص ٩٥، وانظر: التحرير والتنوير، (٣٨٥/٧).

﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[1].

قال ابن عاشور: "لم يُصرَّح بمَن غاض الماء، ولا بمَن قضى الأمْرَ وسوَّى السفينة، وقال: ﴿بُعۡدٗا﴾، كما لم يُصرَّح بقائل: يا أرضُ، ويا سماء في صدْر الآية، سلوكًا في كلِّ واحد من ذلك لسَبيل الكنايةِ أن تلك الأمورَ العِظامَ لا تتأتَّى إلا من ذي قُدرة لا يُكتَنه، قهَّارٍ لا يُغالَب، فلا مجالَ لذَهاب الوهمِ إلى أن يكون غيرُه -جلَّت عظمتُه- قائلًا: يا أرضُ، ويا سماء، ولا غائضًا ما غاض، ولا قاضيًا مثلَ ذلك الأمرِ الهائل، أو أن تكون تسويةُ السفينة وإقرارُها بتسويةِ غيرِه وإقراره"[2].

وجاء في الكشَّاف: "مَجِيءُ أخباره على الفِعل المبنيِّ للمفعول؛ للدلالة على الجلالِ والكبرياء، وأنَّ تلك الأمور العِظامَ لا تكون إلا بفِعلِ فاعلٍ قادر، وتكوينِ مُكوِّن قاهرٍ، وأنَّ فاعلها فاعلٌ واحد لا يُشارَك في أفعاله، فلا يَذهب الوهمُ إلى أن يقول غيرُه: يا أرضُ ابْلَعي ماءك، ويا سماءُ أقْلعي، ولا أنْ يقضيَ ذلك الأمرَ الهائل غيرُه، ولا أن تستويَ السفينةُ على متْن الجُودي وتستقرَّ عليه إلا بتسويته وإقرارِه"[3].

**٦- عدم تحقُّق غرضٍ معيَّن بذكر الفاعل:**

يُحذَفُ الفاعل للتعميم والاختصارِ؛ لاقتضاء المفعولِ إياه، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[4].

قال ابن عاشور: " ﴿فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ مصدر مضافٌ إلى الخيرات، ويتعيَّن أنه مضافٌ

(١) سورة هود، الآية ٤٤.

(٢) التحرير والتنوير، (٨١/١٢).

(٣) الكشاف، (٣٩٨/٢).

(٤) سورة الأنبياء، الآية٧٣.

إلى مفعوله؛ لأن ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ مفعولةٌ وليست فاعلةً، فالمصدر هنا بمنزلة الفِعل المبنيِّ للمجهول؛ لأن المقصود هو مفعولُه، وأما الفاعل فتبَعٌ له، أي: أن يفعَلوا هم، ويفعل قومُهم الخيراتِ، حتى تكون الخيراتُ مفعولةً للناس كلِّهم، فحُذِفَ الفاعل للتعميم مع الاختصارِ؛ لاقتضاء المفعولِ إياه. ويجوز أن يكون ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ هو الموحَى به، أي: وأوحينا إليهم هذا الكلامَ، فيكون المصدر قائمًا مقام الفعل مرادًا به الطلبُ، والتقدير: افعلوا الخيرات"(١).

ويُحذَف الفاعل للاهتمامِ بالقول دون القائلِ، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "قائل: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ ملائكةُ المحشرِ أو خزنةُ جهنَّم، فعُدِلَ عن تعيين القائل؛ إذ المقصود المقولُ دون القائلِ، فحَذْفُ القائلِ من الإيجاز"(٣). أما الزمخشري فذكَر أن القائلين في الآية هم الزَّبانية(٤)، والظاهر أن ابن عاشورٍ نقَل عنه ولكن بتصرُّفٍ في العبارة.

**٧- إفادةُ العموم:**

يُحذَفُ الفاعل ليُفِيد عموم الفاعلينَ، كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾(٥).

قال ابن عاشور: "بُنِيَ فِعلُ ﴿تُكَلَّفُ﴾ للنائب؛ ليُحذَف الفاعل، فيُفيد حذْفُه عمومَ الفاعلين، كما يُفيد وقوعَ ﴿نَفْسٌ﴾ -وهو نكرة- في سياق النفيِ عمومَ المفعول الأولِ لفِعل

(١) التحرير والتنوير، (١١٠/١٧).

(٢) سورة الملك، الآية ٢٧.

(٣) التحرير والتنوير، (٥١/٢٩).

(٤) انظر: الكشاف، (٥٨٢/٤).

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

﴿تُكَلَّفُ﴾؛ وهو الأنفس المكلَّفة"(١).

**وقوله تعالى:** ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾(٢).

قال ابن عاشور: "إسنادُ الفِعلين: (يُكفَر- يُسْتهزَأ) إلى المجهولِ؛ لتتأتَّى -بحذْف الفاعل- صلاحيةُ إسنادِ الفِعلين إلى الكافرين والمنافقين، وفيه إيماءٌ إلى أن المنافقين يركَنون إلى المشركين واليهود؛ لأنهم يَكفُرون بالآيات ويستهزئون، فتَثلِج لذلك نفوسُ المنافقين؛ لأن المنافقين لا يسْتطيعون أن يتظاهَروا بذلك للمسلمين، فيَشفي غليلَهم أن يسمَع المسلمون ذلك من الكفَّار"(٣).

ويحتمل الفِعلُ فاعلَين لإفادةِ معنيين، فيُحذَفُ الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(٤).

قال ابن عاشور: "الفعل ﴿ضُرِبَ﴾ لم يُذكَرْ فاعلُه، فبُنِيَ للنائب؛ لإفادةِ احتمالين: أحدهما: أن يُقدَّر الفاعلُ اللهَ تعالى، وأن يكون المثلُ تشبيهًا تمثيليًّا، أي: أوضَح الله تمثيلًا يوضِّح حال الأصنامِ في فرْط العجْز عن إيجادِ أضعف المخلوقاتِ، كما هو مُشاهَدٌ لكل أحدٍ.

والثاني: أن يُقدَّر الفاعلُ المشركين، ويكون المثلُ بمعنى المماثِل، أي: جعَلوا أصنامهم مُماثِلةً لله تعالى في الإلهيَّة"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير، (٢/٤٣٣).

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٠.

(٣) التحرير والتنوير، (٥/٢٣٥).

(٤) سورة الحج، الآية ٤٣.

(٥) التحرير والتنوير، (١٧/٣٣٧).

ويَذكر ابن عطية خلافًا في الفاعل: "قالت فرقةٌ: إن المعنى: ضرَب أهلُ الكفر مثلًا لله أصنامَهم وأوثانَهم، فاستَمِعوا أنتم أيها الناس لأمرِ هذه الآلهةِ، وقالت فرقةٌ: ضرَبَ اللهُ مثلًا لهذه الأصنام، وهو كذا وكذا، فالمثالُ والمثلُ في القول الأول هي الأصنامُ، والذي جُعِلَ له المثالُ اللهُ تعالى"(١).

إنَّ حذْف الفاعلِ جائزٌ إذا أُقيمَ المفعولُ مَقامَه، وهذا يُضيفُ للمعنى إفادةَ أكثرَ مِن احتمالٍ للفاعل، أو صَرْفَ الاهتمام للفِعل وتأثيره، أو لتعظيمِه؛ إذ لا يَصلُح الفعلُ إلَّا له، أو لخفائِه عن إدراك عُموم المخاطَبِين. أو غير ذلك ممَّا يَقتضيه المعنى وتتَّسع له الدَّلالةُ.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١٣٣/٤).

# المبحث الثاني
# حــذْف المُســنَد

## المطلب الأول
## حـذْف الخبر

الخبرُ أحدُ رُكني الجُملة الاسمية، ويقَع عليه الحذْف كما يقَع على المبتدأِ، ولا يُحذَفُ إلا لمزيدِ فائدة، ومن دواعي حذْفه: الاحترازُ عن العبث، ويُحذَفُ خبرُ (لا) النافية لظهورِه، وكذلك يُلتزَمُ حذْف الخبر في القسَم اكتفاءً بدلالة اللامِ على معنى القسم؛ لأنَّ الحلِفَ كثيرُ الدوران على الألسنةِ، ويُحذَفُ الخبر تكثيرًا لوجوه احتمالِ المقدَّر، أو لدلالة ما قبْله عليه، أو لدلالة اللاحقِ عليه، أو عندما لا يكون المقصودُ بالخبر الفائدةَ، وغيرها.

ولحذْفِ الخبرِ في القرآن عند ابن عاشور أغراضٌ ومواضعُ؛ منها:

**١- تكثيرُ وجوه الاحتمالِ:**

يُحذَفُ الخبر تكثيرًا لوجوه الاحتمال في المقدَّر، كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)].

قال ابن عاشور: "والمصدر المؤوَّل بعد (أنَّ) في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مبتدأٌ حُذِفَ خبره، أو خبرٌ حُذِفَ مبتدؤه"[(٢)]. وتظهر قيمةُ هذا الحذْف "لِما يُفيده الإتيانُ بحرف (أنَّ) من الإسناد مرَّتين تأكيدًا؛ ولأنَّ في حذْف أحد رُكني الإسناد تكثيرًا لوجوهِ الاحتمال في المقدَّر"[(٣)].

(١) سورة الأنفال، الآية ٤١.

(٢) التحرير والتنوير، (٧/١٠).

(٣) التحرير والتنوير، (٨/١٠).

ويحتمل المقدَّر أن يكونَ (ثابت / واجب / حق / لازم) كما ذكَره الزمخشريُّ في الكشَّاف[١].

**٢- اكتفاء بدلالة اللام على معنى القسم:**

يُحذَفُ الخبر حذفًا لازمًا في استعمال العرب اكتفاءً بدلالة اللَّام على معنى القسَم، كما في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢]. قال ابن عاشور: "كلمة ﴿لَعَمْرُكَ﴾ صِيغةُ قسَم، واللامُ الداخلة على لفظ (عمر) لامُ القسَم... وهو في الاستعمالِ إذا دخَلت عليه لام القسَم رفَعوه على الابتداءِ، محذوفُ الخبر وجوبًا، والتقديرُ: لعَمْرُك قَسَمي. وهو من المواضع التي يُحذَفُ فيها الخبر حذفًا لازمًا في استعمال العرب؛ اكتفاءً بدلالة اللَّام على معنى القسَم"[٣]؛ و"لأن الحلِفَ كثيرُ الدور على ألسِنتهم"[٤].

**٣- لظهورِه:**

يُحذَفُ الخبرُ لظهوره، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

قال ابن عاشور: "ويكون خبر (لا) محذوفًا لظهوره، أي: لا ريبَ موجودٌ، وحذْف الخبر مُستعمَلٌ كثيرًا في أمثاله، نحو: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ﴾[٦] وقول العرب: لا بأس، وقول سعد بن مالك:

مَـــــن صَـــــدَّ عـــــنْ نِيرَانِهَـــــا فأَنَـــــا ابْـــــنُ قَـــــيسٍ لا بَـــــرَاحَ[٧]

أي: لا بقاء في ذلك، وهو استعمال مجازيٌّ"[٨].

---

(١) الكشاف، (٢/٢٢٠).

(٢) سورة الحجر، الآية ٧٢.

(٣) التحرير والتنوير، (١٤/٦٧).

(٤) الكشاف، (٢/٥٨٦).

(٥) سورة البقرة، الآية ٢.

(٦) سورة الشعراء، الآية٥٠.

(٧) شرح ديوان الحماسة، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، دار القلم – بيروت، (١/١٩٣).

(٨) التحرير والتنوير، (١/٢٢٣).

وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾(١).

قال ابن عاشور: "خبر (لا) النافيةِ محذوفٌ لظهوره؛ إذ التقديرُ: لا جرمَ موجودٌ، وحذْف الخبر في مثله كثيرٌ"(٢).

**٤- دلالة ما قبْله عليه:**

يُحذَفُ الخبرُ لدلالة ما قبْله عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "عُطِفَ ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ على ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ عطْفَ المفردِ على المفرَد، ولم يُعرِّج المفسِّرون على بيان المناسبةِ لذِكْر حِلِّ المحصَنات من المؤمنات في أثناء إباحةِ طعام أهل الكتابِ، وإباحة تزوُّجِ نسائهم، وعندي: أنه إيماءٌ إلى أنهنَّ أولى بالمؤمنين من مُحصنات أهل الكتاب، والمقصود هو حُكم المحصنات من الذين أُوتوا الكتاب؛ فإن هذه الآيةَ جاءت لإباحة التزوُّج بالكتابيات، فالتقديرُ: والمحصَنات من الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم"(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(٥).

(١) سورة النحل، الآية ٢٣.

(٢) التحرير والتنوير، (١٢٩/١٤).

(٣) سورة المائدة، الآية ٥.

(٤) التحرير والتنوير، (١٢٣/٦).

(٥) سورة النحل، الآية ٣٠.

قال ابن عاشور في قولِه: ﴿وَلَنِعْمَ﴾: " (نعم) فِعلُ مدحٍ غيرُ متصرِّف، ومرفوعُه فاعل دالٌّ على جنس الممدوحِ، ويُذكَر بعده مرفوعٌ آخر يُسمَّى المخصوصَ بالمدْح، وهو مبتدأٌ محذوف الخبرِ، أو خبرٌ محذوفُ المبتدأِ، فإذا تقدَّم ما يدلُّ على المخصوص بالمدْح لم يُذكَر بعدَ ذلك، كما هنا؛ فإنَّ تقدُّم ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ دلَّ على أن المخصوص بالمدْح هو دارُ الآخرة، والمعنى: ولنِعْمَ دارُ المتَّقين دارُ الآخرة"(١).

**٥- عندما لا يكون الخبرُ محلَّ الفائدة:**

ويُحذَفُ الخبرُ عندما يكون الكلام مُستعملًا في معنًى غير الإخبارِ، ولم يكن المقصودُ بالخبر الفائدةَ؛ لأنها ضروريةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾(٢).

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿أَن تُلْقِىَ﴾ وقوله: ﴿أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ يجوز كونُهما في موضعِ رفْعٍ بالابتداء، والخبرُ محذوف، أي: إمَّا إلقاؤك مُقدَّم، وإما كونُنا مُلْقين مقدَّم، وقد دلَّ على الخبر المقامُ؛ لأنهم جاؤوا لإلقاء آلاتِ سِحرهم، وزعَموا أن موسى مثْلُهم... ولما كان الواقعُ لا يخلو عن أحد هذين الأمرينِ لم يكن المقصود بالخبر الفائدةَ؛ لأنها ضرورية، فلا يَحسُن الإخبار بها، مثلُ: السماءُ فوقنا، فتعيَّن أن يكون الكلام مُستعملًا في معنًى غير الإخبار، وذلك هو التخيير، أي: إما أنْ تبتدِئَ بإلقاء آلات سِحرك، وإما أن نبتدِئَ، فاختَرْ أنت أحدَ الأمرين، ومِن هنا جاز جَعْل المصدرين المنْسَبِكَينِ في محلِّ نصبٍ بفِعلِ تخييرٍ محذوفٍ، كما قدَّره الفرَّاء، وجوَّزه في «الكشاف» في سورة (طه)، "أي: اختَرْ أن تُلقِي أو كونَنا المُلْقِين، أي: في الأوَّلية"(٣).

(١) التحرير والتنوير، (١٤/١٤٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية ١١٥.

(٣) التحرير والتنوير، (٩/٤٦-٤٧).

**٦- دلالة السياق:**

يُحذَفُ الخبر لدلالة السِّياق، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾(١).

قال ابن عاشور: "استُعِير ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لمعنى: لا أترُك، أو لا أكفُّ عن السير حتى أبلُغَ مجمع البحرينِ. ويجوز أن يكون مضارعَ (برح) الذي هو فِعلٌ ناقص لا يُستعمَل ناقصًا إلا مع النفي، ويكون الخبرُ محذوفًا؛ بقرينة الكلام، أي: لا أبرحُ سائرًا"(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "خبر (إن) محذوفٌ دلَّ عليه سياق الكلام، والأحسنُ أن يكون تقديرُه بما تدلُّ عليه جُملة الحالِ من جلالة الذِّكر ونَفاسته، فيكون التقديرُ: خسِروا الدنيا والآخرةَ، أو سَفِهوا أنفسَهم، أو نحو ذلك مما تَذهب إليه نفس السامع البليغ؛ ففي هذا الحذف توفيرٌ للمعاني، وإيجازٌ في اللفظ يقوم مقامَ عدَّة جُمَل، وحذْف خبر (إن) إذا دلَّ عليه دليلٌ: واردٌ في الكلام"(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٥).

قال ابن عاشور: "ارتفَع ﴿مَكْرُ﴾ على الابتداء، والخبرُ محذوف دلَّ عليه مقابَلة هذا الكلامِ بكلام المستكبرين؛ إذ هو جوابٌ عنه، فالتقدير: بل مَكرُكم صدَّنا"، فيُفيد القصرَ، أي:

(١) سورة الكهف، الآية ٦٠.

(٢) التحرير والتنوير، (٣٦١/١٥).

(٣) سورة فصلت، الآية ٤١.

(٤) التحرير والتنوير، (٣٠٧/٢٤).

(٥) سورة سبأ، الآية٣٣.

ما صدَّنا إلا مكرُكم، وهو نقض تامٌّ لقولهم: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ﴾[1] وقولهم: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ "[2].

**٧- دلالة اللاحقِ:**

يُحذَفُ الخبرُ لدلالة اللاحقِ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3].

قال ابن عاشور: " (مَن) موصولة مبتدأٌ، والخبر محذوف دلَّ عليه قوله: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ مما اقتضاه حرفُ الاستدراك من مخالَفة حالِه لحال مَن حقَّ عليه كلمةُ العذاب، والتقدير: أفمَن شرَح الله صدرَه للإسلام، فهو على نورٍ مِن ربه؛ مِثْلُ الذي حقَّ عليه كلمة العذاب، فهو في ظلمة الكفر، أو تقديره: مِثلُ مَن قسَا قلبُه؛ بدلالة قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾، وهذا من دلالة اللاحقِ"[4].

وقد عدَّ الرازي هذه الآيةَ مِن محذوف الخبرِ، وقدَّره بقوله: "أفمَن شرَح الله صدرَه للإسلام، فاهتدى، كمَن طُبِعَ على قلبِه، فلم يَهتدِ لقسوته، والجوابُ متروك؛ لأن الكلام المذكورَ دلَّ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ﴾ "[5].

وقدْ ظهَرتْ جُملةٌ مِن الغاياتِ التي يَكتسِبُها النصُّ بحَذْفِ الخبر، كزِيادة وُجوهِ احتمال المقدَّر؛ ولأنَّ القَسَم كثيرُ الدَّورانِ على الألسِنةِ الْتُزِمَ حذْفُ الخبرِ وجوبًا؛ اكتفاءً بدَلالة اللام عليه، إلى غيرِ ذلك ممَّا يختصُّ به السِّياقُ.

(١) سورة سبأ، الآية ٣٢.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٠٨/٢٢).

(٣) سورة الزمر، الآية٢٢.

(٤) التحرير والتنوير، (٣٧٩/٢٣).

(٥) مفاتيح الغيب، (٤٤١/٢٦).

## المطلب الثاني
## حذْف الفعـل

يُحذَفُ الفِعلُ في الجملة رغمَ أهميَّته؛ لأن هناك دواعيَ ترجِّح الحذف على الذِّكر، وتكون الدلالةُ بتَرْكِه أبلغَ؛ إما للتعظيمِ، أو التهويلِ، أو التحذير، ومِن ذلك حذفُ فِعل القولِ إذا تكرَّر؛ استغناءً بدلالة القول الأولِ عليه، مما يُضيف إلى الاختصار مزيَّةَ التتابع، ويكثرُ في القرآن تصويرُ المستقبل بصورة الحيِّ المشاهَدِ عن طريق حذْف الفعل؛ لأنَّ ذلك أعمقُ في التأثير وأقربُ إلى اليقين، ولحذْف الفِعل غاياتٌ أخرى تظهرُ فيما يلي:

**١- لإفادة مُفادِ جُملتينِ:**

يُحذَفُ الفِعلُ ليُفيد مُفادَ جُملتينِ بإيجازٍ، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(١).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ فِعلُ ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾، فصار مفيدًا مُفادَ جملتين متماثلتينِ مع إيجازٍ بديع، وتقديرُ معنى الكلام: "قلْ: فلْيفرحوا بفضْل الله وبرحمتِه لا سِواهما، فلْيَفرحوا بذلك لا سِواه"(٢).

ويرى الزمخشريُّ أنَّ "أصل الكلامِ: "بفضْل الله وبرحمته فلْيَفرحوا، فبذلك فلْيَفرحوا"، والتكريرُ للتأكيدِ والتقرير، وإيجابُ اختصاص الفضْلِ والرحمة بالفرحِ دون ما عداهما من فوائد الدُّنيا، فحُذِفَ أحدُ الفِعلينِ لدلالة المذكورِ عليه، والفاءُ داخلةٌ لمعنى الشرط؛ كأنه قِيل: إنْ فَرِحوا بشيءٍ فلْيخُصُّوهما بالفرحِ؛ فإنه لا مفروحَ به أحقُّ منهما. ويجوز أن يُراد: بفضْل الله وبرحمتِه فلْيَعتنوا، فبذلك فلْيَفرحوا. ويجوز أن يُراد: قد جاءتكم موعظةٌ بفضْل الله وبرحمته،

(١) سورة يونس، الآية ٥٨.

(٢) التحرير والتنوير، (١١/٢٠٤).

﴿فَبِذَٰلِكَ﴾: فبمَجِيئها فلْيَفرحوا"[1].

ويقول الشوكانيُّ: "قلْ: بفضْل الله وبرحمته فلْيَفرحوا"، ثم حُذِفَ هذا الفِعلُ لدلالة الثاني في قولِه: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ عليه، قِيل: والفاء في هذا الفِعلِ المحذوف داخلةٌ في جواب شرطٍ مقدَّر، كأنه قِيل: إنْ فَرِحوا بشيء فلْيخُصُّوا فضْل الله ورحمَته بالفرح، وتكريرُ الباء في ﴿بِرَحْمَتِهِۦ﴾؛ للدلالة على أنَّ كل واحدٍ من الفضل والرحمة سببٌ مُستقلٌّ في الفرح"[2].

**٢- لدلالة القول الأولِ عليه:**

يُحذَفُ فِعلُ القولِ لدلالة القول الأولِ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[3].

قال ابن عاشور: "التقدير: بلْ قالوا: افتراه، بلْ قالوا: هو شاعر، وحُذِفَ فِعلُ القول؛ لدلالة القول الأولِ عليهما. وعلى هذا الوجه يجوز أنْ يكون المحكيُّ كلامَ جماعاتٍ من المشركين انتحَلت كلُّ جماعة اعتلالًا"[4].

**٣- لتَمثيل قائلِ القولِ كالحاضر:**

يُحذَفُ فِعلُ القول لتمثيلِ قائل القول كالحاضر وقتَ نُزول الآية، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ﴾ مقولٌ لقولٍ محذوفٍ... إنما حُذِفَ فِعلُ القول؛ لتمثيلِ قائل القول كالحاضرِ وقتَ نزول هذه الآيةِ، وقد سمِع كلامَهم وعَلِمَ

(١) الكشاف، (٣٥٣/٢).

(٢) فتح القدير، (٥١٦/٢).

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٥.

(٤) التحرير والتنوير، (١٦/١٧).

(٥) سورة الأحقاف، الآية ٢٤.

غرورَهم؛ فنطَق بهذا الكلام ترويعًا لهم"(١).

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾(٢).

قال ابن عاشور: "في الكلامِ حُذِفَ فِعلُ قولٍ يدلُّ عليه المقامُ، والتقدير: إنْ قُلتم: هؤلاء آلهتنا، فقد كذَّبوكم، وقد جاء التصريحُ بما يدلُّ على القول المحذوفِ في قول عباسِ بن الأحنَف:

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا(٣)

أي: إن قُلتم ذلك، فقد جِئنا خراسانَ، وفي حذْف فِعلِ القول في هذه الآية استحضارٌ لصورة المقامِ كأنه مُشاهَدٌ غيرُ مَحكيٍّ، وكأنَّ السامع آخرَ الآيةِ قد سمِع لهذه المحاورةِ مباشرةً دون حكايةٍ، فقرَع سمْعَه شَهادةُ الأصنام عليهم، ثم قرَع سمْعَه توجُّهُ خِطاب التكذيب إلى المشهودِ عليهم، وهو تفنُّنٌ بديعٌ في الحكايةِ يَعتمِد على تخييل المِحكيِّ واقعًا"(٤).

ويُقدِّر الشوكانيُّ المحذوفَ بقوله: "فقال اللهُ عند تبرُّؤ المعبودين، مُخاطِبًا للمشركين العابدين لغير اللهِ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾، أي: فقد كذَّبكم المعبودون بما تقولون، أي: في قولِكم: إنهم آلهةٌ، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾، أي: الآلهةُ، ﴿صَرْفًا﴾، أي: دفْعًا للعذاب عنكم بوجْه من الوجوهِ"(٥).

---

(١) وهذا من استحضار الحالة العجيبة، كقول مالك بن الريب:

دَعَانِي الهَوَى مِن أَهْلِ وُدِّي وَجِيرَتِي بِذِي الشَّيِّطَيْنِ فَالْتَفَتُّ وَرَائِيَا

فتخيَّل داعيًا يدعوه فالتفَتَ، وهذا من التخيُّل في الكلام البليغ.

والبيت في ديوان مالك بن الريب، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ١٥ الجزء ١، ٨٩. وخزانة الأدب، (٢٠٣/٢). وانظر: التحرير والتنوير، (٥٠/٢٦).

(٢) سورة الفرقان، الآية ١٩.

(٣) ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م - ١٣٧٣هـ. ص٢٧٩.

(٤) التحرير والتنوير، (٣٤١/١٨).

(٥) فتح القدير، (٧٩/٤).

**٤- للتهويل:**

يُحذَفُ الفِعلُ لقصد التهويلِ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَاهُمْ يُنظَرُونَ ﴾(١).

قال ابن عاشور: "صاحب «الكشَّاف» جعَل (إذا) ظرفًا مُجرَّدًا عن معنى الشرطية، منصوبًا بفِعلٍ محذوفٍ؛ لقصد التهويل، يقْتضي تقديرُه عدمَ وجودِ متعلَّق للظرفِ؛ ليُقدَّر له مُتعلَّقٌ بما يُناسِبُ، والتقدير: إذا رأى الذين ظلَموا العذاب ثقُلَ عليهم وبغَتَهم، وعلى هذا فالفاءُ في قولِه: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ فصيحةٌ، وليست رابطةً للجواب"(٢).

**٥- لصلاحية الجملةِ لكلِّ مقام:**

يُحذَفُ الفِعلُ لصلاحية الجملةِ لكلِّ مقام، كما في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "اعْلَم أن مُتعلَّق المجرورِ في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ محذوفٌ، تقديرُه هنا: أقرَأُ، وسببُ حذْف مُتعلَّق المجرور: أنَّ البسملة سُنَّت عند ابتداءِ الأعمال الصالحة، فحُذِفَ مُتعلَّق المجرور فيها حذْفًا مُلتزَمًا إيجازًا؛ اعتمادًا على القرينة"(٤). ثم ذكَر فائدةَ حَذفِ فِعلِ البسملة بقوله: "وقد أسعَف هذا الحذفُ بفائدةٍ؛ وهي صُلوحيةُ البسملة لِيَبْتدِئَ بها كلُّ شارعٍ في فِعلٍ، فلا يَلجأُ إلى مُخالَفة لفظِ القرآن عند اقتباسِه، والحذفُ من قَبِيل الإيجاز؛ لأنه حذْفُ ما قد يُصرَّح به في الكلام"(٥).

ويُعلِّل الزركشي حذْف الفِعل في البسملةِ؛ لأنَّ الحذف أعمُّ من الذِّكر؛ فإنَّ أيَّ فعلٍ ذكرته كان المحذوفُ أعمَّ منه؛ لأن التسمية تُشرَعُ عند كلِّ فعلٍ، وعلى ذلك فالفعلُ يُقدَّر بما يَلِيق في

(١) سورة النحل، الآية ٨٥.

(٢) التحرير والتنوير، (١٤/٢٤٦).

(٣) سورة الفاتحة، الآية ١.

(٤) التحرير والتنوير، (١/١٤٦).

(٥) التحرير والتنوير، (١/١٤٦).

كلِّ موضع جُعِلَت التسمية في مبدئه؛ من قراءةٍ، أو أكلٍ، أو شربٍ، ونحوه؛ ففي القراءةِ: أقرأ، وفي الأكل: آكُل... وهكذا(١).

**٦- للتعظيم:**

قد يُحذَفُ الفِعلُ ويَنوب عنه المصدرُ المنوَّنُ دلالةً على التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ خبرُ ﴿سَلَٰمٌ﴾ لنيابة المفعولِ المطلَقِ، وهو قوله: ﴿قَوْلًا﴾ عن الخبرِ؛ لأن تقديرَه: سلامٌ يُقال لهم قولًا مِن الله"، والذي اقْتَضى حذْفَ الفِعلِ ونيابةَ المصدر عنه: هو استعدادُ المصدر لقَبول التنوينِ الدالِّ على التعظيم"(٣).

**٧- لدلالة المقام:**

يُحذَفُ الفِعلُ لدلالة المقامِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٤).

ذكَر ابنُ عاشور أنَّ " ﴿مِلَّةَ﴾ منصوبةٌ بإضمار الفِعلِ (تتبع) لدلالة المقامِ؛ لأن ﴿كُونُوا۟ هُودًا﴾ بمعنى: اتَّبِعوا اليهوديَّةَ، وقد تكون منصوبةً عطفًا على ﴿هُودًا﴾، والتقدير: بل نكون ملَّةَ إبراهيمَ، أي: أهلَ مِلَّتِه"(٥).

ممَّا سبَق تَبيَّن أنَّ الفِعل يترجَّح حذْفُه ليُفيدَ الكلامُ مفادَ جُملتين، فيُحذفُ أحدهما لدَلالة الآخَر عليه، ويكثُر هذا في فِعل القول، وقد يكون سِياقُ النصِّ القرآني مستقبليًّا فيُحذف الفعلُ لتخييل الحال واقعًا؛ فيكون أبلغَ في التأثيرِ وأوقعَ في النفْس. وجديرٌ بالعناية تأمُّلُ

(١) البرهان في علوم القرآن، (٣/١١٠).

(٢) سورة يس، الآية ٥٨.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٣/٤٤).

(٤) سورة البقرة، الآية ١٣٥.

(٥) التحرير والتنوير، (١/٧٣٧).

صلاحية البَسملة للابتداء بكلِّ عَمل، ومردُّ هذا لحذْفِ الفِعل وتقديرِ ما يُناسِبُ كلَّ موقف بحَسَبه. وقد ينوبُ المصدرُ المنوَّنُ عن الفِعل المحذوف فيَملأ النفْسَ تعظيمًا.

# المبحث الثالث
# حذْف المتعلِّقات

## المطلب الأول
## حذْف المفعول به

شاع حذْفُ المفعول به في القرآنِ لأغراض كثيرةٍ، أدْرَكها ابنُ عاشور وذكَرها في تفسيرِه، ويُعَدُّ المفعولُ به من متعلِّقات الفِعلِ، وحذْفُه يكون لغاياتٍ كثيرة؛ لأنَّ "الحاجةَ إليه أمسُّ، وهو بما نحن بصَددِه أخصُّ، واللطائفُ كأنها فيه أكثرُ، ومما يَظهَرُ بسببه مِن الحُسن والرَّونق أعجَبُ وأظهرُ"(١).

وقسَّم عبدُ القاهر الجرجانيُّ في "دلائل الإعجاز" أغراضَ حذْف المفعول إلى قسمينِ:

**القسم الأول**: حذْفُ المفعولِ لإثباتِ معنى الفعلِ لا غيرُ، فيقول: "فاعْلَم أنَّ أغراض الناسِ تختلِف في ذِكرِ الأفعال المتعدِّية؛ فهم يَذكُرونها تارةً، ومُرادهم أنْ يَقتصِروا على إثبات المعاني التي اشْتُقَّت منها للفاعلين، مِن غيرِ أن يتعرَّضوا لذِكر المفعولين، فإذا كان الأمرُ كذلك، كان الفِعلُ المتعدِّي كغير المتعدِّي مثلًا، في أنك لا تَرى له مفعولًا: لا لفظًا، ولا تقديرًا"(٢).

**القسم الثاني**: "أنْ يكون له مفعولٌ مقصودًا، قصْدُه معلومٌ، إلا أنه يُحذَفُ من اللفظ لدليلِ الحال عليه، ويَنقسِم إلى جَلِيٍّ لا صنعةَ فيه، وخَفِيٍّ تَدخُله الصنْعةُ"(٣).

وذكَر ابنُ عاشور أغراضًا كثيرة لحذْف المفعولِ به؛ منها: إثباتُ الفِعل للفاعل، تنزيلًا له منزلةَ اللازمِ، وللعِلْم به، ولظهورِه، ولشَناعة ذِكرِه، ولدلالة مُقابِله عليه، ولقصْدِ الإجمال في

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٥٣.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٥٤.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ١٥٦.

الوعيدِ، وللتعميمِ، ولدلالة الكلامِ عليه، ولإفادةِ أكثرَ من احتمالٍ، وللاستغناء عنه بما رُتِّب عليه، ولشُهرتِه، ولدلالة الاستدراكِ، وللاهتمامِ بالفِعل، ويُحذَفُ مفعولُ المشيئة كثيرًا؛ لإغناءِ ما بعده عنه، وغير ذلك.

وفيما يَلي أغراضُ حذْفِ المفعول به، كما ورَدت عند ابن عاشورٍ:

**١- تَنزيل الفِعل المتعدِّي مَنزلةَ اللازم:**

**أ- لإثباتِ الفِعل للفاعل فقط وعدَم تعلُّقِه بمفعول:**

فيُحذَفُ المفعولُ به؛ لأن الغرضَ إسنادُ الفِعل إلى فاعلِه على الإطلاق، بيَّن ذلك عبدُ القاهر الجرجاني بقولِه: "وكلُّ موضعٍ كان القصدُ فيه أنْ تُثبِتَ المعنى في نفْسِه فِعلًا للشيء، وأنْ تُخبِرَ بأنَّ مِن شأْنه أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه؛ فإنَّ الفِعلَ لا يُعدَّى هناك؛ لأنَّ تعديته تُنقِضُ الغرضَ وتغيِّرُ المعنى؛ ألَا ترى أنك إذا قلتَ: هو يُعطي الدنانيرَ، كان المعنى على أنك قصدْتَ أنْ تُعلِمَ السامعَ أن الدنانير تَدخُل في عطائه، أو أنه يُعطيها خصوصًا دون غيرِها، وكان غرضُك على الجُملةِ بيانَ جِنس ما تناوَلَه الإعطاءُ، لا الإعطاء في نفْسِه، ولم يكن كلامُك مع مَن نفَى أن يكون كان منه إعطاءٌ بوجْهٍ من الوجوه، بل مع مَن أثبَت له إعطاءً، إلا لم يُثبِتْ إعطاءَ الدنانير. فاعرَفْ ذلك؛ فإنه أصلٌ كبيرٌ عظيمُ النفع"(١).

ومِن ذلك ما ورَد في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جُملة حاليَّةٌ، ومفعولُ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ متروكٌ؛ لأن الفِعلَ لم يُقصَدْ تعليقُه بمفعول، بل قُصِدَ إثباتُه لفاعلِه فقط، فنُزِّلَ الفِعلُ منزلةَ اللازم، والمعنى: وأنتم ذوو علم"(٣).

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣.

(٣) التحرير والتنوير، (١/٣٣٥).

ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ ﷺ قوله: "وإنما عنَى -تعالى ذِكْرُه- بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: لا تُشرِكوا بالله غيرَه من الأنداد التي لا تنفَع ولا تضرُّ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ لكم يَرزقُكم غيرُه، وقد عَلِمتم أن الذي يدْعوكم إليه الرسولُ ﷺ من توحيدِه هو الحقُّ لا شكَّ فيه"(١).

وقد جوَّز الزمخشريُّ في الآية الوجهينِ في الفِعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ لازمًا، أو مُتعدِّيًا لمفعول محذوفٍ، وبذلك تتعدَّد المعاني ويختلِف التقديرُ؛ فيقول: "ومفعولُ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ متروكٌ، كأنه قِيل: وأنتم مِن أهل العِلم والمعرفة"، والتوبيخُ فيه آكدُ، أي: أنتم العرَّافون المميَزون، ثم إنَّ ما أنتم عليه في أمْر دِيانتكم مِن جَعْلِ الأصنام لله أندادًا، هو غايةُ الجهل ونهايةُ سخافةِ العقلِ. ويجوز أن يُقدَّر: وأنتم تعلمون أنه لا يُماثَل، أو: وأنتم تعلمون ما بيْنه وبينها مِن التفاوُتِ. أو: وأنتم تعلمون أنها لا تَفعَل مِثلَ أفعالِه، كقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾(٢) "(٣).

ويرى سيد قُطب أنَّ قوله: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ يعني: "تعلمون أنه خلَقَكم والذين مِن قبلكم، وتعلمون أنه جعَل لكم الأرضَ فراشًا والسماء بِناءً، وأنزَل مِن السماء ماءً، وأنه لم يكُن له شريكٌ يُساعِد ولا نِدٌّ يُعارِض؛ فالشِّركُ به بعدَ هذا العِلم تصرُّفٌ لا يَليق! "(٤).

وكثيرًا ما يَعتري حذْفُ المفعولِ رُؤوسَ الآيِ، نحو: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، و﴿لِّقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾، و﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾(٥) وغيرها.

---

(١) تفسير الطبري، (١/٣٧٠).

(٢) سورة الروم، الآية ٤٠.

(٣) الكشاف، (١/٩٦).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢ هـ. (١/٤٧).

(٥) البرهان في علوم القرآن، (٣/١٦٥).

وعلى هذا النحوِ نُزِّلَ الفِعلُ منزلةَ اللازمِ في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾(١).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ «احْذَرُوا»؛ ليُنزَّلَ الفِعلُ منزلةَ اللازم(٢)؛ لأن القصْدَ التلبُّسُ بالحذَرِ في أُمور الدِّين، أي: الحذرِ من الوقوعِ فيما يأْباه الله ورسولُه، وذلك أبلغُ مِن أن يُقال: واحْذَروهما؛ لأن الفِعلَ اللازم يَقرُب معناه مِن معنى أفعالِ السَّجايا، ولذلك يَجِيءُ اسم الفاعلِ منه على زِنَةِ: (فَعِلَ)؛ كفَرِح ونَهِم"(٣).

وقدَّر الشوكانيُّ المحذوفَ بقوله: "أكَّد الله سُبحانه هذا التحريمَ بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾، أي: مخالفتَهما، أي: مخالفةَ الله ورسوله، فإنَّ هذا وإنْ كان أمرًا مطلقًا، فالمجِيءُ به في هذا الموضع يُفيد ما ذكرْناه من التأكيدِ"(٤). وقدَّره البيضاويُّ بقوله: "واحْذَروا ما نَهَيا عنه، أو مخالفتَهما"(٥).

**ب- للتهويل:**

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾(٦).

قال ابن عاشور: "لا مَحالةَ أنَّ جُملة ﴿وَٱسۡتَمِعۡ﴾ عطْفٌ على جُملة ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾(٧)؛ فالأمْرُ بالاستماع مُفرَّغٌ بالفاء التي فُرِّع بها الأمْرُ بالصبر على ما يقولون، فهو لاحقٌ بتَسليةِ النبي ﷺ، فلا يكون المسموعُ إلا مِن نوعِ ما فيه عنايةٌ به، وعقوبةٌ لمكذِّبيه.

وابتداءُ الكلام بـ«استمع» يُفيد توثيقًا إلى ما يَرِدُ بعده على كلِّ احتمال، والأمْرُ بالاستماع

(١) سورة المائدة، الآية٩٢.

(٢) وهذا التوجيه أورده صاحب بغية الإيضاح: بأن التعبير بالحذف عن مفعول الفعل المنزَّل منزلة اللازم تعبيرٌ من الوجهة البلاغية. يُنظر: بغية الإيضاح، (٢١٦/١).

(٣) التحرير والتنوير، (٣٠/٧).

(٤) فتح القدير، (٨٥/٢).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١٤٢/٢).

(٦) سورة ق، الآية ٤١.

(٧) سورة ق، الآية ٣٩.

حقيقتُه: الأمرُ بالإنصات والإصغاءِ.

وللمفسِّرين ثلاثُ طرقٍ في مَحمَل «استمع»؛ فالذي نحاه الجمهورُ حمْلُ الاستماعِ على حقيقتِه، وإذ كان المذكورُ عَقِبَ فِعل السمْع لا يَصلُح لأنْ يكون مسموعًا -لأن اليوم ليس مما يُسمَعُ- تعيَّن تقديرُ مفعولٍ لـ «استمع» يدلُّ عليه الكلامُ الذي بعده، فيُقدَّر: استمِعْ نداءَ المنادي، أو استمِع خبرَهم، أو استمِع الصيحةَ يوم ينادي المنادي، ولك أن تَجعَل فِعلَ «استمع» مُنزَّلًا منزلةَ اللازمِ، أي: كنْ سامعًا، ويتوجَّه على تفسيرِه هذا: أن يكون معنى الأمْرِ بالاستماع تخييلًا لصيحةِ ذلك اليوم في صورةِ الحاصل؛ بحيث يُؤمَرُ المخاطَبُ بالإصغاء إليها في الحالِ، كقول مالك بن الرَّيب:

دعَــانِي الهَــوَى مِــن أهْــلِ وُدِّي وَجِــيرَتِي بـــذِي الطَّبَسَـــيْنِ فالْتَفَـــتُّ وَرَائِيَـــا[1]

ونحَا ابنُ عطيَّة إلى حمْلِ «استمع» على المجاز، أي: انتظِرْ، قال: «لأن محمدًا ﷺ لم يُؤمَرْ بأن يَستمِع في يومِ النداء؛ لأن كلَّ مَن فيه يَستمِع، وإنما الآية في معنى الوعيد للكفَّار؛ فقيل لمحمدٍ ﷺ: تحسَّسْ هذا اليومَ وارْتَقِبْه؛ فإنَّ فيه تبيُّنَ صِحَّة ما قلْتُه» اهـ. ولم أرَ مَن سبَقه إلى هذا المعنى، ومثلُه في «تفسير الفخر» وفي «تفسير النَّسفي»، ولعلَّهما اطَّلعا عليه؛ لأنهما مُتأخِّران عن ابن عطية، وهما وإن كانا مَشرقيين، فإنَّ الكتبَ تُنقَل بين الأقطار.

وللزمخشريِّ طريقةٌ أخرى؛ إذ يقول: «يعني: واستمِعْ لِمَا أُخبِرُك به مِن حال يوم القيامة، وفي ذلك تهويلٌ وتعظيمٌ لشأْن المخبَرِ به، كما رُوِيَ أن النبي ﷺ قال لمعاذِ بن جَبل: «يا معاذُ، اسمَعْ ما أقول لك». ثم حدَّثه بعد ذلك، ولم أرَ من سبَقه إلى هذا، وهو مَحملٌ حَسن دقيقٌ"[2].

**ج- إفادة العموم:**

قد يُترَك المفعولُ، فيُصبح الفِعلُ بهذه الحالة مطلقًا؛ كنايةً عن الفعل متعلِّقا بمفعولٍ مخصوص، على حدِّ قول البُحتري يمْدح المعتزَّ، ويُعرِّض بالمستعين بالله:

(١) ديوان مالك بن الريب، ٨٩/١.

(٢) التحرير والتنوير، (٣٣٠/٢٦).

شَـــــجْوُ حُسَّـــــادِهِ وَغَـــــيْظُ عِـــــدَاهُ أَنْ يَـــــرَى مُبْصِـــــرٌ وَيَسْـــــمَعَ وَاعِ[1]

وقد رأى ابنُ عاشور مِثلَ هذا الترْكِ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[2].

قال ابن عاشور: "مفعولُ ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ محذوفٌ لقصدِ عُمومِ نفْي المبصَرات، فنُزِّلَ الفِعلُ منزلةَ اللازمِ، ولا يُقدَّر له مفعولٌ، كأنه قِيل: لا إحساسَ بصرٍ لهم"[3]، واسْتشهَد ابن عاشور ببيت البُحتري السابق.

وذكَر البيضاويُّ أنَّ "مفعول ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ مِن قَبِيلِ المطروح المتروكِ؛ فكأن الفِعلَ غيرُ مُتعدٍّ"[4].

ويرى الزمخشري أنَّ الفِعلَ ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ مُنزَّلٌ منزلةَ اللازمِ، فيقول: "والمفعول الساقطُ من ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ مِن قَبِيل المتروك المطْرَحِ الذي لا يُلتفَتُ إلى إخطارِهِ بالبالِ، لا مِن قَبِيل المقدَّر المنْويِّ، كأن الفِعلَ غيرُ مُتعدٍّ أصلًا"[5].

ونحَا ابنُ عاشور في الآية مَنْحى الزمخشري، وهو الأكثرُ دقَّةً في تقديرِ المحذوف، وزاد عليه بالاستشهاد بقولِ البُحتري؛ فالشِّعرُ ديوان العرب.

وقد يَتعدَّى الفِعلُ لمفعولٍ أو مفعولين، ويُترَكُ ذِكْرُهما تنزيلًا للفِعل منزلةَ اللازمِ؛ حتى تَذهب نفْسُ السامع كلَّ مذهبٍ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾[6].

(١) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د. ت، ص ١٢٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧.

(٣) التحرير والتنوير، (٣١٢/١).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٥٠/١).

(٥) الكشاف، (٧٥/١).

(٦) سورة الأحزاب، الآية ١٠.

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولَا «تظنون» بدونِ وُجودِ دليلٍ يدلُّ على تقديرِهما، فهو حذفٌ لتنزيلِ الفِعلِ منزلةَ اللازمِ، ويُسمَّى هذا الحذفُ عند النُّحاة (الحذْفُ اقتصارًا)، أي: للاقتصار على نِسبة فِعلِ الظنِّ لفاعلِه، والمقصودُ مِن هذا التنزيلِ: أن تَذهبَ نفْسُ السامع كلَّ مذهبٍ ممْكِن، وهو حذفٌ مُستعمَلٌ كثيرًا في الكلام الفصيحِ، وعلى جوازِه أكثرُ النحْويين، ومنه قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾[1]، وقوله: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾[2] "[3].

**د- عدم تعلُّق الغرض ببَيانه:**

كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[4].

قال ابن عاشور: " ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ حالانِ من ضميرِ المتكلِّم، أي: أنا حافِظُكما من كلِّ ما تخافانِه، وأنا أعلَمُ الأقوالَ والأعمال، فلا أدَعُ عملًا أو قولًا تخافانِه. ونُزِّلَ فِعلَا ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ منزلةَ اللازمينِ؛ إذ لا غرَض لبيانِ مفعولهما، بل المقصودُ: إني لا يَخفى عليَّ شيء"[5]. فابن عاشورٍ جاء بثَمرةِ الحذفِ ونتيجتِه مباشرةً، على خلافِ كثيرٍ من المفسِّرينِ، ومنهم الزمخشريُّ؛ فهو يرى أنه يُمكِن تقديرُ المحذوفِ، ويُمكِن ألَّا يُقدَّر شيءٌ؛ فيقول: " ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ما يجْرى بينكما وبيْنه من قولٍ وفِعلٍ، فأفعَلُ ما يُوجِبه حِفظي ونُصرتي لكما، فجائزٌ أن يُقدَّر: أقوالَكم وأفعالكم، وجائزٌ ألَّا يُقدَّر شيءٌ، وكأنه قِيل: أنا حافظٌ لكما وناصر وسامعٌ مُبصِرٌ، وإذا كان الحافظ والناصرُ كذلك، تمَّ الحِفظُ وصحَّت النُّصرةُ، وذهَبت المبالاةُ بالعدُوِّ"[6]، والزمخشري هنا أكثرُ بسطًا لحذفِ المفعول مقارَنة بابنِ عاشور.

(١) سورة النجم، الآية ٣٥.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٢.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٨١/٢١).

(٤) سورة طه، الآية ٤٦.

(٥) التحرير والتنوير، (١٦، ٢٢٨).

(٦) الكشاف، (٦٦/٣).

ويُخالِف السَّمينُ الحلبيُّ في تقديرِه للمحذوف بقوله: "مفعولُ ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ محذوفٌ؛ فقيل: تقديره: أسمع أقوالَكما، وأرى أفعالكما، وعن ابن عباسٍ: أسمعُ جوابَه لكما، وأرى ما يَفعَل بكما، أو يكون مِن حذْفِ الاقتصارِ، نحو: ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾[1] "[2]، وأجِدُني أقرَبَ فَهمًا وتذوقًا لِمَا ذكَره السَّمينُ.

**هـ- دلالةُ معنى الفاعلِ عليه:**

كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾[3].

الفِعلُ ﴿أَسۡلَمۡتُ﴾ قال عنه ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُه، ونُزِّلَ الفِعلُ منزلةَ الفِعل اللازمِ، فعُلِمَ أن المفعولَ حُذِفَ لدلالة معنى الفاعلِ عليه، فكأنه يقول: أسْلَمْتُني، أي: أسلمْتُ نفسي، فبُيِّن هنا هذا المفعولُ المحذوف مِن اسم الإسلام؛ لئلَّا يقَع فيه التباسٌ أو تأويلٌ لِمَا لا يُطابق المرادَ، فعُبِّر عنه بقوله: ﴿وَجۡهِيَ﴾، أي: نفْسي؛ لظُهورِ ألَّا يَحسُنَ مَحملُ الوجْه هنا على الجزءِ المعروف من الجسدِ، ولا يُفيد حمْلُه عليه ما هو المقصود، بل المعنى البيِّنُ هو أنْ يُراد بالوجهِ كاملَ الذاتِ، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[4] "[5].

وكذلك نُزِّلَ الفِعلُ ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ مَنزلةَ اللازمِ في قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٦.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٤٥/٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٠.

(٤) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٥) التحرير والتنوير، (٢٠٣/٣).

(٦) سورة الزمر، الآية ٩.

قال ابن عاشور: "فِعلُ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعينِ مُنزَّلٌ منزلةَ اللازمِ، فلم يُذكَرْ له مفعولٌ، والمعنى: الذين اتَّصَفوا بصِفةِ العِلم، وليس المقصودُ الذين عَلِموا شيئًا معيَّنًا حتى يكون مِن حذْفِ المفعولين اختصارًا؛ إذ ليس المعنى عليه، وقد دلَّ على أنَّ المرادَ الذين اتَّصفوا بصِفَةِ العِلْم قولُه عَقِبَه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: أهلُ العقول، والعقلُ والعِلْم مُترادفانِ، أي: لا يستوي الذين لهم عِلْمٌ، فهم يُدرِكون حقائق الأشياءِ على ما هي عليه، وتجْري أعمالُهم على حسَب عِلْمِهم مع الذين لا يعلمون، فلا يُدرِكون الأشياء على ما هي عليه، بل تَختلِط عليهم الحقائقُ، وتجْري أعمالُهم على غير انتظامٍ"(١).

وقد **يُذكَرُ المفعولُ الأول، ويُترَك الثاني؛ لعدم تعلُّق الغرضِ ببَيانه**، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿ءَاتِنَا﴾ تُرِكَ المفعولُ الثاني؛ لتَنزيلِ الفِعلِ منزلةَ ما لا يتعدَّى إلى المفعول الثاني؛ لعدَمِ تعلُّق الغرض ببَيانه، أي: أعْطِنا عطاءً في الدنيا، أو يُقدَّر المفعولُ بأنه الإنعامُ أو الجائزة، أو مَحذوفٌ لقرينةِ قوله: ﴿حَسَنَةً﴾ فيما بعدُ، أي: آتنا في الدنيا حُسنةً"(٣).

ويرى الرازيُّ أنه "حُذِفَ مفعولُ ﴿ءَاتِنَا﴾ من الكلام؛ لأنه كالمعلومِ"(٤). وأقولُ -والله أعلم- ربَّما يُفيد حذْفُ المفعولِ الثاني إفادةَ عُموم المطلوباتِ الدُّنيوية.

٢- **حذْفُ مفعولِ الفِعلِ المتعدِّي**: وهو ما يكونُ له مفعولٌ مقصودٌ، لكنه حُذِفَ لدلالة الحالِ عليه، فيُؤدِّي أغراضًا أخرى، ذكَر ابن عاشور منها:

(١) التحرير والتنوير، (٢٣/٣٤٨-٣٤٩).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٠.

(٣) التحرير والتنوير، (٢/٢٤٧).

(٤) مفاتيح الغيب، (٥/٣٣٦).

أ- **العموم:**

يُحذَفُ المفعولُ به لإفادةِ العموم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1].

قال ابن عاشور: "مفعولُ «يخشَ» حُذِفَ لِتَذهب نفْسُ السامع في تقديرِه كلَّ مذهبٍ مُحتمَلٍ، فيَنظُر كلُّ سامعٍ بحسَب الأهمِّ عنده مما يَخشاه أن يُصِيب ذُرِّيتَه"[2].

وقدَّر ابنُ عطية المفعولَ المحذوف بقوله: "مفعولُ (يخشى) محذوفٌ؛ لدلالة الكلامِ عليه، وحسُنَ حذْفُه مِن حيث يَتقدَّرُ فيه التخويفُ بالله تعالى، والتخويفُ بالعاقبة في الدنيا، فيَنظُر كلُّ مُتأوِّلٍ بحسب الأهمِّ في نفْسه"[3].

وورَدَ في «حاشية الشِّهاب على تفسيرِ البيضاوي» أنَّ "مفعولَ (يخْش): اللهُ؛ بدليلِ قوله: ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، أو: على أولادِهم؛ بدليلِ قوله: ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ "[4]. ويُؤكِّد هذا ما ذكَره السَّمينُ الحلبيُّ أنَّ "مفعول ﴿وَلْيَخْشَ﴾ محذوفٌ، أي: وليخْشَ اللهَ". وجوَّز أن تكون المسألةُ مِن باب التنازعِ؛ فإنَّ ﴿وَلْيَخْشَ﴾ يطلُب الجلَالةَ، وكذلك ﴿فَلْيَتَّقُوا۟﴾، ويكون مِن إعمالِ الثاني للحذْفِ من الأوَّلِ"[5].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[6].

---

(١) سورة النساء، الآية ٩.

(٢) التحرير والتنوير، (٤/٢٥٢).

(٣) تفسير ابن عطية، (٢/١٣).

(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي = عناية القاضي وكفاية الرَّاضي على تفْسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت. (٣/١٠٨).

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٣/٥٩٢).

(٦) سورة القصص، الآيتان ٢٣، ٢٤.

فقد حُذِفَ في الآيةِ أكثرُ مِن مفعولٍ لأغراضٍ مُختلفةٍ؛ يقول ابن عاشورٍ: "وحُذِفَ مفعولُ ﴿يَسۡقُونَ﴾؛ لتعميمِ ما شأْنُه أنْ يُسْقى، وهو الماشيةُ والناسُ؛ ولأنَّ الغرض لا يتعلَّق بمعرفة المِسْقيِّ، ولكن بما بعدَه مِن انزواءِ المرأتين عن السَّقيِ، كما في «الكشَّاف» تبعًا «لدلائل الإعجاز»، فيكون مِن تنزيل الفِعلِ المتعدِّي مَنزلةَ اللازمِ، أو الحذْفُ هنا للاختصارِ، كما اختارَه السكَّاكيُّ، وأيَّده شارحاهُ: السعْد والسيِّد.

وأما حذْفُ مفاعيلِ (تَذُودَانِ - لَا نَسْقِي - فَسَقَىٰ لَهُمَا)، فيَتعيَّن فيها ما ذهَب إليه الشيخانِ. وأما ما ذهَب إليه صاحبُ «المفتاح» وشارحاهُ، فشيءٌ لا دليلَ عليه في القرآن حتى يُقدَّر محذوفٌ، وإنَّما استفادةُ كونِهما تذودانِ غنمًا مرجعُها إلى كتبِ الإسرائيليين"[1].

ويعني ابنُ عاشور بذلك قولَ الجرجانيِّ في تقديرِ المفاعيل المحذوفةِ: "فيها حذْفُ مفعولٍ في أربعة مواضعَ؛ إذ المعنى: وجَد عليه أُمَّةً مِن الناس يسْقون أغنامَهم أو مواشِيَهم، وامرأتين تذودانِ غنَمَهما، وقالتا: لا نسْقِي غنَمَنا، فسَقى لهما غنَمَهما"[2].

ويُشير ابنُ عاشور إلى قولِ الزمخشريِّ في بلاغة حذْفِ المفاعيل: "فإنْ قُلتَ: لم تُرِكَ المفعولُ غيرَ مذكورٍ في قوله: (يَسۡقُونَ - تَذُودَانِ - لَا نَسْقِي)؟ قلتُ: لأنَّ الغرضَ هو الفِعلُ لا المفعولُ. ألَا ترى أنه إنما رَحِمهما؛ لأنهما كانتَا على الذِّيادِ وهم على السَّقي، ولم يَرْحَمْهما لأنَّ مَذودَهما غنمٌ ومَسْقِيَّهم إبلٌ مثلًا، وكذلك قولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ المقصودُ فيه السَّقيُ لا المِسقيُّ"[3].

ب- **التهويل:**

يُحذَفُ المفعولُ به للتهويلِ؛ حتى تذهبَ النفْسُ فيه كلَّ مذهبٍ، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[4].

(١) التحرير والتنوير، (٢٠/٩٩).
(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٦١.
(٣) الكشاف، (٣/٤٠١).
(٤) سورة الزخرف، الآية ٨٩.

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ للتهويلِ؛ لتَذهبَ نُفوسهم كلَّ مذهبٍ مُمكِنٍ"(١). وتقدير المحذوفِ: تعلَمون عاقبةَ كُفْرِكم، أو تعلمون صِدقَ إنذاري لكم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ (انْتَظِرْ) للتهويلِ، أي: انتظِرْ أيامًا يكون لك فيها النصرُ، ويكون لهم فيها الخُسرانُ... ففي الأمْر بالانتظارِ تعريضٌ بالبِشارة للمؤمنين بالنصرِ، وتعريضٌ بالوعيد للمشركين بالعذابِ في الدارين. وجُملة ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ تعليلٌ لِما تضمَّنه الأمرُ بالانتظار مِن إضمار العذابِ لهم. ومفعولُ ﴿مُنتَظِرُونَ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه السياقُ، أي: مُنتظِرون لكم الفرصةَ لحرْبِكم أو لإخراجِكم"(٣).

وقدَّر الزمخشريُّ المحذوفَ هنا تقديرًا آخرَ؛ فقال: " (انْتَظِرْ) النُّصرةَ عليهم وهلاكَهم، ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ الغَلبةَ عليكم وهلاكَكم"(٤). فالمفعولُ الثاني المقدَّرُ لاسم الفاعلِ ﴿مُنتَظِرُونَ﴾ غيرُ واردٍ هنا؛ إذ يرى ابنُ عاشورٍ أنه حُذِفَ لدلالة السياقِ عليه.

وذكَر الرازيُّ أنَّ الحذْف يَحتمِل ثلاثةَ وُجوهٍ: **أولها**: انتظِرْ هلاكَهم؛ فإنهم يَنتظِرون هلاكَك، وعلى هذا فرق بيْن الانتظارين؛ لأن انتظارَ النبيِّ ﷺ بأمْر الله تعالى بعدَ وعْدِه، وانتظارَهم بتسويلِ أنفُسِهم والتعويلِ على الشيطان. **وثانيها**: "وانتظِرِ النصرَ من الله؛ فإنهم يَنتظِرون النصرَ مِن آلهتهم"، وفرق بيْن الانتظارين، **وثالثها**: "وانتظِرْ عذابَهم بنفْسِك، فإنهم يَنتظِرونه بلَفْظِهم استهزاءً"، كما قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾(٥)، وقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٦) "(٧).

(١) التحرير والتنوير، (٢٥/٢٧٤).
(٢) سورة السجدة، الآية ٣٠.
(٣) التحرير والتنوير، (٢١/٢٤٣-٢٤٤).
(٤) الكشاف، (٣/٥١٧).
(٥) سورة الأعراف، الآية ٧٠.
(٦) سورة النمل، الآية ٧١.
(٧) مفاتيح الغيب، (٢٥/١٥٢).

وفي «فتح القدير»: " ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ يومَ الفتح؛ وهو يومُ القيامة، أو يوم إهلاكِهم بالقتْل، ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بك حوادثَ الزمان؛ مِن موتٍ، أو قتْل، أو غلبةٍ"(١). واستدلَّ أبو السعود بقولِه تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾(٢)؛ لِيُقدِّر المحذوفَ "إنَّهم مُنتظِرون هلاكَهم"(٣).

والمتأمِّلُ فيما ذكَره ابنُ عاشور في الآيةِ، وما ذكَره السابقون من المفسِّرين الأعلامِ، يَلْحَظُ أنَّ ابن عاشورٍ لخَّص ما ذكَروه بعبارة مُختصَرةٍ ومُوجَزةٍ، ودالةٍ على الغرضِ المراد، ولعلَّ هذا هو سِرُّ الحذفِ البلاغيِّ الذي يُعلِّمُ القارئَ كيف يُفتِّش عن المحذوفِ بأدقِّ عِبارة وأوجَزِها.

**ج- التعيين:**

يُحذَفُ المفعولُ به إذا كان مُتعيَّنًا، ويُعبَّرُ عن هذا الغرضِ بالدلالة عليه، أو العِلم به، أو ظُهوره مِن المقام.

ومِن ذلك: قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾(٤).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ ﴿قَفَّيۡنَا﴾ للعِلْم به، وهو ضميرُ موسى"(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾(٦).

(١) فتح القدير، (٤/٢٩٨).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٠.

(٣) تفسير أبي السعود، (٧/٨٨).

(٤) سورة البقرة، الآية.

(٥) التحرير والتنوير، (١/٥٩٣).

(٦) سورة المائدة، الآية ٤٦.

قال ابن عاشور: "إذا جُعِلَ تضعيفُ ﴿قَفَّيْنَا﴾ هنا مُعدِّيًا للفِعلِ اقتضى مفعولينِ: أوَّلهما: الذي كان مفعولًا قبْل التضعيفِ، وثانيهما: الذي عُدِّيَ إليه الفِعلُ، وذلك على طريقةِ باب: كسَا، فيكون حقُّ التركيبِ: وقفَّيناهم عيسى ابنَ مريمَ، ويكون إدخالُ الباءِ في ﴿بِعِيسَى﴾ للتأكيدِ، مثل: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾[1]. وإذا جُعِلَ التضعيفُ لغير التعديةِ، بل لمجرَّدِ تكريرِ وقوعِ الفِعل، مثل: جَوَّلت وطَوَّفْت؛ كان حقُّ التركيب: وقفَّيناهم بعيسى ابنِ مريم. وعلى كِلَا الوجهينِ يكون مفعولُ: ﴿قَفَّيْنَا﴾ محذوفًا يدلُّ عليه قوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾؛ لأنَّ فيه ضميرَ المفعولِ المحذوف"[2].

ويُحذَفُ المفعولُ لظُهوره من المقامِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[3].

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ ﴿يَعۡلَمُونَ﴾؛ لظُهوره من المقام، أي: يعلمون سُوءَ فِعلِهم، وعِظَمَ غضَبِ الربِّ، ووُجوبَ التوبة إليه، وأنه تفضَّلَ بقَبولِ التوبة، فمحَا بها الذُّنوب الواقعةَ"[4].

وذكَر الرازيُّ وجهينِ في تقدير المحذوفِ؛ حيث قال: " ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ فيه وجهانِ: **الأول**: أنه حالٌ مِن فِعل الإصرارِ، والتقدير: ولم يُصِرُّوا على ما فعَلوا من الذُّنوب حالَ ما كانوا عالمين بكونِها محظورةً مُحرَّمة؛ لأنه قد يُعذَرُ مَن لا يَعلم حُرمةَ الفِعل، أما العالِمُ بحُرمتِه فإنه لا

(١) سورة المائدة، الآية ٦.

(٢) التحرير والتنوير، (٦/٢١٨).

(٣) سورة آل عمران، (٤/٩١).

(٤) التحرير والتنوير، (٤/٩٣).

يُعذَرُ في فِعلِه ألبتَّةَ، **الثاني**: أن يكون المرادُ منه العقلَ والتمييزَ والتمكين من الاحترازِ مِن الفواحش، فيَجري مَجرى قولِه ﷺ: «رُفِعَ القلَمُ عن ثلاثٍ[1]» "[2].

ويُحذَفُ المفعولُ لدلالة ما قبْله عليه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[3].

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ ﴿يَخْلُفُونَ﴾؛ لدلالةِ ﴿مِنكُمْ﴾ عليه"[4].

**د- التحقير:**

**يُحذَفُ المفعولُ لشناعة ذِكره،** كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[5].

قال ابن عاشور: "حُذِفَ المفعولُ الثاني لـ ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾؛ لظُهوره وعِلْمِهم به، ولشَناعة ذِكْرِه، وتقديره: معبودًا أو إلهًا"[6]، وذكَر الألوسيُّ أن المفعولَ "محذوفٌ لشَناعته، أي: اتَّخذتم العِجلَ الذي صنَعه السامريُّ إلهًا"[7].

**هـ- ويُحذَفُ المفعولُ للإيجاز ولدلالةِ مُقابِله عليه،** وسمَّاه عبد القاهر الجرجانيُّ "الإضمار على شَريطة التفسيرِ"، وهو ترْكُ ذِكرِ الأول؛ استغناءً بدلالتِه في الثاني عليه[8]، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، رقم ٤٣٩٨، (١٣٩/٤).

(٢) مفاتيح الغيب، (٣٦٩/٩).

(٣) سورة الزخرف، الآية ٦٠.

(٤) التحرير والتنوير، (٢٤٢/٢٥).

(٥) سورة البقرة، الآية ٩٢.

(٦) التحرير والتنوير، (٤٩٩/١).

(٧) روح المعاني، (٢٥٩/١).

(٨) انظر: دلائل الإعجاز، ص ١٦٣.

﴿رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ ﴿وَعَدَ﴾ الثاني في قوله: ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾؛ لمجرَّد الإيجازِ؛ لدلالة مُقابِله عليه في قوله: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؛ لأن المقصودَ من السؤالِ سؤالُهم عما يخُصُّهم، فالتقدير: فهلْ وجدْتُم ما وعَدكم ربُّكم، أي: من العذابِ؛ لأن الوعدَ يُستعمَلُ في الخير والشرِّ"[2].

وفي «الكشَّاف» زاد: "فإنْ قلْتَ: هلَّا قِيل: ما وعَدكم ربُّكم، كما قيل: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؟ قلْتُ: حُذِفَ ذلك تخفيفًا؛ لدلالة ﴿وَعَدَنَا﴾ عليه. ولقائلٍ أنْ يقول: أُطلِقَ لِيَتناوَل كلَّ ما وعَد الله من البعثِ والحساب، والثواب والعقابِ، وسائرِ أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مُكذِّبين بذلك أجمَعَ، ولأن الموعودَ كلَّه مما ساءهم، وما نِعيمُ أهلِ الجنة إلا عذابٌ لهم؛ فأُطلِقَ لذلك"[3].

ويُشير الرازيُّ إلى بلاغة الحذفِ هنا بقوله: "هلَّا قِيل: ما وعَدكم ربُّكم حقًّا، كما قيل: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؟ والجواب: قولُه: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ يدلُّ على أنه تعالى خاطَبَهم بهذا الوعدِ، وكونُهم مخاطَبين مِن قِبَلِ الله -تعالى- بهذا الوعدِ يُوجِبُ مزيدَ التشريف، ومزيدُ التشريف لائقٌ بحال المؤمنينَ، أما الكافرُ فهو ليس أهلًا لأنْ يُخاطِبَه الله تعالى؛ فلهذا السببِ لم يَذكُرِ اللهُ تعالى أنه خاطَبهم بهذا الخطابِ، بل ذكَر -تعالى- أنه بيَّن هذا الحُكم"[4].

وأشار البيضاويُّ إلى نُكتةِ المخالَفة بين الفِعلين بقوله: "وإنما لم يقُل: ما وعَدكم، كما قال: ﴿مَا وَعَدَنَا﴾؛ لأنَّ ما ساءهم من الموعودِ لم يكُن بأسْرِه مخصوصًا وعْدُه بهم، كالبعث والحسابِ، ونعيمِ أهل الجنَّة"[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٤٤.

(٢) التحرير والتنوير، (٨-ب/١٣٧).

(٣) الكشاف، (٢/١٠٦).

(٤) مفاتيح الغيب، (١٤/٢٤٦).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٣/١٤).

وذكَر أبو السعود أنَّه "حُذِفَ المفعولُ من الفِعل الثاني إسقاطًا لهم عن رُتبةِ التشريفِ بالخطابِ عند الوعدِ، وقيل: لأنَّ ما ساءهم من الموعودِ لم يكُنْ بأسْرِهِ مخصوصًا بهم وعدًا، كالبعث والحسابِ، ونعيمِ أهل الجنة؛ فإنهم قد وَجَدوا جميعَ ذلك حقًّا، وإن لم يكن وعْدُه مخصوصًا بهم"(١). وتوجيهُ الرازي وأبي السعود أكثَرُ وَجاهةً من مُجرَّد الإيجازِ على رأْيِ ابنِ عاشور.

**و- الإجمالُ في الوعيد:**

**يُحذَفُ المفعولُ لقصْدِ الإجمال في الوعيدِ،** كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾** ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "حُذِفَ مفعولُ ﴿**تَعْلَمُونَ**﴾؛ لقصْدِ الإجمالِ في الوعيد لإدخالِ الرُّعب، ثم بيَّنه بجُملة ﴿ **لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ** ﴾ "(٣)، وكلامُ ابنِ عاشور هذا أخَذه من الزمخشريِّ؛ إذ قال: " ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ وعيدٌ أجْمَله، ثم فصَّله بقوله: ﴿ **لَأُقَطِّعَنَّ** ﴾ "(٤).

وقدَّر الشوكانيُّ المحذوفَ بقوله: "فسوف تعلمون عاقبةَ صُنْعِكم هذا وسُوءَ مَغبَّتِه، ثم لم يَكتفِ بهذا الوعيد المجمَل، بل فصَّله فقال: ﴿ **لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ** ﴾ "(٥).

**٣- البيانُ بعد الإبهامِ:**

ويَكثُر في حذْف مفعولِ المشيئةِ؛ لإغناءِ ما بعده عنه، ويرى الجرجانيُّ أنَّ مفعول المشيئةِ يُذكَر إذا كان أمرًا عظيمًا أو غريبًا(٦).

(١) تفسير أبي السعود، (٢٢٩/٣).

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١٢٣، ١٢٤.

(٣) التحرير والتنوير، (٥٤/٩).

(٤) الكشاف، (١٤١/٢).

(٥) فتح القدير، (٢٦٧/٢).

(٦) انظر: دلائل الإعجاز، ص١٦٥.

ومما ورَد فيه حذْفُ مفعولِ المشيئةِ قولُه تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1].

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ﴾، تقديره: لو شاء اللهُ ألَّا أتْلُوَه عليكم ما تلوْتُه؛ فإنَّ فِعلَ المشيئة يَكثُر حذفُ مفعوله في جُملة الشرطِ؛ لدلالة الجزاءِ عليه، وإنما بُنِيَ الاستدلال على عدمِ مشيئةِ الله نفْيَ تِلاوتِه؛ لأن ذلك مُدَّعَى الكفَّار؛ لزَعْمِهم أنه ليس من عند الله، فكان الاستدلالُ إبطالًا لدعواهم ابتداءً، وإثباتًا لدعواه مآلًا، وهذا الجمْعُ بين الأمرينِ مِن بديعِ الاستدلال، أي: لو شاء اللهُ ألَّا آتِيَكم بهذا القرآن لَمَا أرسْلني به، ولبَقِيت على الحالة التي كنتُ عليها من أوَّل عُمري. والدليل الثاني مَطويٌّ، وهو مُقتضى جوابِ (لو)؛ فإنَّ جواب (لو) يَقتضي استدراكًا مُطَّردًا في المعنى بأنْ يُثبِتَ نقيضَ الجوابِ؛ فقد يُسْتغنى عن ذِكْره، وقد يُذكَر، كقول أُبيِّ بن سلْمى بنِ ربيعةَ:

فلَـــوْ طـــارَ ذُو حـــافِرٍ قَبْلَهَـــا لَطَـــارَتْ ولكِنَّـــهُ لمْ يَطِـــرْ[2]

فتقديرُه هنا: لو شاء اللهُ ما تلَوتُه، لكنني تلَوْتُه عليكم. وتِلاوته هي دليلُ الرِّسالة؛ لأن تِلاوته تتضمَّنُ إعجازَه عِلميًّا؛ إذ جاء به مَن لم يكُن مِن أهل العِلْم والحِكمة، وبلاغيًّا؛ إذ جاء كلامًا أعجَزَ أهلَ اللغة كلَّهم، مع تضافرهم في بلاغتِهم وتفاوت مراتبِهم، وليس مِن شأن أحدٍ من الخلْق أن يكون فائقًا على جميعهم، ولا مِن شأن كلامِه ألَّا يستطيع مثلَه أحدٌ منهم"[3].

وبعدُ: فقد ظهَر جَليًّا شيوعُ حذْفِ المفعولِ به لإفادةِ دَلالاتٍ جديدة، منها: إثباتُ الفِعل للفاعِل، تنزيلًا له مَنزلةَ اللازم، وللعِلْم به، ولظُهورِه، ولشَناعة ذِكرِه، ولدَلالة مُقابِله عليه، ولقصْدِ الإجمالِ في الوعيدِ، وللتعميمِ، ولدَلالةِ الكلامِ عليه، ولإفادةِ أكثرَ من احتمالٍ، وللاستغناء عنه بما رُتِّب عليه، ولشُهرتِه، ولدَلالة الاستدراكِ، وللاهتِمامِ بالفِعل، ويُحذَفُ مفعولُ المشيئة كثيرًا؛ لإغناءِ ما بَعدَه عنه، إلى غيرِ ذلك.

(١) سورة يونس، الآية ١٦.

(٢) شرح ديوان الحماسة، (١/٢١٥).

(٣) التحرير والتنوير، (١١/١٢٠).

## المطلب الثاني
## حذْف المُضاف

حذْفُ المضافِ مِن أكثر أنواع الحذْف في القرآن، حتى قال عنه ابن جِنِّي: "إنَّ في القرآنِ -وهو أفصحُ الكلام- منه أكثرَ مِن مائةِ موضعٍ، بل ثلاثمائةِ موضعٍ"(١)، وعند حذْفِه يقوم المضافُ إليه مَقامه.

ويَكثُر حذْف المضافِ في القرآن في:

١. **دلالة الاقتضاء:** التي تَظهَر عند نِسبةِ التحليل والتحريم، والكراهةِ والإيجاب والاستحباب إلى الأعيانِ؛ إذ لا يُتصوَّرُ تعلُّقُ الطلَب بالأجرامِ، وإنما تُطلَبُ أفعالٌ يتعلَّق بها، فتحريمُ الميتة تحريمٌ لأكلها، وتحريمُ الخمْر تحريمٌ لشُرْبِها... وهكذا(٢).

ومما ورَد فيه حذْفُ المضافِ قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "ضميرُ ﴿يَعْلَمُهَآ﴾ عائدٌ إلى ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ على حذْف مُضافٍ من دلالة الاقتضاءِ، تقديرُه: لا يَعلم مكانَها إلا هو؛ لأن العِلْمَ لا يتعلَّق بذوات المفاتحِ، وهو ترشيحٌ لاستعارة مفاتحِ الغيب للعِلْم بالمغيَّبات، ونفْيُ عِلْم غيرِه لها كنايةٌ عن نفْيِ العِلم بما تُغلَق عليه المفاتحُ مِن عِلم المغيَّبات"(٤).

---

(١) الخصائص، (٤٥٤/٢).

(٢) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١ هـ. ص٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٤) التحرير والتنوير، (٢٧١/٧).

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1].

قال ابن عاشور: "والإرادةُ هنا بمعنى المحبَّة، أي: تُحِبون منافعَ الدنيا، والله يُحِب ثوابَ الآخرة، ومعنى محبَّةِ الله إياها: محبَّتُه ذلك للناسِ، أي: يُحِب لكم ثواب الآخرة، فعلَّق فِعلَ الإرادة بذات الآخرةِ، والمقصود نفْعُها؛ بقرينةِ قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾، فهو حذْفُ مضافٍ للإيجاز، ومما يُحسِّنه: أن الآخرةَ المرادة للمؤمن لا يُخالِطُ نفْعَها ضرٌّ ولا مشقَّةٌ، بخلاف نفْعِ الدنيا، وإنما ذُكِرَ مع الدنيا المضافُ ولم يُحذَفْ؛ لأن في ذِكْرِه إشعارًا بعروضِه وسُرعة زوالِه. وإنما أحبَّ اللهُ نفْعَ الآخرة؛ لأنه نفْعٌ خالد، ولأنه أثَرُ الأعمال النافعةِ للدِّين الحق، وصلاحِ الفرد والجماعة"[2]. فحُذِفَ المضافُ، وأُقِيم المضافُ إليه مُقامه.

وقال الزمخشريُّ: "معناه: واللهُ يُريد عرَضَ الآخرة، على التقابُل، يعنى ثوابَها"[3]. وقدَّره الزركشيُّ "ثوابَ الآخرة وفضْلَه، على تقديرِ: عرَض الآخرة"؛ لأن العرَض زائلٌ بخلاف الثوابِ[4].

٢. **حذْفُ ما يُضاف إلى (بعد)**: وهو شائعُ الحذْف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾[5].

قال ابن عاشور: "في الآيةِ تعريضٌ بقِلَّة وَفاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام بعدَ مَغيبِه عنهم مباشرةً، وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، أي: بعدِ مَغيبِه، وتقدير المضافِ مع (بعد) المضافِ إلى اسم المتحدَّث عنه شائعٌ في كلام العربِ؛ لظُهوره بحسب المقامِ، وإذا لم يكن ما يُعيِّنه مِن المقام،

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٧.

(٢) التحرير والتنوير، (١٠/٧٦).

(٣) الكشاف، (٢/٢٣٧).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، (٣/١٥٢).

(٥) سورة البقرة، الآية ٥١.

فالأكثرُ أنه يُراد به: بعدَ الموت، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾[1] "[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال ابن عاشور: "في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ في الموضعينِ حذْفُ مُضافٍ قبْل ما أُضِيفت إليه (بعد) -وقد شاع حذْفُه- دلَّ عليه ﴿عَمِلُوا۟﴾، أي: مِن بعدَ عمَلِها"[4].

٣. **دلالة السياقِ:**

يُحذَفُ المضافُ؛ لدلالة السياق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[5].

قال ابن عاشور: "الواقي: الحائلُ دون الضرِّ، والوقايةُ مِن الله على حذْفِ مضافٍ، أي: مِن عذابه؛ بقرينةِ ما ذُكِرَ قبْله"[6].

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[7].

قال ابن عاشور: "ضميرُ النصْب في ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ عائدٌ إلى القرضِ الحَسن، والكلامُ على حذْفِ مضافٍ، تقديره: فيُضاعِف جزاءه له؛ لأنَّ القرْض هنا تمثيلٌ بحال السَّلفِ المتعارَف بين الناس، فيكون تضعيفُه مِثلَ تضعيفِ مال السلفِ، وذلك قبْل تحريمِ الرِّبا"[8].

---

(١) سورة غافر، الآية ٣٤.

(٢) التحرير والتنوير، (١/٥٠٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٣.

(٤) التحرير والتنوير، (٩/١٢٠).

(٥) سورة الرعد، الآية ٣٤.

(٦) التحرير والتنوير، (١٣/١٥٥).

(٧) سورة الحديد، الآية ١١.

(٨) التحرير والتنوير، (٢٧/٣٧٨).

وأقول -واللهُ أعلم-: قد تكونُ فائدةُ حذْف المضاف هنا -وهو: فيُضاعف جزاءه- لِينصَبَّ اهتمامُ المتلقِّي على المضاعَفة.

وقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(١).

قال ابن عاشور: "وفي قولِه: ﴿كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ﴾ حذْفُ مُضافٍ دلَّ عليه ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾، والتقدير: إلا كخلْقِ وبعْثِ نفْسٍ واحدة... والمقصود: أن الخلْق الثانيَ كالخلْق الأول في جانبِ القُدرة"(٢). وأقول -واللهُ أعلم-: إن حذْفَ المضاف في هذا الموضع دلالةٌ على كَمال قُدرة الخالقِ في سُرعة الخلْق والإعادةِ.

٤. **دلالة المَقام:** يُحذَفُ المضافُ إذا كان معلومًا من المقامِ، ويكون حينئذٍ معهودَ الحذْفِ، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾(٣).

قال ابن عاشور: "ضمائرُ (به، ومن قبله، ويُتْلى) عائدةٌ إلى القرآنِ، والكلامُ على حذْف مضافٍ معلوم من المقام معهودِ الحذْف، أي: آمَنوا بصِدْقِه ومِن قبْلِ نُزوله"(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(٥).

قال ابن عاشور: " ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ هو المفضَّلُ عليه، وهو على حذْف مضافٍ، أي: مِن رهبةِ الله، أي: من رهبتِهم اللهَ، كما قال النابغة:

وقَــدْ خِفْــتُ حــتَّى مــا تَزِيــدُ مَخــافَتِي ... علَــى وَعِــلٍ في ذي المطَــارَةِ عَاقِــلِ(٦)

(١) سورة لقمان، الآية ٢٨.

(٢) التحرير والتنوير، (١٨٤/٢١).

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٠٧.

(٤) التحرير والتنوير، (٢٣٣/١٥).

(٥) سورة الحشر، الآية ١٣.

(٦) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص١٢٩.

أي: على مخافةِ وَعِلٍ.

وهذا تركيبٌ غريبُ النَّسجِ، بديعُه. والمألوفُ في أداءِ مِثل هذا المعنى أن يُقال: لَرهبتُهم منكم في صُدورهم أشدُّ مِن رهبتِهم من اللهِ، فحُوِّل عن هذا النَّسج إلى النسْج الذي حُبِكَ عليه في الآيةِ؛ لِيتأتَّى الابتداءُ بضمير المسلمين اهتمامًا به، وليكون مُتعلِّقُ الرهبةِ ذواتِ المسلمين؛ لتوقُّعِ بطْشِهم، وليأتِيَ التمييز المحوَّلُ عن الفاعل؛ لِمَا فيه من خُصوصيةِ الإجمال مع التفصيلِ، كما تقرَّر في خُصوصية قولِه تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[1]، دون: واشتعَل شيبُ رأسي، وليتأتَّى حذفُ المضافِ في تركيبِ ﴿مِّنَ ٱللَّهِۖ﴾؛ إذ التقدير: مِن رهبةِ الله؛ لأن حذْفَه لا يَحسُن إلا إذا كان موقعُه مُتَّصلًا بلفظ ﴿رَهۡبَةٗ﴾؛ إذ لا يَحسُن أن يُقال: لَرهبتُهم أشدُّ مِن الله"[2].

٥. **إفادة العُموم**: قد يُحذَفُ المضافُ لإفادة العمومِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾[3].

قال ابن عاشور: "وفي قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ حذْفُ مضافٍ، أي: كُلْفةَ القِتال، أو أرزاءَ القِتال؛ فإن المؤمنين كانوا يومئذٍ بحاجة إلى توفيرِ عَدَدهم وعُدَدهم بعدَ مُصيبة يوم أُحدٍ، ولو الْتَقَوا مع جيش المشركين لكانت أرْزاؤهم كثيرةً ولو انتَصروا على المشركين"[4]. ولذا فإنَّ حذْف المضاف أفاد كلَّ ما تَكرَهه النفْسُ من متاعب القِتال؛ من خسارة النفْس، أو البدن، أو بعضه، أو المالِ، أو غير ذلك.

وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ

(١) سورة مريم، الآية ٤.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٢-١٠٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢٥.

(٤) التحرير والتنوير، (٢١/٣١٠).

﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[1].

قال ابن عاشور: "ومعنى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: إنْ كُنتنَّ تُؤثِرْنَ ما في الحياة من الترَفِ على الاشتغال بالطاعات والزُّهد، فالكلامُ على حذْفِ مضافٍ يُقدَّر صالحًا للعموم؛ إذ لا دليلَ على إرادة شأْنٍ خاصٍّ مِن شؤون الدنيا.

وهذه نُكتةُ تَعديةِ فِعل ﴿تُرِدْنَ﴾ إلى اسمِ ذاتِ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ دون حالٍ مِن شؤونها، وعُطِفَ ﴿زينتها﴾ عطْفَ خاصٍّ على عامٍّ، وفي عطْفه زيادةُ تنبيهٍ على أن المضاف المحذوفَ عامٌّ، وأيضًا ففِعلُ ﴿تُرِدْنَ﴾ يُؤذِن باختيار شيءٍ على غيره، فالمعنى: إنْ كنتنَّ تُرِدْنَ الانغماس في شؤون الدنيا، وقد دلَّت على هذا مقابَلتُه بقوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ "[2].

ويَنفي ابنُ عاشور وقوعَ المساواةِ في القرآن، وإنْ قال به بعض البلاغيين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[3].

قال ابن عاشور: "وفيه حذْفُ مضافٍ، تقديره: ضرُّ المكرِ السَّيِّئِ، أو سوءُ المكرِ السَّيِّئِ، كما دلَّ عليه فِعل ﴿يَحِيقُ﴾؛ فإن كان التعريفُ في ﴿ٱلْمَكْرُ﴾ للجنْس، كان المرادُ بـ«أَهْلِهِ» كلَّ ماكرٍ، وهذا هو الأنسب بموقعِ الجُملة ومَحْمَلها على التذييلِ؛ لِيَعُمَّ كلَّ مكرٍ وكل ماكرٍ.

وفيه أيضًا حذْفُ مضافٍ؛ إذ التقدير: ولا يَحيق ضرُّ المكرِ السَّيِّئِ إلا بأهله، على أن في قوله: «أَهْلِهِ» إيجازًا؛ لأنه عِوَضٌ عن أن يُقال: بالذين تقلَّدوه. والوجهُ أنَّ المساواة لم تقَعْ في القرآن، وإنما مواقعُها في محادثاتِ الناس التي لا يُعبَأُ فيها بمراعاة آدابِ اللُّغة"[4].

ويتعجَّب ابن عاشور من القزوينيِّ كيف جعَل في «الإيضاحِ» هذه الآيةَ من المساواةِ، ولم

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٨.

(٢) التحرير والتنوير، (٢١/٣١٥).

(٣) سورة فاطر، الآية ٤٣.

(٤) التحرير والتنوير، (٢٢/٣٣٥).

يُورِدْها السكَّاكي أصلًا، ويناقِش قوله ويَحتجُّ عليه؛ فيقول: "واعلَمْ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ قد جُعِلَ في عِلم المعاني مثالًا للكلام الجاري على أُسلوب المساواةِ دون إيجازٍ ولا إطنابٍ، وأوَّل مَن رأيتُه مثَّل بهذه الآية للمساواةِ هو الخطيبُ القزويني في «الإيضاح» وفي «تلخيص المفتاح»، وهو مما زاده على ما في «المفتاح»، ولم يُمثِّل صاحب «المفتاح» للمساواةِ بشيءٍ، ولم أدْرِ مِن أين أخذه القزوينيُّ؛ فإنَّ الشيخ عبد القاهر لم يَذكُرِ الإيجاز والإطنابَ في كتابه.

وإذ قد صرَّح صاحب «المفتاح» أنَّ المساواةَ هي مُتعارفُ الأوساط، وأنه لا يُحمَد في بابِ البلاغة ولا يُذَمُّ؛ فقد وجَب القطعُ بأنَّ المساواةَ لا تقَع في الكلام البليغِ بلْهَ المعجِزِ. ومِن العجيب: إقرارُ العلَّامة التفتازاني كلامَ صاحب «تلخيص المفتاح»، وكيف يكون هذا من المساواةِ، وفيه جُملةٌ ذات قصرٍ، والقصرُ من الإيجاز؛ لأنه قائمٌ مقام جُملتينِ: جملةِ إثباتٍ للمقصود، وجملةِ نفْيِه عما سِواه، فالمساواةُ أنْ يقال: يَحيق المكرُ السَّيِّئُ بالماكرين دون غيرِهم، فما عدَلَ عن ذلك إلى صيغةِ القصرِ فقد سُلِكَ طريقةُ الإيجاز"(١).

وقد أحسَن ابن عاشور فيما قاله؛ إذ كيف يَتحدَّى الله -سبحانه- الثَّقلَين أنْ يأتوا بسورةٍ مِن مِثله، ويكون في القرآن شيءٌ مِن المساواة التي هي متعارفُ الأوساط! لأنَّ في ذلك تنافيًا لا يصِحُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "والمرادُ بالحياة: أحوالُ مدَّة الحياة؛ فهو على حذْف مُضافينِ"(٣).

وأقولُ -والله أعلم-: إنَّ حذْف المضافينِ هنا اللذينِ قدَّرهما ابن عاشور بـ"أحوال مدَّة

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/٣٣٦).

(٢) سورة محمد، الآية ٣٦.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٦/١٣٣).

الحياة" أفاد ضآلةَ قِيمة الدنيا وحقارتَها، وقِلَّة شأنها وهوانَها على الله.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

قال ابن عاشور: "والبُشرى: اسمُ مصدرِ (بَشَّر)؛ وهي الإخبار بخبرٍ يَسُرُّ المخبَر، وأُطلِقَ المصدر على المفعول -وهو إطلاقٌ كثير- مِثل الخَلْق بمعنى المخلوق، أي: الذي تُبشَّرون به جناتٌ، والكلامُ على حذْف مُضافينِ، تقديرهما: إعلامٌ بدخول جنَّات، كما دلَّ عليه قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾"[2]. ويَظهر لي -والله أعلم- أنَّ الحذْف هنا جاء لضِيق المقام عن ذِكْرِ المضافِ؛ استعجالًا للبُشرى الكبرى للمؤمنين.

تبيَّن ممَّا سبَق كثرةُ حذْف المضاف الذي يَرِدُ في دَلالة الاقتضاء، وقد تُغني دلالةُ السياقِ أو المقامِ عن ذِكره، وقد يُفيدُ حذْفُه العمومَ، وفي كلٍّ يقومُ المضاف إليه مَقامَه.

(١) سورة الحديد، الآية ١٢.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٧/٣٨٠-٣٨١).

## المطلب الثالث

## حذف المُضاف إليه

يَشيع حذْفُ المضافِ وإنابةُ المضاف إليه عنه، ولكن المضاف إليه إذا حُذِفَ لا يَنوب عنه المضافُ، ولذلك يَقِلُّ حذْفه.

وقد ورَد حذْف المضاف إليه في القرآنِ في مواضعَ؛ منها:

١- **مع (كل)**: وهو لفظٌ دالٌّ على الإحاطة والشُّمول والاستغراقِ لأفرادِ ما يُضاف إليه، وهو مُبهمٌ يتعيَّن بما يُضاف إليه، ويمكن حذْف المضاف إليه والتعويضُ عنه بالتنوين.

ذكَر ابن عاشور أن المضافَ إليه قد يُحذَف مع (كل)، ويُقدَّر المحذوفُ بأمرين:

الأول: بما يدلُّ عليه الكلام مِن لفظه.

الثاني: بما يدلُّ عليه معنى الكلام المتقدِّم دون لَفْظه.

ومما ورَد فيه حذْف المضاف إليه مع (كل) قولُه تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[(١)]؛ فحُذِفَ المضاف إليه بعد (كل)، وتقدير المحذوفِ يجوز فيه أكثرُ مِن وجْهٍ:

- الوجه الأول: تقديرُ المحذوف: "ولكلِّ الرجال والنِّساء جعَلنا مواليَ"؛ بدلالة ما قبْله، وهو قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ...﴾ الآية[(٢)].

- الوجه الثاني: يُقدَّر المحذوف: "ولكلِّ تاركٍ"؛ لدلالة قوله تعالى قبْله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ...﴾[(٣)]، ويكون المعنى: "لكلِّ تاركٍ مالًا جعَلنا مواليَ، أي: أهلَ ولاءٍ له،

(١) سورة النساء، الآية ٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٧.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٢.

أي: قُرْب، أي: ورَثة".

● الوجه الثالث: يُقدَّرُ المحذوفُ: "ولكلِّ شيءٍ مما ترَكه الوالدانِ والأقربون جعَلنا مواليَ"؛ لدلالة معنى الآية المتقدِّم قبْله في قوله تعالى: ﴿مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾[1]، قال ابن عاشور: "أي: قومًا يَلُونه بالإرثِ، أي: يَرِثونه، أي: يكون تراثًا لهم، فيكون المضاف إليه المحذوفُ اسمًا نكرةً عامًّا يُبيِّن نوعَه المقامُ، ويكون ﴿مِّمَّا تَرَكَ﴾ بيانًا لِما في تنوينِ (كل) من الإبهامِ".

● الوجه الرابع: يُقدَّر المحذوفُ: "ولكلٍّ منكم جعَلنا مواليَ"؛ لدلالة آية: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ...﴾[2] الواردةِ بعد آيةِ المواريث، فتكون تكملةً لها، ويكون المعنى: أي: عاصبينَ مِن الذين ترَكهم الوالدانِ، مثل الأعمام والأجداد والأخوال؛ فإنهم قرباءُ الأبوينِ، ومما ترَكهم الأقربون؛ مِثل أبناء الأعمامِ وأبنائهم وإنْ تعدَّدوا، وأبناء الأخوات كذلك؛ فإنهم قرباءُ الأقربين، فتكون الآيةُ مُشيرةً إلى إرجاع الأموالِ إلى العَصبة عند الجمهورِ، وإلى ذوي الأرحامِ عند بعض الفقهاء، وذلك إذا انعدَم الورثةُ الذين في آية المواريث السابقةِ".

● الوجه الخامس: يُقدَّرُ المحذوفُ: "ولكلٍّ منكم أيها المخاطَبون بقولنا: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾[3] جعَلنا مواليَ"، أي: شرَعْنا أحكامَ الولاء لمن هم مُوالٍ لكم، فحُكم الولاءِ الذي ترَكه لكم أهاليكم: الوالدانِ والأقربون، أي: أهل الولاءِ القديم في القبيلةِ المنجَرِّ مِن حِلفٍ قديمٍ، أو بحُكم الولاء الذي عاقدَته الأيمانُ، أي: الأحلافُ بينكم وبينهم أيها المخاطَبون، وهو الولاء الجديدُ الشامل للتَّبنِّي المحدَث، وللحِلْف المحدَث، مثل المؤاخاةِ التي فرَضها النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار؛ فإنَّ الولاء منه ولاءٌ قديم في القبائل، ومنه ما يَتعاقد عليه الحاضرون.

(١) سورة النساء، الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١٣.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٢.

وعلى هذا التقديرِ يكون ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ معطوفةً على ﴿ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾، وهذا التقديرُ يُناسِب أن يكون ناشئًا عن قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾[1]، فتكون هذه الآية تَكملةً لآياتِ المواريث[2].

وبحذْف المضاف إليه اتَّسعت الدلالة في الآيةِ، وأفادت احتمالاتٍ متعدِّدة؛ إضافةً إلى الإيجاز.

وكذلك ورَد حذْف المضاف إليه مع (كل) لدلالة المقامِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[3].

فالحديثُ في هذه الآية عن تحويل القِبلة عن بيت المقدِس إلى الكعبة، ومُعارَضة أهل الكتاب لهذا التحوُّل، وأنَّ كلًّا من المسلمين واليهود والنصارى لن يَتَّبِع أحدٌ منهم أحدًا في قِبلته؛ لذا يُمكن تقديرُ المضاف إليه المحذوفُ بـ: "أُمة" أو "طائفة"، بحسبِ ما يدلُّ عليه سياقَ الآية، وبلاغةُ الحذْف هنا للعِلم بالمحذوفِ، وقُرب العهد بذِكره، ولإفادة عُموم الفِرَقِ والطوائف.

قال ابن عاشور: "حُذِفَ ما أُضيف إليه (كل) هنا؛ لدلالة المقام عليه، وتقديرُ هذا المحذوفِ (أُمة)؛ لأن الكلام على تخالُفِ اليهود والنصارى والمسلمين في قِبلة الصلاة، فالتقديرُ: ولكلٍّ من المسلمين واليهود والنصارى وِجهةٌ"[4].

وذكَر الطبري " ﴿وَلِكُلّٖ﴾: ولكلِّ أهلِ مِلَّة، فحُذِفَ "أهل الملة"، واكْتُفيَ بدلالة الكلامِ عليه"[5].

ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ

(١) سورة النساء، الآية ١٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٥/٣٣-٣٤).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٨.

(٤) التحرير والتنوير، (٢/٤٢).

(٥) تفسير الطبري، (٣/١٩٢).

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[1]؛ فالحديثُ هنا عن الفِرَقِ الثلاث الضالَّة: اليهود، والنصارى، والذين لا يعلمون، كلُّ واحدةٍ منها نسَبت لله ﷻ الولدَ؛ فقالت اليهود: عزيرٌ ابن الله، وقالت النصارى: المسيحُ ابن الله، وقال الذين لا يعلمون: الملائكةُ بنات الله -تعالى اللهُ وتقدَّس-. وبعد أن عرَض اللهُ ادِّعاءات الفِرَقِ أعقَبها بتنزيهِهِ عما قالوا، وإثباتِ الحقيقة التي ضلُّوا عنها؛ وهي أنَّ ما في السموات والأرض مِلْكٌ لله وحدَه، وعقَّب ذلك بقُنوتها وخضوعِها وانقيادها، مع خوفِها من الله سُبحانه.

قال ابن عاشور: "والمضاف إليه المحذوفُ بعد (كل) دلَّ عليه قوله: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: كلُّ ما في السموات والأرضِ، أي: العقلاء ﴿لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ "[2].

وقال الزمخشري: "والتنوينُ في (كل) عِوَضٌ من المضاف إليه، أي: كلُّ ما في السموات والأرض. ويجوز أن يُراد كلَّ مَن جعَلوه لله ولدًا له قانتون مُطيعون، عابِدون، مُقرُّون بالربوبية، مُنكرون لِما أضافوا إليهم"[3].

٢- **مع (قبل – بعد)**: يَكثُر في كلام العرب حذْفُ ما تُضاف إليه (قبل - بعد)، وتُبْنَى حينئذ على الضمِّ، وتكون مُعرَبةً إذا نُكِّرت، وهو نادرٌ، وقد تُعرَب -وهي ليست نكرةً- وذلك على تقدير لفظ المضاف إليه؛ تَفرقةً بين حالة بِنائها الغالبةِ وحالة إعرابها النادرةِ، وهو كشْفٌ لسِرٍّ لطيف من أسرار اللُّغة.

وقد اجتمَع ذِكرُ (قبل - بعد) في آيتين، وبُنِيَا جميعًا في آية واحدةٍ، هي قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾[4].

(١) سورة البقرة، الآية ١١٦.

(٢) التحرير والتنوير، (١/٦٨٥).

(٣) الكشاف، (١/١٨١).

(٤) سورة الروم، الآية ١-٤.

قال ابن عاشور: "والمراد بـ ﴿ٱلْأَمْرُ﴾ أمرُ التقدير والتكوين، أي: أن الله قدَّر الغلَبَ الأول والثانيَ قبلَ أن يَقعَا، أي: من قبلِ غلَبِ الرُّوم على الفُرس، وهو المدةُ التي مِن يوم غلَب الفُرسُ عليهم ومن بعدِ غلَب الرُّوم على الفُرس؛ فهنالك مضافانِ إليهما محذوفانِ، فبُنِيَت (قبل – بعد) على الضمِّ؛ لحذْف المضاف إليه؛ لافتقار معناهما إلى تقديرِ مضافينِ إليهما، فأشْبهتَا الحرفَ في افتقارِ معناه إلى الاتِّصال بغيره"(١).

وذكَر ابن عاشور تقديرَ المحذوف في هذه الآية في موضعٍ آخرَ من تفسيره بقولِه: "والتقدير في آيةِ سُورة الرُّوم: لله الأمر مِن قبْلِ كلِّ حدثٍ ومن بعدِه"(٢). وهذا التقدير أعمُّ وأشملُ في دلالته من التقديرِ الأول.

وقال الشوكاني: "والتقديرُ: مِن قبلِ الغلَبِ ومن بعده، أو من قبلِ كلِّ أمْر، ومن بعده"(٣). وهذا الحذفُ أفاد التعميمَ؛ فكلُّ الأمور قبلَ ذلك وبعدَه للهِ وحده، وفيه إشارةٌ إلى تهيئة أسباب الغلَبة والإعانة عليها، وكلُّ ذلك بعِلم الله سُبحانه(٤).

ووَرد حذْفُ ما أُضِيفت إليه (قبل) في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٥).

قال ابن عاشور: "وبِناء (قبْل) على الضمِّ يدلُّ على مضافٍ إليه مقدَّر، أي: من قبلِ هؤلاء، أي: قبل الأنبياءِ المذكورين. وفائدةُ ذِكر هذه القَبْلية التنبيهُ على أن نصْرَ اللهِ أولياءه سُنَّتُه المرادةُ له؛ تعريضًا بالتهديد للمشركين المعاندين؛ ليَتذكَّروا أنه لم تشُذَّ عن نصْر الله رسله شاذَّة ولا فاذَّةٌ"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير، (٢١/٤٦).

(٢) التحرير والتنوير، (١٦/١٤٦).

(٣) فتح القدير، (٤/٢٤٧).

(٤) انظر: الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين عبيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م. ص١٧٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٧٦.

(٦) التحرير والتنوير، (١٧/١١٣).

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾[1].

قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي: من قبلِ أن نُوتِيَ موسى وهارون الفرقانَ وضياءً وذِكرًا. ووجْهُ ذِكر هذه القَبْلية التنبيهُ على أنه ما وقَع إيتاء الذِّكر موسى وهارون إلا لأنَّ شريعتهما لم تَزَلْ معروفةً مدروسة"[2]. ولم يُورِدِ ابن عاشور بلاغةَ هذا الحذف في أيِّ موضعٍ.

ومما بُنِيَت فيه (بعد) على الضمِّ لحذْف المضاف إليه قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾[3].

قال ابن عاشور: "إنَّ حذْفَ ما أُضِيفت إليه (بَعْدُ) يُنادي على أنه حذْفٌ معلومٌ دلَّ عليه الكلام السابقُ، فتأخُّرُها في النزول عن الآياتِ التي قبْلها، وكونُها متَّصلةً بها وتتمَّةً لها: مما لا يَنبغي أنْ يُتردَّد فيه، فتقدير المضاف إليه المحذوفِ لا يَخلو: إما أن يُؤخَذ من ذِكر الأصناف قبْله، أي: من بعدِ الأصناف المذكورةِ بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾[4]، وإما أن يكون مما يَقْتضيه الكلامُ من الزمان، أي: مِن بعد هذا الوقت. والأول الراجحُ"[5].

مرَّ بنا قِلَّةُ حذْف المضافِ إليه؛ لعدم توفُّر ما ينوبُ عنه، ويُحذف المضافُ إليه مع (كل) لإفادة الشُّمول، ويُقدَّرُ المحذوفُ بدَلالة السِّياق أو المقام، وكذلك يَشيع حذفُ المضاف إليه مع (قبل- بعد) لأغراضٍ تبيَّنتْ في مواضعها.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٥١.

(٢) التحرير والتنوير، (٩٣/١٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٠.

(٥) التحرير والتنوير، (٧٨/٢٢).

## المطلب الرابع
## حذْف الموصوف

الصِّفةُ والموصوفُ متلازمانِ لتَمام البيانِ، وقد يُحذَفُ أحدهما ويَنوب عنه الآخَر، ولأن الصِّفة تأتي في الكلام لغرضينِ: إمَّا للتأكيد والتخصيصِ، أو للمدْح أو الذمِّ، وهما من مظانِّ الإسهاب لا الإيجازِ، فيَقِلُّ حذْفها، إضافةً إلى الالتباسِ، فلو قلتَ: مررتُ بطويلٍ، لم يُفهَمْ من اللفظ: أهو رجلٌ أم رمْحٌ أم ثوبٌ أم غيره؛ لأن المعنى يُستبْهَمُ بحذْف الموصوفِ، إلا أن يدلَّ عليه دليلٌ، أو تَشهَد به الحال(١).

وقد حُذِفَ الموصوفُ في القرآن لأسبابٍ؛ منها:

**١- لكثرة استعمالِه:**

كَثُرَ حذْف الموصوف وإقامةُ الصِّفة مُقامه عند ذِكر الآخرةِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "و (الآخرة) في اصطلاحِ القرآن هي الحياة الآخرةُ؛ فإن الآخِرةَ صِفةُ تأنيث الآخِرِ -بالمد وكسْر الخاء-، وهو الحاصل المتأخِّرُ عن شيءٍ قبْله في فِعل أو حالٍ، وتأنيثُ وصْف الآخرة منظورٌ فيه إلى أن المرادَ إجراؤه على موصوفٍ مُؤنَّث اللفظ؛ حُذِفَ لكثرة استعمالِه وصيرورته معلومًا، وهو يُقدَّر بـ"الحياة الآخرة"؛ مُراعاةً لضدِّه، وهو الحياةُ الدنيا، أي: القريبة، بمعنى الحاضرةِ؛ ولذلك يُقال لها: العاجلة، ثم صارتِ (الآخرة) علَمًا بالغلبةِ على الحياة الحاصلة بعد الموتِ، وهي الحاصلةُ بعد البعث لإجراءِ الجزاء على الأعمالِ"(٣).

---

(١) انظر: المثل السائر، (٢/٩٥).

(٢) سورة البقرة، الآية ٤.

(٣) التحرير والتنوير، (١/٢٤٠).

وقد ورَدت كلمةُ (الآخرة) في القرآن في مئةٍ وثلاثةَ عشرَ موضعًا، حُذِفَ الموصوف في مئةٍ وخمسةِ مواضعَ، وذُكِرَ الموصوف مع صفتِه في ثماني آياتٍ، منها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، مما يدلُّ على أنَّ الموصوف المحذوفَ يُقدَّر بـ (الدار)، وقد يكون تغليبُ الحذْفِ للعناية بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

قال ابن عاشور: "أي: بدَّلناهم حسنةً في مكان السَّيئة، والحسنةُ: اسمٌ اعتُبِرَ مؤنثًا لتأويله بالحالة والحادثةِ، وكذلك السَّيئة؛ فهُمَا في الأصل صِفتان لموصوف محذوفٍ، ثم كَثُرَ حذْف الموصوف؛ لقلَّة جدوى ذِكره، فصارت الصِّفتان كالاسمينِ"[3].

**٢- لِيَجري مَجرى المثَل:**

يُلتزَمُ حذْف الموصوف، فيَجري مجرى المثَلِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ...﴾[4].

قال ابن عاشور: "قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، أي: إلا بالحالة التي هي أحسنُ، فاسمُ الموصولِ صِفةٌ لموصوف محذوفٍ يُقدَّر مناسبًا للموصول الذي هو اسمٌ للمؤنَّث، فيُقدَّر بـ (الحالة أو الخَصلة)... ولك أن تُقدِّره بالمرَّة من ﴿تَقْرَبُوا﴾، أي: إلا بالقُربة التي هي أحسنُ، وقد الْتُزِمَ حذْف الموصوف في مِثل هذا التركيب واعتباره مُؤنَّثًا يَجري مَجرى المثَل، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[5]، أي: بالخَصلة الحَسنة ادفَعِ السيئةَ، ومن هذا القَبيل: أنهم أتَوا

(١) سورة القصص، الآية ٨٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٩٥.

(٣) التحرير والتنوير، (١٨/٩).

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ٩٦.

بالموصول مؤنثًا وصفًا لمحذوفٍ مُلتزَم الحذْف، وحذَفوا صِلتَه أيضًا في قولهم في المثلِ: «بعد اللَّتيَّا والتي»، أي: بعدَ الداهية الحقيرةِ والداهية الجليلة، كما قال سُلْمِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ الضبِّيُّ:

وَلَقَـــد رَأَبْـــتُ ثَـــأْيَ العَشِـــيرَةِ بيْنَهَـــا وكَفَيْـــتُ جانِبَهَـــا اللَّتَيَّـــا والَّـــتِي[1]"[2]

**٣- للتفخيم:**

قد يُفيد حذْفُ الموصوف وإبهامُه فخامةً لا تكون مع ذِكره، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[3].

قال ابن عاشور: " ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ صِفةٌ لمحذوفٍ دلَّ عليه ﴿يَهْدِي﴾، أي: للطريق التي هي أقومُ؛ لأن الهدايةَ مِن ملازمات السَّير والطريق، أو للمِلَّة الأقوم، وفي حذْف الموصوف مِن الإيجاز مِن جِهَةٍ، ومن التفخيم من جِهَةٍ أخرى ما رجَّح الحذفَ على الذِّكر.

والأقوم: تفضيلُ القويمِ. والمعنى: أنه يَهدي للتي هي أقومُ مِن هُدى كتاب بني إسرائيل الذي في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[4] "[5].

وظاهر مُوافقة ابن عاشور للزمخشري في قوله: " ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للحالةِ التي هي أقومُ الحالات وأسدُّها، أو للمِلَّة، أو للطريقة. وأيْنما قدَّرت لم تَجِدْ مع الإثبات ذوقَ البلاغة الذي تجِدُه مع الحذْف؛ لِمَا في إبهام الموصوفِ بحذْفه من فخامةٍ تُفْقَدُ مع إيضاحه"[6].

وأفاد حذْفُ الموصوف إطلاقَ معنى الهداية فيمَن يَهديهم وفيما يَهديهم، وكلُّ خيرٍ يَهدي

(١) خزانة الأدب، (١٥٥/٦).

(٢) التحرير والتنوير، (٨-أ/١٦٣).

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٢.

(٥) التحرير والتنوير، (٤٠/١٥).

(٦) الكشاف، (٦٥١/٢).

إليه في كلِّ زمان ومكان؛ فيَهدي للتي هي أقومُ بالعقيدة الواضحة، وفي التنسيقِ بين ظاهر الإنسان وباطنِه، وفي عالَمِ العِبادة بالموازنة بين الطاقة والتكاليفِ، وفي عَلاقات الناس ببعضِهم[1].

**٤- لظُهوره مِن المقام:**

يُحذَفُ الموصوف لظُهوره من المقام، فيُسْتغْنى عن ذِكره، كما في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

"أُمِرَ داود عليه السلام بعدَ ذِكر إنعام اللهِ -تعالى- عليه بصُنع الدُّروع المحكَمات التوامِّ الكواملِ، وكان أولُ مَن صنَعها داودَ، إنما كان قبْل ذلك صفائحُ"[3].

قال ابن عاشور: " ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ صِفةٌ لموصوف محذوفٍ؛ لظهورِه من المقام؛ إذ شاع وصْفُ الدُّروع بالسابغاتِ والسوابغِ حتى اسْتَغنَوا عند ذِكر هذا الوصف عن ذِكر الموصوفِ"[4].

وهذا ما قرَّره الشوكانيُّ بقوله: " ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوف، أي: دُروعًا سابغاتٍ، والسابغات: الكواملُ الواسعات، يُقال: سَبَغ الدِّرعُ والثوب وغيرُهما: إذا غطَّى كلَّ ما هو عليه وفضُلَ منه فضلةٌ"[5]. وربما أفاد حذْفُ الموصوف الاهتمامَ بالصِّفة التي تميَّزت بها صناعةُ داود عليه السلام للدُّروع؛ وهو التمامُ والكمال.

**٥- لدلالة الصِّفة عليه:**

قد تَشيع صفةٌ لموصوف، فيُسْتغنَى عن ذِكره اكتفاءً بالصفةِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[6].

---

(١) في ظلال القرآن، (٤/٢٢١٥).

(٢) سورة سبأ، الآية ١١.

(٣) تفسير الطبري، (٢٠/٣٥٩).

(٤) التحرير والتنوير، (٢٢/١٥٦-١٥٧).

(٥) فتح القدير، (٤/٣٦٢).

(٦) سورة فصلت، الآية ١٠.

قال ابن عاشور: "والرواسي: الثوابتُ، وهو صفةٌ للجبال؛ لأن الجبالَ حجارةٌ لا تَنتقِل بخلاف الرِّمال والكُثبان، وهي كثيرةٌ في بلاد العرب. وحُذِفَ الموصوف لدلالة الصِّفة عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ﴾(١)، أي: السُّفنُ الجواري"(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾(٣).

قال ابن عاشور: "والمرادُ بالسَّبع الشُّداد: السمواتُ، فهو مِن ذِكر الصِّفة وحذْفِ الموصوف للعِلم به، كما في قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾(٤)، ولذلك جاء الوصف باسمِ العدد المؤنَّث؛ إذ التقدير: سبْع سمواتٍ"(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾(٦).

قال ابن عاشور: " ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ وصفٌ لموصوفٍ محذوف، اسْتُغْنِيَ عن ذِكره؛ لدلالة الصِّفة عليه؛ لأن الصافنَ لا يكون إلا مِن الخَيل والأفراس، وهو الذي يقِفُ على ثلاثِ قوائمَ وطرفِ حافرِ القائمةِ الرابعة، لا يُمكِّن القائمةَ الرابعة من الأرض، وتلك مِن علامات خِفَّته الدالة على كَرم أصل الفرسِ وحُسْن خِلاله"(٧). وأفاد حذْفُ الموصوف العنايةَ والاهتمام بالصِّفة خاصةً دون الموصوف عامةً.

### ٦- لإفادة أكثرِ مِن احتمالٍ:

يُحذَف الموصوفُ لاحتماله أمورًا كثيرة تصلُح لأنْ تكون موصوفًا، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾(٨).

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٢.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٤٣/٢٤).

(٣) سورة النبأ، الآية ١٢.

(٤) سورة الحاقة، الآية ١١.

(٥) التحرير والتنوير، (٢٣/٣٠).

(٦) سورة ص، الآية ٣١.

(٧) التحرير والتنوير، (٢٥٥/٢٣).

(٨) سورة الليل، الآية ٥-٦.

قال ابن عاشور: " (الحُسنى): تأنيث الأحسنِ، فهي بالأصالة صِفةٌ لموصوف مُقدَّر، وتأنيثُها مُشعِرٌ بأن موصوفَها المقدَّر يُعتبَرُ مؤنَّثَ اللفظ، ويَحتمل أمورًا كثيرة، مثل: المثوبة أو النَّصر، أو العِدَة أو العاقبة. وقد يَصير هذا الوصفُ عَلَمًا بالغَلبةِ؛ فقيل: الحُسنى: الجنة، وقيل: كلمة الشهادة، وقيل: الصلاة، وقيل: الزكاةُ. وعلى الوجوه كلِّها فالتصديقُ بها الاعترافُ بوُقوعها، ويُكْنَى به عن الرَّغبة في تحصيلِها، وحاصلُ الاحتمالاتِ يَحُوم حول التصديقِ بوعْد اللهِ بما هو حَسنٌ؛ من مَثوبةٍ، أو نصر، أو إخلافِ ما تَلِفَ، فيَرجِع هذا التصديقُ إلى الإيمان. ويتضمَّن أنه يَعمل الأعمالَ التي يحصُل بها الفوز بالحُسنى"(١).

تبيَّن ممَّا سبَق أنَّ الموصوفَ يُحذَفُ لكثرةِ استعماله، أو ليَجريَ مَجرىَ المثَل، أو يُرادُ بحذفِه تفخيمًا وتعظيمًا لا يكون بذِكره، أو لإفادةِ أكثرَ مِن احتمال. أو غير ذلك ممَّا يُفهَم من سِياقِه.

(١) التحرير والتنوير، (٣٠/٣٨٣-٣٨٢).

## المطلب الخامس

## حذْف الصِّفـــــة

يَقِلُّ حذْف الصِّفة وإقامةُ الموصوفِ مُقامَها، ولا يكاد يقَع في الكلام إلا نادرًا؛ لمكان استبهامِه ومُنافاةِ الغرض الذي سِيق لأجْلِه(١)، وأكثرُ ما يَرِدُ للتفخيم والتعظيم في النَّكِراتِ، وكأنَّ التنكيرَ حينئذٍ عَلَمٌ عليه(٢).

ومن ذلك ما حكاه سِيبوَيه مِن قولهم: "سِيرَ عليه ليلٌ"، وهم يُريدون: ليلٌ طويل، وعلَّق عليه ابنُ الأثير بقوله: "وإنما حُذِفَت الصِّفةُ في هذا الموضع لِمَا دلَّ مِن الحال عليه؛ وذاك أنه يَحسُن في كلام القائل لذلك مِن التطريح والتَّطويح، والتفخيم والتعظيم ما يَقوم مقامَ قولِه: طويلٌ، وأنت تُحِسُّ هذا مِن نفْسك إذا تأمَّلْته؛ وهو أن يكون في مدْحِ إنسانٍ والثناءِ عليه، فتقول: «كان واللهِ رجلًا»، أي: رجلًا فاضلًا، أو شجاعًا، أو كريمًا، أو ما جرى هذا المجرى من الصِّفات، وكذلك تقول: «سألناهُ فوَجَدناه إنسانًا»، أي: إنسانًا سمْحًا، أو جوَادًا، أو ما أشبهه، فعلى هذا ونحوِه تُحذَفُ الصِّفة، فأما إنْ عُرِّيَت عن الدلالة عليها من اللفظِ أو الحال فإنَّ حذْفَها لا يجوزُ.

وقد تأمَّلْت حذْفَها، فوجَدْته لا يَسوغ إلا في صِفةٍ تقدَّمها ما يدلُّ عليها، أو تأخَّر عنها، أو فُهِمَ ذلك من شيءٍ خارجٍ عنها"(٣).

وبناءً على ما سبَق يمكن القولُ بأنَّ الصِّفة تُحْذَفُ إذا:

**١- تقدَّمها ما يدلُّ عليها:**

مما حُذِفَت فيه الصِّفة وتقدَّم ما يدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ

(١) المثل السائر، (٢/٩٦).

(٢) البرهان في علون القرآن، (٣/١٥٥).

(٣) المثل السائر، (٢/٢٤٧).

﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(١).

هذا تبريرُ الخَضِرِ لموسى عليه السلام سببَ خرْقِ السفينةِ التي رَكِباها بأنَّ الملِكَ الظالم يَسْتولي على أيِّ سفينة صالحةٍ، ويَستخدمها في مصالحِه، فحُذِفَت صفةُ السفينة (صالحة)؛ لتقدُّمِ ما يدلُّ عليها، وهو ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.

قال ابن عاشور: "ومعنى ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، أي: صالحةٍ؛ بقرينةِ قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ "(٢).

وقال الطبريُّ: "قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، فيقول القائلُ: فما أغْنى خرْقُ هذا العالِمِ السفينةَ التي رَكِبها عن أهلها؛ إذ كان مِن أجْلِ خرْقِها يأخُذ السُّفن كلَّها، معيبَها وغيرَ مَعيبِها، وما كان وجْهُ اعتلاله في خرْقِها بأنه خرَقَها؛ لأن وراءهم ملِكًا يأخُذ كلَّ سفينة غصبًا؟ قيل: إنَّ معنى ذلك أنه يأخُذ كلَّ سفينةٍ صحيحة غصبًا، ويدَع منها كلَّ معيبةٍ، لا أنه كان يأخُذ صحاحَها وغيرَ صحاحِها.

فإن قال: وما الدليلُ على أن ذلك كذلك؟ قِيل: قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، فأبان بذلك أنه إنما عابَها؛ لأن المعِيبة منها لا يَعرِضُ لها، فاكْتفى بذلك مِن أن يقال: وكان وراءهم ملكٌ يأخُذ كلَّ سفينة صحيحةٍ غصبًا، على أن ذلك في بعضِ القراءات كذلك"(٣).

ويُمكِن القولُ: إن الملِكَ يأخُذ كلَّ سفينةٍ، أي: تَليق به وبمطامعه كملِكٍ، ووفق معاييرِه التي تتطلَّب الصلاحيةَ التامةَ، فإنْ كان فيها أدنى عيبٍ خرَجت عن مُسمَّى سفينةٍ عنده(٤).

**٢- تأخر عنها ما يدلُّ عليها:**

تُحذَفُ الصِّفةُ إذا تأخَّر عنها ما يدلُّ عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى

(١) سورة الكهف، الآية٧٩.

(٢) التحرير والتنوير، (١٢/١٦).

(٣) تفسير الطبري، ٨٤/١٨).

(٤) الحذف بين النحويين والبلاغيين، ص١٩١.

﴿مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، جاءت هذه الآيةُ الكريمة في سياقِ الأمْر باتِّباع الرسولِ ﷺ في دعوتِه إلى الإسلام، وهو المرادُ بالصِّراط، والتحذيرِ من عِبادة غير الله والأصنامِ، وهي السُّبل المتفرِّقة.

قال ابن عاشور: " (السُّبُلَ): الطُّرق، ووُقوعها هنا في مقابَلة الصِّراط المستقيم يدلُّ على صفةٍ محذوفة، أي: السُّبل المتفرِّقة غير المستقيمة، وهي التي يُسمُّونها: بُنَيَّاتِ الطريقِ، وهي طُرقٌ تتشعَّب من السبيل الجادةِ ذاهبةً، يَسلكها بعضُ المارَّة فُرادى إلى بيوتهم أو مراعيهم، فلا تَبلُغ إلى بلدٍ ولا إلى حيٍّ، ولا يَستطيع السيرَ فيها إلا مَن عقِلَها واعتادها؛ فلذلك سُبِّبَ عن النهيِ قولُه: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، أي: فإنها طرقٌ مُتفرِّقة، فهي تجعل سالكَها مُتفرِّقًا عن السبيل الجادةِ، وليس ذلك لأن السبيلَ اسمٌ للطريق الضَّيقة غير الموصِلة، فإن السبيلَ يُرادِف الصراطَ؛ ألَا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾[2]، بل لأن المقابَلة والإخبارَ عنها بالتفرُّق دلَّ على أن المراد سُبلٌ خاصَّة موصوفة بغيرِ الاستقامة"[3].

وحُذِفَت الصفةُ؛ لأنه تأخَّر عنها ما يدلُّ عليها، وهو قوله: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

**٣- دلَّ عليها المقامُ:**

ويُفيد ذلك التعظيمَ والتفخيم؛ تُحذَفُ الصِّفةُ لدَلالة المقامِ، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[4].

قال ابن عاشور: "معنى ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ نفْيُ أن يكونوا مُتَّصفينَ بشيءٍ مِن التديُّن والتقوى؛ لأن خوضَ الرسول لا يكونُ إلا في أمْر الدِّين والهُدى والتقوى، فوقَع هنا حذْفُ

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٣) التحرير والتنوير، (٨-أ/١٧٣).

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٨.

صفةِ (**شَيْءٍ**) يدلُّ عليها المقام، والشيءُ: اسمٌ لكل موجودٍ، فهو اسمٌ مُتوغِّل في التنكير، صادقٌ بالقليل والكثير، ويُبيِّنه السياق أو القرائنُ، فالمراد هنا شيءٌ من أمور الكتابِ. ولما وقَع في سياق النفيِ في هذه الآيةِ اسْتُفِيدَ نفْيُ أن يكون لهم أقلُّ حظٍّ من الدِّين والتقوى ما داموا لم يَبْلغوا الغاية التي ذُكِرَت؛ وهي أن يُقِيموا التوراة والإنجيلَ والقرآن، والمقصودُ نفْيُ أن يكون لهم حظٌّ مُعتَدٌّ به عند الله.

ومِثلُ هذا النفيِ على تقديرِ الاعتداد شائعٌ في الكلام، قال عبَّاس بْن مِرْدَاسٍ:

وقَـــدْ كُنْـــتُ في الحَـــرْبِ ذَا تُـــدْرَإٍ فلَـــمْ أُعْـــطَ شـــيئًا ولمْ أُمْنَـــعِ[1]

أي: لم أُعْطَ شيئًا كافيًا؛ بقرينة قولِه: ولم أُمْنَعِ. ويقولون: هذا ليس بشيءٍ، مع أنه شيءٌ لا مَحالةَ ومشارٌ إليه، ولكنهم يريدون أنه غيرُ مُعتَدٍّ به"[2].

وذكَر الزركشيُّ عن حذْفِ الصِّفة أنه "أكثر ما يَرِدُ للتفخيم والتعظيمِ في النَّكِرات، وكأن التنكير حينئذٍ عَلَمٌ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ**﴾، أي: شيءٍ نافعٍ"[3].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ**﴾[4].

قال ابن عاشور: "معنى: ﴿**هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ**﴾ يَحتمل أن يرادَ به أنَّ كلَّ آية تأتي تكون أعظَمَ مِن التي قبلها، فيكون هنالك صِفةٌ محذوفة؛ لدلالةِ المقام، أي: مِن أختها السابقةِ، وهذا يَستلزم أن تكون الآياتُ مُترتِّبةً في العِظَمِ بحسب تأخُّر أوقات ظهورِها؛ لأن الإتيان بآيةٍ بعد أخرى ناشئٌ عن عدَمِ الارتداع من الآيةِ السابقة.

(١) ديوان العباس بن مرداس، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م. ص ١١١.

(٢) التحرير والتنوير، (٦/٢٦٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن، (٣/١٥٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية ٤٨.

ويَحتمل ما قال صاحب «الكشاف»: أنَّ الآياتِ موصوفاتٌ بالكِبَرِ لا بكونها مُتفاوتةً فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تَتلاقى في الفضل، وتتفاوَت منازلُها فيه التفاوتَ اليسير، أي: تختلف آراءُ الناس في تفضيلِها؛ فعلى ذلك بنى الناسُ كلامَهم، فقالوا: رأيت رجالًا بعضُهم أفضلُ من بعضٍ، وربما اختلَفت آراءُ الرجل الواحدِ فيها؛ فتارةً يُفضِّل هذا، وتارة يُفضِّل ذاك، ومنه بيت الحماسة:

مَــنْ تَلْــقَ مــنهُمْ تَقُــلْ لَاقَيْــتُ سَــيِّدَهُمْ  مِثْل النُّجُومِ التي يُهْدَى بهَا السَّارِي[1]"[2]

ثم يعود ابنُ عاشور فيُؤَكِّد المعنى بقوله: "فالمعنى: وما نُرِيهم من آيةٍ إلا وهي آيةٌ جليلةُ الدلالة على صِدقِ الرسول ﷺ تكاد تُنْسِيهم الآيةَ الأخرى. والأخت مُستعارةٌ للمُماثَلة في كونها آيةً"[3]. ويمكن أن يكونَ "المراد الأعلى ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ عندهم وقت حُصولِها؛ لأنَّ لمشاهدةِ الآية في النفْس أثرًا عظيمًا ليس للغائب عنها"[4]. وهذا التوجيهُ حَسنٌ؛ لأنه ضمَّن رأيَ الزمخشريِّ وزاد عليه. وحذْفُ الصفةِ أفاد تعظيمًا وتفخيمًا للآيات؛ لتكون كلُّ واحدة منها أكبرُ مما سواها، لا باعتبار تدرُّجِها في الكِبَرِ.

ويُمكن القولُ: إنَّه لا يَسوغُ حذْفُ الصِّفةِ إلَّا إذا تَقدَّمها ما يدلُّ عليها، أو تأخَّر عنها، أو كان ذلك ظاهرًا مَفهومًا مِن السِّياق ويُفيد حينئذٍ التعظيمَ والتفخيمَ.

(١) البيت لعبيد بن العرندس الكلابِي، انظر: شرح ديوان الحماسة، (٢/٢٧٠).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٥/٢٢٦).

(٣) التحرير والتنوير، (٢٥/٢٢٦).

(٤) البرهان في علوم القرآن، (٤/١٦٩).

# الفصل الثالث

# بلاغةُ حذْف الجملة عند ابنِ عاشور

**وفيه ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** حذْف الجُملة الاسميَّة.

**المبحث الثاني:** حذْف الجُملة الفِعلية.

**المبحث الثالث:** حذْف جُملتَيِ الشرط والقسَم وجَوابَيهما.

# المبحث الأول
# حذْف الجُملة الاسمية

تَنتظِم الكلماتُ جُملًا لتُؤدِّيَ معنًى، وتَنسبِك في نظام معيَّنٍ لتُعطِيَ دلالة، وقد يَطرأُ تغييرٌ على نِظام الجُمَلِ، فيُحذَف شيءٌ لتُؤدِّيَ الجملة إفادةً جديدة ما كانت لتكون لولا هذا الحذْفُ، وبتأمُّل سياق الآياتِ يُدرَكُ سرُّ الحذف ومزيَّته؛ وهو إمَّا لتأكيد المعنى، أو توجيهِ عناية السامع لأمرٍ معيَّن، أو غير ذلك مما يأتي بيانه في موضعه.

ذُكِرَت غزوة أُحد في سورة آل عمرانَ والأنفالِ، في سياقينِ مُختلفين، ووردت آيتانِ مُتشابهتان إجمالًا، ومختلفتان تفصيلًا؛ هما قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[1]، وقوله تعالى في الأنفال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]؛ ففي آية آل عمرانَ أثبَت (لكم) وأخَّر (به)، وحذَفَ (إن الله)، وفي آيةِ الأنفال حذَف (لكم)، وقدَّم (به)، وأثبَت (إن الله)، وفصَّل ابنُ عاشور بلاغةَ هذا الاختلاف بين الآيتين في ثلاثةِ أُمور:

أوَّلُها: قال في آل عمران: ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ﴾، وحذَف (لكم) في الأنفال؛ دفْعًا لتكريرِ لَفظه؛ لسَبْقِ كلمة (لكم) قريبًا في قوله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾[3]، فعَلِمَ السامعُ أن البُشرى لهم، فأغنَتْ (لكم) الأولى، بلفْظِها ومعناها عن ذِكر (لكم) مرَّة ثانيةً، ولأن آيةَ آل عمرانَ سِيقت مساقَ الامتنان والتذكيرِ بنِعمةِ النصر في حين القِلَّة والضعْف، فكان تقييدُ (بشرى) بأنها لِأجلهم زِيادةً في المِنَّة، أي: جعَل الله ذلك بُشرى لأجْلِكم، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٩.

نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1]، وأما آيةُ الأنفال فهي مسوقةٌ مساق العِتاب على كراهيةِ الخروج إلى بَدْر في أول الأمْر، وعلى اختيار أن تكون الطائفةُ التي تُلاقيهم غيرَ ذات الشوكةِ، فجُرِّد (بشرى) عن أن يُعلَّق به (لكم)؛ إذ كانت البُشرى للنبيِّ ﷺ ومَن لم يَتردَّدوا من المسلمين، وقد تقدَّم ذلك في آل عمران.

ثانيها: تقديمُ المجرورِ في قوله: ﴿بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾، وهو يُفيد الاختصاصَ، فيكون المعنى: ولَتطمئِنَّ به قلوبُكم لا بغيرِه، وفي هذا الاختصاص تعريضٌ بما اعتراهم من الوجَلِ من الطائفة ذاتِ الشوكةِ، وقناعتِهم بغَنْم العُروض التي كانت مع العِيرِ، فعرَّض لهم بأنهم لم يَتفهَّموا مرادَ الرسول ﷺ حين استشارَهم، وأخبَرَهم بأن العِيرَ سلَكَت طريقَ الساحل، فكان ذلك كافيًا في أن يعلَموا أن الطائفةَ الموعود بها تمحَّضَت أنها طائفة النَّفير، وكان الشأْنُ أن يَظنُّوا بوعْدِ الله أكملَ الأحوال، فلما أراد اللهُ تسكينَ رَوعِهم، وعَدهم بنُصرةِ الملائكة، عِلْمًا بأنه لا يُطَمئِن قلوبَهم إلا ذلك، وجعَل الفخرُ الرازيُّ التقديمَ هنا لمجرَّد الاهتمام بذلك الوعْد، وذلك من وجوهِ التقديمِ، لكنه وجَّه تأخيرَه في آلِ عمران بما هو غيرُ مقبولٍ[2].

ثالثها: أنه قال في آل عمران: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فصاغ الصِّفتين العلِيَّتينِ في صِيغة النَّعت، وجعَلهما في الأنفال في صِيغةِ الخبرِ المؤَكَّد؛ إذ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فنزَّل المخاطَبين منزلةَ مَن يتردَّد في أنه -تعالى- موصوفٌ بهاتينِ الصِّفتين: وهما العِزَّةُ المقتضيةُ أنه إذا وعَد بالنصر لم يُعجِزْه شيء، والحِكمةُ؛ فما يَصدُر من جانبه غوصُ الأفهامِ في تبيُّن مقتضاه، فكيف لا يَهْتدون إلى أن الله لما وعَدهم الظفرَ بإحدى الطائفتين وقد فاتَتْهم العِيرُ: أن ذلك آيلٌ إلى الوعد بالظَّفر بالنفير[3].

ويَرى الكرمانيُّ أن الحذْف والذِّكرَ في الآيتين عائدٌ؛ "لأن البُشرى هنا للمخاطَبين، فبيَّن

(١) سورة الشرح، الآية١.

(٢) بحثت عن قول الرازي في تفسيره فما وجدت شيئًا في الموضعين!

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، (٩/٢٧٧).

وقال: (لَكُمْ)، وفي الأنفال قد تقدَّم (لَكُمْ) في قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، فاكْتَفى بذلك، وقدَّم ﴿قُلُوبُكُم﴾ هنا، وأخَّر (بِهِۦ)؛ ازدواجًا بين المخاطَبين؛ فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾، وقدَّم (بِهِۦ) في الأنفال؛ ازدواجًا بين الغائبين، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾، وحذَفَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ هاهنا؛ لأن ما في الأنفال قصَّةُ بَدْر، وهي سابقةٌ على ما في هذه السورةِ؛ فإنها في قصَّة أُحد، وأخبَر هناك بـ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وجعَله في هذه السورة صِفةً؛ لأن الخبَر قد سبَق"(١).

وذكَر السمينُ الحلبيُّ دلالةَ ذِكْرِ (لَكُمْ) في آل عمران وحذْفِها في الأنفال؛ "لأنَّ القصَّة في الأنفال مُختصَرُ ما في آل عمران، وكأن الإطنابَ هنا أولى؛ لأن القصَّةَ مُكمَّلةٌ هنا، فناسب إيناسُهم بالخِطاب المواجهِ. وأخَّر هنا (بِهِۦ)، وقدَّمها في سورة الأنفالِ؛ لأن الخِطاب هنا موجودٌ في (لَكُمْ)، فأتبَعَ الخِطابُ الخطابَ. وهنا جاء بالصِّفتين تابعتينِ في قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وجاء بهما في جُملةٍ مُستأنَفة في الأنفال في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ لأنه لما خاطَبهم هنا حَسُنَ تعجيلُ بِشارتهم بأنه عزيز حكيمٌ، أي: لا يُغالَب، وأن أفعاله كلَّها مُتْقنةٌ حكمةٌ وصوابٌ"(٢).

وذكَر البقاعيُّ قِيمةَ حذْف (لَكُمْ) بقوله: "ولما كانت نُصرة المسلمين في هذه الغزوة ظاهرةً جدًّا، قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾، أي: الإمدادَ والوعدَ به على ما له سُبحانه من العظَمة التي مَن راقَبها لم يهبْ شيئًا، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾، أي: لِتَستبشِر به نفوسكم، ولم يُحتَجْ إلى تقييدٍ بأن يقال: (لَكُمْ)، وأما في قصةِ أُحد فقد كان المقتولُ منهم أكثرَ من المقتول من الكفَّار، فلولا قوله: ﴿لَكُمْ﴾ لربَّما طرَق بعضُ الأوهام حين سماعِ أول الكلام أنَّ الإمداد بُشرى للكفَّار"(٣). وفي

(١) أسرار التكرار في القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة. ص٩٢-٩٣.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٣/٣٩٠).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/٢٣٢).

إثباتِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قال: "ولما كانت هذه الغزوةُ في أول الأمرِ، وكانوا بعدَ بُروز الوعد الصادقِ لهم بإحدى الطائفتينِ كارهينَ للقاء ذات الشَّوكة جدًّا، ثم وقَع لهم ما وقَع من النصر، كان المقامُ مُقتضيًا لإثبات عزَّة الله وحِكمته على سبيل التأكيدِ؛ إعلامًا بأن صِفات الكمال ثابتةٌ له دائمًا، فهو يَنصر مَن صبَر واتَّقى بعزَّته، ويُحكِم أمرَه على أتمِّ وجْهٍ بحكمته، هذا فِعلُه دائمًا كما فعَل في هذه الغزوة؛ فلذلك قال مُعلِّلًا لِما قبله مؤكدًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، أي: الملِكَ الأعظم ﴿عَزِيزٌ﴾، أي: هو في غاية الامتناع والقهرِ لمن يُريد قهرَه أزلًا وأبدًا، لا يُغلَب ولا يُخْرِجُ وليَّه إلى زيادة العَددِ ولا نفاسةِ العُدَد، ﴿حَكِيمٌ﴾، أي: إذا قضى أمرًا كان في غاية الإتقانِ والإحكام"(١).

وقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "وأشعَر قوله: ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أن أهلَ مكة سَيُفْتنون كما فُتِنَ قوم فرعون، فكان هذا الظرفُ مُؤذِنًا بجُملة محذوفةٍ على طريقة الإيجازِ، والتقدير: إنا مُنتقِمون، فَفاتِنوهم، فقد فتنَّا قبْلهم قوم فرعون"، ومُؤذِنًا بأن المذكور كالدليلِ على توقُّع ذلك وإمكانه، وهو إيجازٌ آخر، والمقصودُ تشبيهُ الحالة بالحالةِ، ولكن عُدِلَ عن صوغ الكلام بصيغةِ التشبيه والتمثيلِ إلى صَوغِه بصيغة الإخبارِ؛ اهتمامًا بالقصةِ، وإظهارًا بأنها في ذاتها مما يَهمُّ العِلْمُ به، وأنها تذكيرٌ مُستقِل، وأنها غير تابعةٍ غيرَها، ولأن جُملة ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ عُطِفَت على جُملة ﴿فَتَنَّا﴾، أي: ولقد جاءهم رسول كريمٌ، عطْفَ مُفصَّلٍ على مُجمَل، وإنما جاء معطوفًا؛ إذ المذكور فيه أكثرُ من معنى الفتنةِ، فلا تكون جملةُ ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ بيانًا لجملةِ ﴿فَتَنَّا﴾، بل هي تفصيلٌ لقصَّة بَعثة موسى عليه السلام"(٣).

وذكَر البقاعيُّ تقديرَ الجُملة بقوله: "ولما كان التقدير: لقد فتنَّاهم بإرسالك إليهم لِيكشفَ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/٢٣٣).

(٢) سورة الدخان، الآية ١٧.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٥/٢٩٤).

ذلك لمن لا يَعلم الشيء إلا بعدَ وُقوعه عما نَعلمه في الأزلِ، وفيما لا يزالُ ولم يَزَلْ، مِن بواطن أُمورهم، فتقوم الحُجةُ على مَن خالَفنا على مُقتضى عاداتِكم؛ عطَف عليه مُحذِّرًا لقريش ومسلِّيًا للنبي ﷺ قولَه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾، أي: فعَلنا على ما لنا من العظمةِ فِعلَ الفاتن؛ وهو المختبِر الذي يُريد أن يَعلم حقيقةَ الشيء بالإملاء والتمكينِ، ثم الإرسال"(١).

وقوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾(٢)، نزَلت هذه الآيةُ في المنافقين الذين تَراجعوا من الجيش يوم أُحدٍ، وجاءت هذه الآية بعدَ وصْف أحوال المنافقين، وبَيان خُبث طويَّتهم وكُفرِهم، بما لا يدَع مجالًا للشكِّ في كُفرهم، والاستفهامُ للتعجُّب واللومِ والتوبيخ في الانقسامِ في شأن هؤلاء المنافقين بعد انكشافِ أمْرهم.

قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ استئنافٌ بَيانيٌّ نشَأ عن اللومِ والتعجيب الذي في قوله: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾؛ لأن السامعين يَترقَّبون بيانَ وجْهِ اللومِ، ويَتساءلون عمَّاذا يتَّخذون نحوَ هؤلاء المنافقين، وقد دلَّ الاستفهام الإنكاريُّ المشوبُ باللوم على جُملةٍ محذوفة هي محلُّ الاستئناف البيانيِّ، وتقديرها: إنهم قد أضلَّهم اللهُ، أتُريدون أن تهدُوا مَن أضلَّ اللهُ، بناءً على أن قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ ليس المرادُ منه أنه أضلَّهم، بل المراد منه أساءَ حالَهم، وسُوء الحال أمْرٌ مُجمَل يَفتقِر إلى البيان، فيكون فصْلُ الجملةِ فصلَ الاستئنافِ"(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٩/١٨).

(٢) سورة النساء، الآية ٨٨.

(٣) التحرير والتنوير، (١٥١/٥).

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾[1].

قال ابن عاشور: "ف (مَن) في قوله: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شرطيةٌ؛ بدليل دُخول الفاء في جوابها، وهي في الشرطِ من صِيَغِ العموم؛ فلذلك كانت مُؤذِنةً بجُملةٍ محذوفة دلَّ عليها تعقيبُ (بلى) بهذا العموم؛ لأنه لو لم يُرَدْ به أن المخاطَبين مِن زُمرِ هذا العموم، لكان ذِكرُ العموم بعدها كلامًا متناثرًا، ففي الكلام إيجازُ الحذفِ؛ ليكون المذكورُ كالقضيَّة الكبرى لبُرهان قوله: ﴿بَلَىٰ﴾، والمرادُ بالسَّيئة هنا: السيئةُ العظيمة، وهي الكُفر؛ بدليل العطْف عليها بقوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ "[2].

إنَّ إسقاطَ جُملةٍ مِن الكلام لا يكونُ إلا لمزيدِ دَلالةٍ، ومِن ذلك التأكيدُ على المعنى، أو ليكونَ المذكورُ كالقضيَّةِ الكُبرى فيَنتبِهَ له الذِّهنُ، أو غيرِ ذلك ممَّا يُبيِّنه السِّياقُ.

(١) سورة البقرة، الآيتان ٨٠، ٨١.

(٢) التحرير والتنوير، (٥٨١/١).

## المبحث الثاني
## الجُملة الفِعليـــــــة

إن حذف جملة بكاملها من الكلام والاستغناء عنها بدلالة غيرها من أعلى مراتب البيان؛ لما يترتب عليه من دقة في التعبير ومعرفة بأساليب الإيجاز. وهو يجعل المستقبل كالمشاهد الحي، ويطوي الزمن ويكثف اللحظة، ليحصل التأثير المطلوب بأقل لفظ ممكن. إلى غير ذلك من الدلالات التي نستشفها من الآيات.

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾[1]، جاءت هذه الآيةُ في سياقِ دعوة الرسولِ ﷺ للمشركين إلى التوحيد، واستكبارِهم وتكذيبهم لتحذيرِ الرسول ﷺ إيَّاهم العذابَ والساعةَ، وكعادتهم في التَّهكُّم: سألوا عن وقْت هذا الوعيد، فأجابهم الرسولُ ﷺ بأن هذا في عِلْم الله، وأن عليه البلاغَ. ويحتمل أن يُرادَ بالوعد العذابُ، ويحتمل أن يُراد القيامةُ، فصَوَّرت الآيةُ حالهم قربَ وُقوعه، ويقينَهم به بعد تكذيبِه، وهذا إيجازٌ بالحذفِ، فقد نُقِلَ المشهَدُ مِن الجدال إلى وقوعِ الوعد، وتحوُّل الحال من التهكُّم إلى البُهتان والندم ساعةَ لا يَنفع الندمُ.

قال ابن عاشور: "والفاء فصيحةٌ؛ لأنها اقتضَت جُملةً محذوفة، تقديرُها: "فحلَّ بهم الوعدُ، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ...﴾ الآية"، أي: رأوُا الموعود به. وفِعلُ ﴿رَأَوْهُ﴾ مُستعملٌ في المستقبل، وجِيءَ به بصِيغة الماضي؛ لشَبهِهِ بالماضي في تحقُّق الوقوعِ، مثل ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[2]؛ لأنه صادرٌ عمَّن لا إخلافَ في أخباره، فإن هذا الوعدَ لم يكن قد حصَل حين نزول الآيةِ بمكَّة؛ سواءٌ أُرِيد بالوعد الوعدُ بالبعث، كما هو مُقتضى السياق، أم أُرِيد به وعْدُ النصرِ؛ بقرينة قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ

(١) سورة الملك، الآية ٢٧.

(٢) سورة النحل، الآية ١.

﴿هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾[1]، فإنه يَقتضي أنهم يقولونه في الحالِ، وأنَّ الوعد غيرُ حاصلٍ حين قولهم؛ لأنهم يَسألون عنه بـ (مَتَىٰ)[2] ".

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[3] يحاجُّ إبراهيمُ عليه السلام قومَه في عبادتهم الكواكبَ والأصنام، فبدَأ بالكوكب كيف يكون ربًّا وقد أفَلَ؟! ثم طلَع القمرُ، فقال مِثلَ ذلك، وحُذِفَ ما بعدَ أُفول الكوكب إلى بُزوغ القمر للإيجازِ، وعدمِ تعلُّقِه بسياق الحدَثِ، ثم طلَعت الشمسُ، فقال مِثلَ ذلك أيضًا، ثم أخبَرهم ببراءته من كلِّ معبوداتهم من دون اللهِ، وأثبَت لهم وَحدانية الله، والسِّياق يدلُّ على أن إبراهيمَ عليه السلام كان في جماعةٍ من القوم، وكلامُه موجَّهٌ إليهم.

قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا ...﴾ عطْفٌ على جُملةٍ محذوفة دلَّ عليها الكلام، والتقديرُ: فطلَع القمرُ، فلما رآهُ بازغًا، فحُذِفَت الجملةُ للإيجاز، وهو يَقتضي أن القمرَ طلَع بعد أُفول الكوكبِ، ولعلَّه اختار لمحاجَّة قومِه الوقتَ الذي يَغرُب فيه الكوكب ويطلُع القمرُ بقرب ذلك، وأنه كان آخرَ الليل؛ لِيَعقُبَهما طلوع الشمسِ، وأظهَر اسمَ القمر؛ لأنه حذَفَ مُعادَ الضميرِ، والبازغ: الشارقُ في ابتداء شُروقه، والبزوغُ: ابتداء الشروقِ"[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾[5]، سبقَت هذه الآيةَ آياتٌ فيها جُملة من المحرَّمات التي نهى اللهُ -سبحانه- عنها، ومنها أكلُ أموالِ اليتامى والنساء والضُّعفاء، ثم عطف بالنهيِ عن التمنِّي وتطلُّعِ النفوسِ

(١) سورة الملك، الآية ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٩/٤٩).

(٣) سورة الأنعام، الآية ٧٧.

(٤) التحرير والتنوير، (٧/٣٢١).

(٥) سورة النساء، الآية ٣٢.

إلى ما ليس لها؛ لأنه بابٌ إلى الحسد ومفتاحٌ لأكْلِ الحقوق والظُّلم والتعدِّي، فهي مِن جوامع الكَلِمِ في دَرء الشرورِ، وفيها بيانٌ لعلَّة النهيِ عن التمنِّي.

قال ابن عاشور في قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ...﴾: "وهذه الجُملة مسوقةٌ مساق التعليلِ للنهيِ عن التمنِّي؛ قطْعًا لعُذرِ المتمنِّين، وتأنيسًا بالنهيِ، ولذلك فصلَت، وإنْ أُرِيد بالرجال والنساءِ كُلًّا من النوعين بخصوصه؛ بمعنى أنَّ الرجالَ يَختصُّون بما اكْتسبوه، والنساءُ يَختصِصْن بما اكتسبْنَ من الأموالِ، فالنهيُ المتقدِّمُ متعلِّقٌ بالتمنِّي الذي يُفْضي إلى أكْل أموال اليتامى والنِّساء، أي: ليس للأولياء أكلُ أموالِ مواليهم ووَلاياهم؛ إذ لكلٍّ مِن هؤلاء ما اكتسَب. وهذه الجُملة عِلَّةٌ لجُملة محذوفةٍ دلَّت هي عليها، تقديرها: ولا تتمنَّوا فتأْكلوا أموالَ مَواليكم"(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "تفريعٌ على ما قبْله، وثَمَّ جُملةٌ محذوفةٌ دلَّ عليها العرضُ، أي: فعمِل آدم بوسوسة الشيطانِ، فأكَل من الشجرة وأكلَت حوَّاءُ معه"(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(٤).

قال ابن عاشور: "ومعنى ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾: فانْذري صومًا، وإنْ لَقِيت من البشر أحدًا، فقولي: إني نذرْت صومًا؛ فحُذِفَت جملةٌ للقرينة، وقد جُعِلَ القولُ المتضمِّن إخبارًا بالنذرِ عبارةً عن إيقاعِ النذرِ وعن الإخبار به كِنايةً عن إيقاع النذرِ؛ لتَلازُمِهما؛ لأن

(١) التحرير والتنوير، (٥/٣١).

(٢) سورة طه، الآية ١٢١.

(٣) التحرير والتنوير، (١٦/٣٢٧).

(٤) سورة مريم، الآية ٢٦.

الأصلَ في الخبر الصِّدقُ والمطابقةُ للواقع، وليس المراد أنها تقول ذلك ولا تفعلُه؛ لأن اللهَ تعالى لا يأذَن في الكذبِ إلا في حال الضرورةِ، مع عدم تأتِّي الصِّدقِ معها"(١).

تبيَّن ممَّا سبَق أنَّ مِن دَلالات حذْف الجُملة الفِعلية: نقْلَ المشهد المستقبليِّ إلى الواقع وتصويرَه حيًّا؛ ليكونَ أبلغَ في التأثير، وقد تُحذَفُ لعدم تعلُّقها بسِياق الأحداث، فيكون تسلسلُ المشاهِدِ وَفقَ الغَرض المسوق له القِصَّة.

(١) التحرير والتنوير، (٩٣/١٦).

# المبحث الثالث
# حذْف الشرط وحذْف القسَم وجوابيهما

## المطلب الأول
## حذْف الشـرط وجوابه

كثيرا ما تقع (إذاً) جزاء لشرط مقدر أو ملفوظ، ويحذف الشرط لدلالة الكلام عليه، وتخييل حدوث الشرط لتحقيق حصول الجزاء، للنهي عن فعل أو إثبات امتناع.

ففي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1]، تَتباينُ أحوالُ المؤمنين عن المنافقين والكافرين حالَ تنزُّل القرآن أو حالَ قراءته؛ فالمؤمنون يَتلقَّونه بإصغاء ووعْيٍ واستجابة، وأما الكافرون فيَستهزئون به ويَكْفرون، والمنافقون يسُرُّهم ذلك ولا يُبْدونه، ثم عقَّب الله -تعالى- بالنهيِ عن مجالستِهم في تلك الحال، حتى يتغيَّر محورُ حديثِهم؛ لأن الغضبَ لله واجبٌ، ولئلَّا يُهِّون الشيطانُ في نفوسِهم الحرصَ على سماع القرآنِ، وحذَّرهم إنْ لم ينتهُوا عن القعود معهم، فسيكونون مِثلَهم في الاستخفافِ بكلام اللهِ تعالى.

قال ابن عاشور: "جعَل جوابَ القعود معهم المنهيَّ عنه: أنهم إذا لم يَنتهوا عن القعود معهم يكونون مِثلَهم في الاستخفاف بآيات اللهِ؛ إذ قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾؛ فإن (إذن) حرفُ جوابٍ وجزاءٍ لكلام ملفوظٍ به أو مقدَّر. والمجازاةُ هنا لكلام مقدَّرٍ دلَّ عليه النهيُ عن القعود معهم؛ فإن التقديرَ: إنْ قعدْتم معهم إذنْ إنكم مثلُهم. ووقوعُ (إذنْ) جزاءً لكلام مقدَّرٍ شائعٌ في كلام العربِ، كقول العنبري:

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٠.

لَــوْ كُنْــتُ مِــنْ مــازِنٍ لَمْ تَسْــتَبِحْ إِبِلِــي بَنُــو اللَّقِيطَــةِ مِــنْ ذُهْــلِ بْــنِ شَــيْبَانَا
إِذَنْ لَقَــامَ بِنَصْــرِي مَعْشَــرٌ خُشُــنٌ عِنْــدَ الْحَفِيظَــةِ إِنْ ذُو لَوْثَــةٍ لَانَــا[1]

قال المرزوقي في «شرح الحماسة»: «وفائدةُ (إذن) هو أنه أخرَج البيت الثانيَ مُخرجَ جوابِ قائلٍ له: ولو استباحوا، ماذا كان يفعَل بنو مازن؟ فقال: إذنْ لقام بنَصري معشرٌ خُشنٌ». قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2]، التقدير: فلو كنت تَتلو وتَخُطُّ إذنْ لَارتاب المبطِلون.

فقد عُلِمَ أن الجزاءَ في قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ عن المنهيِّ عنه لا عن النهيِ، كقول الراجز، وهو مِن شواهد اللُّغة والنحو:

لَا تَنْــــــزَكَنِّي فِــــــيهِمْ شَــــــطِيرَا إِنِّي إِذَنْ أَهْلِــــــكَ أَوْ أَطِــــــيرَا[3]

والظاهرُ أن فريقًا من المؤمنين كانوا يجلِسون هذه المجالسَ، فلا يُقْدِمون على تغييرِ هذا، ولا يقومون عنهم؛ تقيةً لهم، فنُهوا عن ذلك. وهذه المماثَلة لهم خارجةٌ مَخرج التغليظ والتهديدِ والتخويف، ولا يَصير المؤمن منافقًا بجلوسِه إلى المنافقين، وأُرِيد المماثلةُ في المعصية لا في مِقدارها، أي: إنكم تَصيرون مثلَهم في التلبُّس بالمعاصي"[4].

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[5].

قال ابن عاشور: " (إذن) حرفُ جوابٍ وجزاء لكلامٍ قبْلها ملفوظٍ أو مقدَّر، والكلامُ المجاب هنا هو ما تضمَّنه قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾، فالجوابُ ضدُّ ذلك النفيِ، وإذ قد كان هذا الضدُّ أمرًا مستحيلَ الوقوعِ، تعيَّن أن يُقدَّر له شرطٌ على وجْه الفرض والتقديرِ،

(١) اسمه: قريط بن أنيف من بني العنبر، انظر: شرح ديوان الحماسة، (٤/١).
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.
(٣) البيت بلا نسبة في خزانة الأدب، ٤٥٦/٨.
(٤) التحرير والتنوير، (٢٣٦/٥).
(٥) سورة المؤمنون، الآية ٩١.

والحرفُ المعَدُّ لمثل هذا الشرطِ هو (لو) الامتناعيةُ، فالتقدير: ولو كان معه إلهٌ لَذهب كلُّ إلهٍ بما خلَق، وبقاءُ اللام في صدْر الكلام الواقعِ بعد (إذن) دليلٌ على أن المقدَّر شرطُ (لو)؛ لأن اللامَ تَلزَمُ جواب (لو)، ولأن غالبَ مواقعِ (إذن) أن تكون جوابَ (لو)؛ فلذلك جاز حذْف الشرطِ هنا لظُهور تقديرِه"(١).

**تنْزيل الأمرِ من القول منزلةَ الشرط في جزْم الفِعل المقولِ بتنزيلِه منزلةَ جواب الشرطِ**، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "إنْ تَقُلْ: مَن يرزقُكم من السماء والأرض؟ فسيقولون اللهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ ﴾(٣). وهذا الاستعمالُ نظير تنزيلِ الأمر من القولِ منزلةَ الشرطِ في جزْم الفِعل المقولِ بتنزيله منزلةَ جوابِ الشرطِ، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾(٥). التقدير: إنْ تَقُلْ لهم: أقيموا الصلاة، يُقِيموا، وإن تَقُلْ لهم: قولوا التي هي أحسنُ، يقولوا. وهو كثيرٌ في القرآن على رأيِ المحقِّقين من النُّحاة، وعادةُ المعرِبين أن يُخرِّجوه على حذْف شرطٍ مقدَّر دلَّ عليه الكلامُ. والرأيانِ متقاربانِ، إلا أنَّ ما سلَكه المحقِّقون تقديرُ معنًى، والتقدير عندهم اعتبارٌ لا استعمالٌ، وما سلَكه المعرِبون تقديرُ إعرابٍ، والمقدَّر عندهم كالمذكورِ. ولو لم يُنزَّل الأمرُ بمنزلة الشرطِ لَما جاءت الفاءُ، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

(١) التحرير والتنوير، (١١٤/١٨).

(٢) سورة يونس، الآية ٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان ٥١، ٥٢.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣١.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٥٣.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[1] الآيات. والفاءُ في قوله: «فقل» فاءُ الفصيحة، أي: إنْ قالوا ذلك، فقُلْ: أفلا تتقون. والفاءُ في قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فاءُ التفريعِ، أي: يتفرَّع على اعترافِكم بأنه الفاعل الواحدُ إنكارُ عدمِ التَّقوى عليكم"[2].

قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾[3] بعدَما ذكَر اللهُ -سبحانه- حال الكفَّار، وكيف تركَهم اللهُ يَرفُلون في النعيم في الدُّنيا، أخبَر أنهم يَصيرون إلى النار بعد موتِهم، ثم استأنفَ الحديثَ عن حال المقابِل، وهم الذين آمنوا، ولما كانوا مُتحلِّين بالكمال صِيغ الحديثُ عنهم بعنوان الوصفِ بالإيمان، ولما كان المؤمنون يُقيمون الصلاةَ ويُنفقون من قبْلُ، تعيَّن أن المرادَ الاستزادةُ من ذلك، ولهذا اختِير المضارعُ مع تقدير لامِ الأمر دون صِيغة فِعل الأمرِ؛ لأن المضارعَ دالٌّ على التجدُّد، فهو مع لام الأمرِ يُلاقي حال المتلبِّس بالفعل الذي يُؤمَر به، بخلاف صِيغة (افعل)؛ فإن أصْلَها طلبُ إيجاد الفِعل المأمورِ به مَن لم يكن متلبِّسًا به، فأصل ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: لِيُقيموا، فحُذِفَت لام الأمرِ تخفيفًا، وهذه هي نُكتةُ ورودِ مثلِ هذا التركيب في مواضعِ وُرودِه، كما في هذه الآية وفي قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]، أي: قُل لهم: لِيُقيموا وليقولوا، فحُكِيَ بالمعنى[5]. وذكَر ابن عاشور في موضعٍ آخر أنه مِن حكاية القولِ بالمعنى، أي: قُل لهم: أقيموا، ونُكتةُ ذلك الالتفاتُ؛ لتجديد نشاطِ السامع[6].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[7].

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٨٤، ٨٥.
(٢) التحرير والتنوير، (١٥٧/١١).
(٣) سورة إبراهيم، الآية ٣١.
(٤) سورة الإسراء، الآية ٥٢.
(٥) التحرير والتنوير، (٢٣٢/١٣).
(٦) التحرير والتنوير، ١٣٠/١١.
(٧) سورة الإسراء، الآية ٥٣.

قال ابن عاشور: "لما أعقَبَ ما أمَرَ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- بتبليغِه إلى المشركين من أقوالٍ تَعِظُهم، ثُنِيَ العِنانُ إلى الأمر بإبلاغِ المؤمنين تأديبًا يَنفعُهم في هذا المقام على عادةِ القرآن في تلوين الأغراضِ، وتعقيب بعضِها ببعضِ أضدادِها؛ استقصاءً لأصناف الهُدى ومختلف أساليبِه ونفْع مختلف الناسِ، وجُزِمَ ﴿يَقُولُواْ﴾ على حذْف لام الأمرِ، وهو واردٌ كثيرًا بعد الأمرِ بالقول، ولك أن تَجعل ﴿يَقُولُواْ﴾ جوابًا منصوبًا في جوابِ الأمر، مع حذْف مفعولِ القول لدلالةِ الجواب عليه، والتقديرُ: قُل لهم: قولوا التي هي أحسنُ، يقولوا ذلك، فيكون كِنايةً على أنَّ الامتثال شأْنُهم، فإذا أُمِروا امتَثلوا"(١).

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "أمَرَ النبيَّ ﷺ بترْك ما أهمَّه مِن إعراض الكفَّار عن الإسلام واستهزائهم به، مع وُضوح الحُجج على إثباتِ البعث، ولما كان أكبرُ أسباب إعراضهم وإصرارِهم على كُفرهم هو خوضَهم ولَعِبَهم، كُنِيَ به عن الإعراضِ بقوله: ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾، وجُزِمَ ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ في جواب الأمْرِ؛ للمُبالغةِ في ارتباط خوضِهم ولَعِبِهم بقلَّة الاكتراثِ بهم؛ إذ مُقتضى جزْمه في الجواب أنْ يُقدَّر: أنْ تَذرْهم يَخوضوا ويلعَبوا، أي: يستمِرُّوا في خوضِهم ولَعِبِهم، وذلك لا يَضيرك، ومثلُ هذا الجزْم كثيرٌ، نحو ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(٣)، ونحو ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾(٤). وبعض المفسِّرين والنحويين يَجعل أمثاله مجزومًا بلام الأمْر مُقدَّرةً، على أن ذلك مقولُ القول، وهو يُفيد نُكتةَ المبالغة(٥).

(١) التحرير والتنوير، (١٣٢/١٥).

(٢) سورة المعارج، الآية ٤٢.

(٣) سورة الجاثية، الآية ١٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٥٣.

(٥) التحرير والتنوير، (١٨٢/٢٩).

**حذْف جواب الشرطِ:**

يُحذَفُ جوابُ الشرط للتعظيم والتهويلِ والتفخيم، وحتى تذهبَ النفْسُ فيه كلَّ مذهبٍ.

ومن ذلك حذْفُ جواب (لو) للتعظيم والتهويلِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1].

قال ابن عاشور: "والمعنى: لو أن كتابًا من الكُتب السالفة اشتمَل على أكثرَ من الهدايةِ، فكانت مصادرَ لإيجادِ العجائب؛ لكان هذا القرآنُ كذلك، ولكنْ لم يكُن قرآنٌ كذلك، فهذا القرآنُ لا يُتطلَّب منه الاشتمالُ على ذلك؛ إذ ليس ذلك مِن سُنن الكتبِ الإلهيةِ، كقول أُبيِّ بن سُلْمَى مِن الحماسةِ:

وَلَـــوْ طَـــارَ ذُو حَـــافِرٍ قَبْلَهَـــا لَطَـــارَتْ وَلَكِنَّـــهُ لَمْ يَطِـــرْ[2]

وجواب (لو) محذوفٌ؛ لدلالة المقامِ عليه"[3].

وذكَر الزمخشريُّ أن معنى الآية: "ولو أن قرآنًا سُيِّرت به الجبالُ عن مقارِّها، وزُعْزِعَت عن مضاجعِها، أو قُطِّعَت به الأرضُ حتى تتصدَّع وتتزايلَ قِطعًا، أو كُلِّم به الموتى فتَسمع وتُجيب؛ لكان هذا القرآنُ؛ لكونه غايةً في التذكير، ونهايةً في الإنذار والتخويف... وقيل: معناه: ولو أن قرآنًا وقَع به تسيير الجبالِ، وتقطيعُ الأرض، وتكليمُ الموتى وتنبيهُهم، لَما آمنوا به، ولما تنبَّهوا عليه"[4].

ويَرى البيضاويُّ: أن بلاغةَ حذْف جواب الشرطِ هو تعظيمُ شأْن القرآن، أو المبالغةُ في عِناد الكفَرة وتصميمِهم، فيقول: " ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ شرطٌ حُذِفَ جوابه، والمرادُ منه

(١) سورة الرعد، الآية ٣١.

(٢) شرح ديوان الحماسة، ٢١٥/١.

(٣) التحرير والتنوير، (١٤٣/١٣).

(٤) الكشاف، (٥٢٩/٢).

تعظيمُ شأنِ القرآن، أو المبالغةُ في عِناد الكفَرة وتصميمِهم، أي: ولو أن كتابًا زُعْزِعَت به الجبال عن مقارِّها، أو قُطِّعت به الأرضُ؛ تصدَّعت من خشيةِ الله عند قراءتِه، أو شُقِّقت، فجُعِلَت أنهارًا وعيونًا، أو كُلِّم به الموتى فتَسمع، فتقرؤه، أو فتَسمع وتُجيب عند قراءته: لكان هذا القرآنُ؛ لأنه الغاية في الإعجازِ، والنهايةُ في التذكير والإنذار، أو لَمَا آمنوا به"(١).

ويُبيِّن أبو السعود علَّة الحذفِ بقوله: "وجواب (لو) محذوفٌ؛ لانسياقِ الكلام إليه بحيث يَتلقَّفه السامعُ من التالي، والمقصودُ إما بيانُ عِظَمِ شأنِ القرآن العظيمِ، وفساد رأي الكفَرة؛ حيث لم يَقدُروا قدْرَه العليَّ، ولم يَعُدُّوه من قَبيل الآيات، فاقتَرحوا غيرَه مما أُوتِيَ موسى وعيسى -عليهما السلام-، وإمَّا بيانُ غُلوهم في المكابَرة والعناد وتماديهم في الضلال والفسادِ"(٢).

ويُحذَفُ جوابُ الشرط مع "لو"، وهي أداةٌ غيرُ جازمة، ويُفيد الحذفُ التفخيمَ والتهويل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "وتركيبُ (لو ترى) وما أشبَهه -نحو: لو رأيتَ- مِن التراكيب التي جَرت مجرى المثَلِ، فبُنِيَت على الاختصارِ، وقد تكرَّر وُقوعها في القرآن، وجوابُ (لو) محذوفٌ؛ لقصْد التفخيم وتهويلِ الأمر؛ لتَذهب النفْسُ في تصويره كلَّ مذهبٍ مُمكِنٍ. قرأَ نافعٌ وابن عامر ويعقوبُ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ بتاءٍ فوقية، وهو خطابٌ لغير معيَّن يعُمُّ كلَّ مَن يسمع هذا الخِطاب؛ وذلك لِتناهي حالِهم في الفظاعة والسُّوء، حتى لو حضَرها الناس لَظهرت لِجميعِهم. ويجوز أن يكون الخِطاب للنبيِّ ﷺ؛ فـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ مفعولُ ﴿ تَرَىٰ ﴾ على المعنيين، و(إذ) ظرفُ زمانٍ، والرُّؤية بصريةٌ في الأول والثاني؛ لتعلُّقِها في الموضعين بالمرئيَّات؛ ولأن ذلك موردُ المعنى، إلا أن وقتَ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١٨٨/٣).

(٢) تفسير أبي السعود، (٢١/٥).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

الرؤيتينِ مختلفٌ؛ إذ المعنى: لو تراهم الآن حين يرَون العذابَ يوم القيامة، أي: لو ترى الآن حالَهم، وقرأَه الجمهورُ ﴿يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالتحتيَّة، فيكون ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فاعلُ ﴿يَرَى﴾، والمعنى أيضًا: لو يرَون الآن، وحُذِفَ مفعولُ ﴿يَرَى﴾؛ لدلالة المقامِ، تقديرهُ: لو يرَون عذابَهم، أو لو يرَون أنفسَهم، والتقديرُ على قراءةِ نافعٍ وابن عامر: لَرأيت أمرًا عظيمًا، وعلى قِراءة الجمهورِ: لرأَوا أمرًا عظيمًا، قال المرزوقي عند قول الشَّمَيْذر الحارثي:

وقــدْ ســاءَنِي مــا جــرَّتِ الحــرْبُ بيْننَــا ... بَنِــي عمِّنــا لــوْ كــان أمْــرًا مُدانِيَــا

«حذْفُ الجوابِ في مثل هاته المواضع أبلَغُ وأدل على المراد؛ بدليل أن السيد إذا قال لعبده: لئن قمتُ إليك. ثم سكَتَ، تزاحم على العبد من الظنون المعترضة للتوعد ما لا يتزاحم لو نصَّ على ضربٍ من العذاب»"(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾(٢).

قال ابن عاشور: "أردَف ذِكرَ إنكارِهم البعثَ بتصويرِ حال المنكِرين أثرَ البعثِ؛ وذلك عند حشْرِهم إلى الحساب، وجِيءَ في تصويرِ حالهم بطريقةِ حذْف جواب (لو) حذفًا يُرادِفه: أنْ تذهب نفْس السامعِ كلَّ مذهبٍ مِن تصوير فظاعةِ حالهم وهولِ موقفهم بين يدي ربِّهم، وبتوجيهِ الخِطاب إلى غير معيَّنٍ؛ لإفادة تَناهي حالهم في الظُّهور حتى لا يَختَصَّ به مخاطَب، والمعنى: لو تَرى أيها الرائي لَرأيت أمرًا عظيمًا"(٣).

وكلامُ ابنِ عاشور موافقٌ لكلامِ ابن عطيَّة؛ إذ يقولُ: "وجواب (لو) محذوفٌ؛ لأن حذْفَه أهولُ؛ إذ يُترَك الإنسانُ فيه مع أقصى تخيُّله"(٤).

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، (٢١٥/١)، والتحرير والتنوير، (٩٤/٢- ٩٥).

(٢) سورة السجدة، الآية ١٢.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٢١/٢١).

(٤) تفسير ابن عطية، (٣٦١/٤).

وقدَّر الزمخشريُّ جوابَ (لو) المحذوفَ بقوله: "لَرأيت أمرًا فظيعًا، أو: لَرأيت أسوأَ حالٍ ترى"(١)، وقدَّره البقاعيُّ: "لَرأيت أمرًا لا يَحتمِله من هوله وعِظَمِه عقْلٌ، ولا يُحيط به وصفٌ"(٢).

ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(٤)، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾(٥).

ففي هذه الآياتِ حُذِفَ جواب (لو) كما هو الشأنُ في مقام التهويلِ، والتقديرُ هنا: "لرأيتَ أمرًا عظيمًا"(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾(٧)، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾(٨)، جواب (لو) هنا: لَرأيتَ أمرًا مهولًا وشأنًا فظيعًا(٩)، أو: لَرأيتَ أمرًا عظيمًا وحالًا هائلةً، أو غير ذلك مما جَرى مَجراه(١٠).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم

(١) الكشاف، (٣/٥١٠).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٥/٢٥١).
(٣) سورة الأنعام، الآية ٢٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية ٣٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية ٩٣.
(٦) التحرير والتنوير، (٧/٣٧٧).
(٧) سورة الأنفال، الآية ٥٠.
(٨) سورة سبأ، الآية ٥١.
(٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٥/٥٣٦).
(١٠) المثل السائر، (٢/١٠٠).

بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

قال ابن عاشور: "جواب (لما) محذوفٌ، دلَّ عليه ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾، والتقدير: جَعلوه في الجُبِّ، ومثلُه كثير في القرآن، وهو مِن الإيجاز الخاصِّ بالقرآن؛ فهو تقليلٌ في اللفظ لظُهورِ المعنى"[2]، ونصَّ في موضعٍ آخرَ على بلاغةِ حذْف الجواب في قوله تعالى: " ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ للإيجازِ وأمْن الالتباس"[3].

واشترَط الرازيُّ لحذْف الجواب: أن يكون المذكورُ دليلًا عليه؛ فقال: "لا بدَّ لقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ من جوابٍ؛ إذ جواب (لما) غيرُ مذكور، وتقديره: فجعَلوه فيها، وحذْف الجواب في القرآنِ كثير؛ بشرطِ أن يكون المذكورُ دليلًا عليه، وهاهنا كذلك"[4].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[5].

قال ابن عاشور: "والمعنى: إنْ كُنتم صادقين في دَعوى أن القرآنَ كلامُ بشرٍ، فحُذِفَ متعلِّق ﴿صَادِقِينَ﴾؛ لدلالة ما تقدَّم عليه، وجوابُ الشرط محذوفٌ، تدلُّ عليه جملةٌ مقدَّرة بعدَ جملةِ ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾؛ إذ التقدير: فتأتون بسورةٍ مِن مثلِه، ودلَّ على الجملةِ المقدَّرة قولُه قبلها: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، وتكون الجُملة المقدَّرة دليلًا على جوابِ الشرط، فتصير جُملة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ تكريرًا للتحدِّي"[6].

تَبيَّن ممَّا سبَق أنَّ (إذا) تقَعُ في جوابِ شَرْطٍ محذوفٍ لظُهور تقديره، ويُجزم الفِعلُ الواقع بعدَ

(١) سورة يوسف، الآية ١٥.
(٢) التحرير والتنوير، (٢٣٣/١٢).
(٣) التحرير والتنوير، (٤٩/١).
(٤) تفسير الرازي، (٤٢٧/١٨).
(٥) سورة البقرة، (٣٤١/١).
(٦) التحرير والتنوير، (٣٤١/١).

الأمر بالقولِ على تقدير شَرْط محذوف، كما يُحذف جوابُ الشرط للدَّلالة على التعظيم والتفخيم والتهويل، ولتذهبَ النَّفسُ في تقديره كلَّ مذهب. إلى غير ذلك ممَّا يدلُّ عليه المقامُ.

## المطلب الثاني

## حذْف جُملة القسَم وجوابِه

يتألَّفُ أُسلوب القسَم مِن جُملة القسَم وجوابِه، ويجوزُ حذْف القسَمِ إذا دلَّ عليه الجوابُ، فأما حذْف القسَم فنحوُ قولك: «لأفعلنَّ»، أي: واللهِ لأفعلَنَّ، أو غير ذلك من الأقسام المحلوفِ بها(١).

ويَرى ابن عاشور أنَّ العربَ "يَحذِفون القسَم كثيرًا استغناءً؛ لدلالة الجوابِ عليه دلالةً التزاميةً؛ لأنه لا يَنتظِم جوابٌ بدون مُجابٍ"(٢).

وورَد القسَم محذوفًا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾(٣).

قال ابن عاشور: "عُطِفَت هذه الآية على قولِه تعالى قبلها: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾، وهي جوابٌ لقسَم محذوفٍ؛ لدلالة اللامِ عليه"(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾(٥).

قال ابن عاشور: "بعد أن بيَّن الرسولُ ﷺ للمشركين أن الإسلامَ مُقامٌ على أساس الحنيفيَّةِ -وهي ملَّةُ إبراهيم التي يعرِفونها- أعرَضوا عنه وهذا سَفهٌ منهم. وجُملة ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ معطوفةٌ على الجُمَلِ التي قبلها الدالةِ على عُلوِّ قدْر إبراهيمَ، وجَعْلِه إمامًا للناس، ومِن

(١) المثل السائر، (٢/٩٩).

(٢) التحرير والتنوير، (١/٦٤٦).

(٣) سورة البقرة، الآية ٩٩.

(٤) التحرير والتنوير، (١/٦٢٤).

(٥) سورة البقرة، الآية ١٣٠.

ذُريته كذلك، وأمْرِه ببناء الكعبةِ واستجابةِ الله لدعائه؛ فهي جامعةٌ لِمَزايا إبراهيم عليه السلام ؛ لذا عقَّب بها، وزاد بأنه سيكون في الآخرةِ من الصالحين، واللامُ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، وفي ذلك اهتمامٌ بتقرير اصطفائه وصلاحِه في الآخرة"(١).

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾(٢).

قال ابن عاشور: "فاسمُ الجلالةِ مبتدأٌ. وجملةُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ معترضةٌ بين المبتدأِ وخبرِه؛ لتمجيد الله. وجملةُ ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ جوابُ قسمٍ محذوف واقعٍ جميعُه موقعَ الخبرِ عن اسم الجلالةِ، وأُكِّدَ هذا الخبرُ: بلام القسم، ونون التوكيدِ، وبتقديم المسنَدِ إليه على الخبر الفعليِّ؛ لتقوية تحقيقِ هذا الخبر. إبطالًا لإنكار الذين أنكَروا البعثَ"(٣).

**حذْف جواب القسَم:**

يُحذَفُ جوابُ القسم؛ لتتَّسِعَ الدلالة في المقسَمِ عليه، ولتذهبَ نفْسُ السامع في تقديرِ الجواب كلَّ مذهبٍ، وإذا كان في المقسَمِ به دلالةٌ على المقسم عليه، فحذْف الجوابِ أبلغُ وأوجزُ.

أقسَمَ الله -تعالى- بالقرآنِ لعظمتِه، ففي قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾(٤) الواوُ للقسمِ، و«القرآن» مُقسَمٌ به، وأما جوابُ القسمِ، فقد ذكَر ابن عاشور اختلافَ المفسِّرين في تعيينِه على سبعة أقوالٍ أو ثمانية، واستحسَن منها اثنينِ؛ هما:

**الأول**: أن الجوابَ محذوفٌ، دلَّ عليه قوله: ﴿صٓۚ﴾؛ لأن المقصودَ هو إظهارُ عجْز الكفَّار عن معارضتِه مع أنه بِلُغتِهم، والتقدير: والقرآنِ ذي الذِّكر، إنه لمِن عند اللهِ، لهذا

(١) التحرير والتنوير، (١/٧٢٦).

(٢) سورة النساء، الآية ٨٧.

(٣) التحرير والتنوير، (٥/١٤٨).

(٤) سورة ص، الآية ١.

عجَزْتم عن الإتيان بمِثله"[1].

**الثاني**: أن الجواب محذوفٌ، دلَّ عليه الإضرابُ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[2]؛ لأنه لما وُصِفَ القرآن بأنه ذِكرٌ، ولكن الذين كفَروا في عزَّةٍ وشقاق؛ لأنهم يجحَدون الحقَّ وهم يعلمون، ولذا فالدليلُ من المعنى والسِّياق لا مِن اللفظ، وهو قولُهم: إنه حرف (ص).

وهذا القولُ اختاره ابن عاشور، وصرَّح بالغرض مِن حذْف جواب القَسمِ؛ وهو "الإعراضُ عنه إلى ما هو أجدرُ بالذِّكر، وهو صفةُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وكذَّبوا القرآن عِنادًا أو شقاقًا منهم"[3]، فعدَل عن ذِكرِ الجواب بما يُفيد مُفاده؛ وهو بيانُ سببِ إعراضِهم عنه.

وقوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾[4].

أقسَم الله -سبحانه- بالقرآنِ، والقسَمُ تعظيمٌ للمُقسَمِ به، ثم أتبعَه بوصْف القرآن بقوَّة المجْد والكمال، "وجوابُ القسَم محذوفٌ؛ لتذهبَ نفْسُ السامع في تقديرِه كلَّ طريقٍ ممكن في المقامِ، فيدلُّ عليه ابتداءُ السورةِ بحرف (ق) المشعِرِ بالنداء على عجْزهم عن معارضة القرآنِ بعد تحدِّيهم بذلك، أو يدلُّ عليه الإضرابُ في قوله: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾، والتقدير: والقرآنِ المجيد، إنك لرسولُ الله بالحقِّ، أو: إنه لتنزيلٌ مِن رب العالمين، والإضرابُ الانتقالي يقْتضي كلامًا مُنتقَلًا منه، والقسَم بدون جوابٍ لا يُعتبَر كلامًا تامًّا، فتعيَّن أنْ يُقدِّر السامعُ جوابًا تتمُّ به الفائدةُ يدلُّ عليه الكلام، وهذا من إيجازِ الحذْف، وحسَّنه: أن الانتقال مُشعِرٌ بأهميةِ المنتقَل إليه، أي: عُدْ عما تُريد تقديرَه من جوابٍ، وانتقِلْ إلى بيانِ سبب إنكارهم الذي حدَا بِنا إلى القسَمِ، كقول القائل: دعْ ذا، وقول امرئِ القيس:

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٣/٢٠٤).

(٢) سورة ص، الآية ٢.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٣/٢٠٤).

(٤) سورة ق، الآيتان ١-٢.

فَــدَعْ ذَا وَسَــلِ الْهَــمَّ عَنْــكَ بِجَسْــرَةٍ ذُمُــولٍ إِذَا صَــامَ النَّهَــارُ وَهَجَّــرَا[1]

وقول الأعشى:

فَــدَعْ ذَا وَلَكِــنْ رُبَّ أَرْضٍ مُتيهَــةٍ قَطَعْــتُ بِجُرْجُــوجٍ إِذَا اللَّيْــلُ أَظْلَمَــا[2]"[3]

ونرى هنا أنَّ ابن عاشور أورَد القولين دون تفضيلٍ لأحدهما، كما أشار في الآية السابقة.

ويرى السيوطيُّ أنَّ "أكثر ما يُحذَفُ الجوابُ إذا كان في نفْس المقسَمِ به دلالةٌ على المقسَمِ عليه؛ فإن المقصودَ يحصُل بذِكره، فيكون حذْف المقسَمِ عليه أبلغُ وأوجزُ، كما في قوله: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾؛ فإنه في القسَمِ به من تعظيم القرآنِ ووصْفه بأنه ذو الذِّكر المتضمِّن لتذكيرِ العِباد ما يحتاجون إليه والشرَف والقدْر: ما يدلُّ على المقسَمِ عليه؛ وهو كونه حقًّا مِن عند الله غيرَ مُفترًى كما يقولُ الكافرون، ولهذا قال كثيرون: إن تقدير الجوابِ: إن القرآنَ لَحَقٌّ. وهذا مُطَّرِد في كلِّ ما شابَه ذلك، كما في قوله: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[4].

وقدَّر ابنُ الأثير الجوابَ بـ"لتبعثُنَّ"[5]؛ بدليل ذِكر البعثِ في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾[7].

أقسَم الله -سبحانه- بهذه الأزمانِ التي هي مِن بديع صُنْع الله تعالى، والقسَمُ طريقةٌ

(١) ديوان امرئ القيس، ، ٩٥.

(٢) ديوان الأعشى، ٢٩٥.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٧٨/٢٦).

(٤) الإتقان في علوم القرآن، (٥٨/٤-٥٩).

(٥) المثل السائر، (٩٩/٢).

(٦) سورة ق، الآية ٣.

(٧) سورة الفجر، الآيات ١-٦.

لتأكيد الخبر وتحقيقِه، وتطويلُ القسَمِ تشويق إلى المقسَمِ عليه، ويرى ابن عاشور أن جوابَ القسَمِ إما أن يكون:

أ- محذوفًا، وتقديره: لَيَصُبَّنَّ ربُّك على مكذِّبيك سوطَ عذابٍ، كما صبَّ على عادٍ وثمودَ وفرعون، ودلَّ عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ...﴾؛ لأن المقسَمَ عليه من جِنس ما فُعِلَ بهذه الأمم الثلاث؛ وهو الاستئصالُ.

ب- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، فيكون ما قبْله من الآيات تمهيدًا له، وتشويقًا إلى تلقِّيه، وإيذانًا بجِنس الجواب مِن قبلِ ذِكره؛ لِيَحصُلَ بعد ذِكره مزيدُ تقرُّره في الأذهان"[1].

ممَّا سبَق تبيَّن أنَّ القَسَم يُحذَف لدَلالةِ اللام عليه، ويُحذف جوابُ القَسَم إذا كان في المقسَم به دَلالةٌ على المقسَم عليه؛ لتذهبَ النفسُ فيه كلَّ مذهب، وتتَّسعَ الدَّلالةُ في المقسَم عليه.

(١) التحرير والتنوير، (٣٠/٣١٧-٣١٨).

# الفصل الرابع
# بلاغة حذْف الجُمَلِ

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** الجُمَلُ المفيدة.

**المبحث الثاني:** الجُمَلُ غيرُ المفيدة.

# المبحث الأول
# حذْف الجُمَلِ المفيدة

ذكَر ابن الأثير أقسامَ الحذفِ بقوله: "القسمُ الأول: وهو الذي تُحذَفُ منه الجُمَلُ؛ فإنه يَنقسِم إلى قسمين أيضًا:

**أحدهما:** حذْف الجُمَل المفيدة التي تَستقِلُّ بنفْسها كلامًا، وهذا أحسنُ المحذوفات جميعِها، وأدلُّها على الاختصار، ولا تكاد تَجِدُه إلا في كتاب الله تعالى.

**والقسم الآخر:** حذْف الجُمَل غيرِ المفيدة.

وجُملتهما أربعةُ أضربٍ:

**الضرب الأول: حذْف السؤال المُقدَّر، ويُسمَّى الاستئنافَ**، ويأتي على وجْهين:

**الوجه الأول:** إعادةُ الأسماءِ والصِّفات:

وهذا يَجِيء تارةً بإعادة اسمِ مَن تقدَّم الحديثُ عنه، كقولك: أحسنتُ إلى زيدٍ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان. وتارةً يَجِيء بإعادة صِفته، كقولك: أحسنتُ إلى زيدٍ، صديقُك القديمُ أهلٌ لذلك منك. وهو أحسنُ من الأولِ وأبلغُ؛ لانطوائه على بَيان الموجبِ للإحسان وتخصيصِه"[(١)].

ومما ورَد من هذا الضَّرب قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[(٢)].

صُدِّرت سورةُ البقرة بذِكر صفات المؤمنين المتَّقين، ثم عُقِّب عليها بالثناء عليهم وجزاءِ أعمالهم، قال ابن عاشور: "قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾ جملةٌ مُستأنفة استئنافًا بَيانيًّا؛ لأن السامع إذا سمِعَ ما تقدَّم مِن صفات الثَّناء عليهم، ترقَّب فائدةَ تلك الأوصاف، واسمُ الإشارة هنا حلَّ محلَّ ذِكر ضميرهم، والإشارةُ أحسنُ منه وقعًا؛ لأنها تتضمَّن جميع أوصافِهم المتقدِّمة؛ فقد

(١) المثل السائر، (٢/٧٧-٧٨).

(٢) سورة البقرة، الآيات ١-٥.

حقَّقه التفتازاني في باب الفصلِ والوصلِ مِن الشرح المطوَّل: أنَّ الاستئنافَ بذِكر اسم الإشارة أبلغُ من الاستئنافِ الذي يكون بإعادةِ اسم المستأنَفِ عنه، وهذا التقديرُ أظهرُ معنًى، وأنسبُ بلاغةً، وأسعدُ باستعمال اسم الإشارةِ في مِثل هاته المواقع؛ لأنه أظهرُ في كونِ الإشارة لقصْد التنويهِ بتلك الصِّفات المشار إليها، وبما يَرِدُ بعدَ اسم الإشارة مِن الحُكْم الناشئ عنها، وهذا لا يحصُل إلا بجَعلِ اسم الإشارة مبتدأً أولَ صدْر جُملةِ استئنافٍ؛ فقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ رجوعٌ إلى الإخبار عنهم بأنَّ القرآن هدًى لهم، والإتيان بحرف الاستعلاءِ تمثيلٌ لحالهم؛ بأنْ شُبِّهت هيئةُ تمكُّنهم من الهُدى، وثباتُهم عليه، ومحاولتُهم الزيادةَ به والسيرَ في طريق الخيراتِ؛ بهيأةِ الراكب في الاعتلاءِ على المركوب، والتمكُّنِ مِن تصريفه، والقُدرة على إراضتِه"[1].

ويُضيف ابنُ الأثير أن "الاستئنافَ واقعٌ في هذا الكلامِ على (أولئك)؛ لأنه لما قال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾، اتَّجه لسائلٍ أن يقول: ما بالُ المستقلِّين بهذه الصِّفات قد اختُصُّوا بالهدى؟ فأُجِيب بأنَّ أولئك الموصوفين غيرُ مُستبْعَدٍ أن يفوزوا دون الناس بالهُدى عاجلًا، وبالفلاح آجلًا"[2].

**الوجه الثاني**: الاستئنافُ بغير إعادةِ الأسماء والصِّفات؛ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾[3].

قال ابن عاشور: "استئنافٌ بَياني لِمَا يَنتظِره سامعُ القصة من معرفةِ ما لَقِيَه مِن قومه بعدَ أنْ واجَههم بذلك الخِطاب الجَزْل، وهل اهتدوا بهَدْيه أو أعرَضوا عنه وتركوه، أو آذَوه كما يُؤذَى

(١) التحرير والتنوير، (١/٢٤٢).

(٢) المثل السائر، (٢/٧٨).

(٣) سورة يس، الآيات ٢٢-٢٧).

أمثالُه من الداعِين إلى الحقِّ المخالفين هَوى الدَّهماء؟ فيُجاب بما دلَّ عليه قوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾، وهو الأهمُّ عند المسلمين، وهم مِن المقصودين بمعرفةِ مِثلِ هذا؛ لِيَزدادوا يقينًا وثباتًا، والقائلُ: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ هو اللهُ تعالى، والمقولُ له هو الرجلُ الذي جاء مِن أقصى المدينة، وإنما لم يُذكَرْ ضميرُ المقولِ له مجرورًا باللام؛ لأن القولَ المذكور هنا قولٌ تكوينيٌّ لا يُقصَد منه المخاطَبُ به، بل يُقصَدُ حِكايةُ حصولِه؛ لأنه إذا حصَل حصَل أثرُه، كما في قوله تعالى: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وإذ لم يُقَصَّ في المثِلِ أنه غادَر مقامه الذي قام فيه بالموعظةِ، كان ذلك إشارةً إلى أنه مات في مَقامه ذلك، ويُفهَمُ منه أنه مات قتيلًا في ذلك الوقت أو بأثَرِه، وإنما سُلِكَ في هذا المعنى طريقُ الكِناية ولم يُصرَّحْ بأنهم قتَلوه؛ إغماضًا لهذا المعنى عن المشركين؛ كيْلا يَسُرَّهم أنَّ قومه قتَلوه، فيَجعلوه مِن جُملة ما ضُرِبَ به المثَلُ لهم وللرسول ﷺ ، فيطْمَعوا فيه أنهم يقْتلون الرسول ﷺ؛ فهذه الكِنايةُ لا يفهَمها إلا أهلُ الإسلام الذين تقرَّر عندهم التلازُم بين الشهادةِ في سبيل الله ودخول الجنَّة، أما المشركون فيَحسَبون أن ذلك في الآخرةِ، وقد تكون في الكلام البليغ خصائصُ يَختصُّ بنفْعِها بعضُ السامعين"[2].

ويقول الزمخشري: "إن مَخرجَ هذا القول مَخرجُ الاستئنافِ؛ لأن ذلك من مظانِّ المسألة عن حالِه عند لقاءِ ربِّه، وكأن قائلًا قال: كيف حال هذا الرجلِ عند لقاء ربِّه بعد ذلك التصلُّبِ في دِينه والتسخِّي لوَجْهه برُوحه؟ فقيل: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾، ولم يقُل: قِيل له؛ لانصبابِ الغرضِ إلى المقول وعِظَمِه، لا إلى المقولِ له، مع كونه معلومًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ مُرتَّبٌ على تقديرِ سؤالِ سائلٍ عما وُجِدَ مِن قولِه عند ذلك الفوز العظيم، وإنما تمنَّى عِلْمَ قومِه بحاله؛ ليكون عِلْمُهم بها سببًا لاكتساب مِثلها لأنفسهم، بالتوبةِ عن الكفر، والدخولِ في الإيمان والعمل الصالحِ المفْضيَينِ بأهلهما إلى الجنَّة"[3].

(١) سورة النحل، الآية ٤٠.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٢/٣٧٠).

(٣) الكشاف، (٤/١١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾[2].

تَشابَهت الآيتانِ في التركيب، واختلَفَتَا في إثبات الفاءِ أو حذْفها، ويَذكُر ابنُ عاشور أن "جُملة ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ -في هودٍ- جُعِلَت مُستأنفةً استئنافًا بيانيًّا؛ إذ لما فاتَحَهم بالتهديد، كان ذلك يُنشِئُ سؤالًا في نفوسهم عما يَنشأُ على هذا التهديدِ، فيُجاب بالتهديد بـ ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ولكونِه كذلك كان مساويًا للتفريع بالفاءِ الواقع في آية الأنعامِ في المآلِ، ولكنه أبلغُ في الدلالة على نَشأةِ مَضمون الجُملة المستأنَفة عن مضمون التي قبْلها؛ ففي خِطاب شُعيبٍ عليه السلام قومَه من الشِّدَّة ما ليس في الخِطاب المأمورِ به النبيُّ ﷺ في سورة الأنعامِ، جريًا على ما أرسَل اللهُ به رسوله محمدًا ﷺ من اللِّين لهم، وكذلك التفاوتُ بين معموليْ ﴿تَعْلَمُونَ﴾؛ فهو هنا غليظٌ شديدٌ: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾، وهو هنالك لَيِّنٌ: ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ﴾ في الأنعام"[3].

ويرى الزمخشريُّ أنَّ مَجِيءَ الفاء للتسبيبِ بعد ذِكر الوعيد[4]، وحذْف الفاء أكمل في باب الفظاعة والتهويلِ[5].

**الضَّرب الثاني:**

**الاكتفاءُ بالسبب عن المُسبَّب:**

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ

(١) سورة الأنعام، الآية ١٣٥.

(٢) سورة هود، الآية ٩٣.

(٣) التحرير والتنوير، (١٥٣/١٢).

(٤) الكشاف، (٤٢٥/٢).

(٥) تفسير الرازي، ٣٩٢/١٨.

﴿ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾[1].

قال ابن عاشور: "خَفِيَ اتِّصال هذا الاستدراكُ بالكلام الذي قبْله، وكيف يكون استدراكًا وتعقيبًا للكلام الأول برفْع ما يُتوهَّمُ ثبوتُه؛ فبيانُه: أنَّ قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾[2] مَسوقٌ مساقَ إبطالِ تعجُّبِ المشركين من رسالةِ محمدٍ ﷺ حين لم يَسْبِقْها رسالةُ رسولٍ إلى آبائهم الأولين، فذكَّرهم بأنَّ الله أرسَل موسى كذلك بعد فترةٍ عظيمة، وأن الذين أُرسِلَ إليهم مُوسى أثاروا مِثلَ هذه الشُّبهة، فقالوا: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3]، فكما كانت رسالةُ موسى عليه السلام بعد فترةٍ من الرُّسل، كذلك كانت رسالةُ محمدٍ ﷺ، فالمعنى: فكان المشركون حقيقِينَ بأن يَنظُروا رسالةَ محمدٍ برسالة مُوسى، ولكن اللهَ أنشَأ قرونًا، أي: أُمَمًا بين زمن موسى وزمَنِهم، فتطاوَل الزمنُ، فنَسِيَ المشركون رسالةَ موسى، فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ﴾[4]، وحُذِفَ بقيةُ الدليل، وهو تقديرُ: فنسُوا؛ للإيجازِ؛ لظُهوره من قوله: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾، فتبيَّن أن الاستدراكَ مُتَّصلٌ بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾[5]، وأن ما بيْن ذلك وبين هذا استطرادٌ، وهذا أحسنُ في بيانِ اتِّصال الاستدراك مما احتفَلَ به صاحبُ «الكشَّاف»، ولله دَرُّه في استشعارِه، وشكَر اللهُ مَبلغَ جُهدِه، وهو بهذا مخالفٌ لموقع الاستدراكينِ الآتيينِ بعده من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[6] "[7].

(١) سورة القصص، الآيتان ٤٤-٤٥.
(٢) سورة القصص، الآية ٤٣.
(٣) سورة القصص، الآية ٣٦.
(٤) سورة ص، الآية ٧.
(٥) سورة القصص، الآية ٤٣.
(٦) سورة القصص، الآية ٤٦.
(٧) التحرير والتنوير، (١٣١/٢٠).

وهو يُشير إلى ما ذكَره الزمخشريُّ بقوله: "فإن قلْتَ: كيف يَتَّصل قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ بهذا الكلام؟ ومِن أيِّ وجْه يكون استدراكًا له؟ قلت: اتِّصالُه به وكونُه استدراكًا له من حيث إن معناه: ولكنَّا أنشأْنا بعد عهْد الوحيِ إلى عهدِك قرونًا كثيرةً، فتطاوَل على آخرهم -وهو القرنُ الذي أنت فيهم- العُمر، أي: أمدُ انقطاع الوحيِ، واندرسَت العلومُ، فوجَب إرسالُك إليهم، فأرسلْناك وعرَّفناك العِلْمَ بقصص الأنبياءِ وقصة مُوسى عليهم السلامُ، كأنَّه قال: وما كنت شاهدًا لموسى وما جَرى عليه، ولكنا أَوحينا إليك، فذَكر سبَب الوحي -الذي هو إطالةُ الفترة- ودلَّ به على المسبَّب على عادة اللهِ ﷻ في اختصاراتِه، فإذا هذا الاستدراكُ شبيهُ الاستدراكينِ بعده ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾، أي: مقيمًا في أهل مَدْينَ، وهم شعيبٌ والمؤمنون به، ﴿تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ تقرؤوها عليهم تعلُّمًا منهم، يُريد: الآيات التي فيها قصَّة شعيبٍ وقومه، ولكنا أرسَلْناك وأخبَرْناك بها وعلَّمْناكَها"[1].

ويقول ابن الأثير: "كأنَّه قال: وما كنت شاهدًا لموسى وما جَرى له وعليه، ولكنا أوحيناهُ إليك، فذكَر سببَ الوحيِ -الذي هو إطالةُ الفترةِ- ودلَّ به على المسبَّب الذي هو الوحيُ، على عادةِ اختصارات القرآن؛ لأن تقديرَ الكلام: ولكنَّا أنشَأْنا بعدَ عهْد الوحيِ إلى موسى إلى عهْدِك قرونًا كثيرةً، فتطاول على آخرِهم -وهو القرنُ الذي أنت فيهم- العُمر، أي: أمدُ انقطاعِ الوحيِ، فاندرسَت العلومُ، فوجَب إرسالُك إليهم، فأرسَلْناك، وعرَّفناك العِلْمَ بقصص الأنبياء وقصة موسى"؛ فالمحذوفُ إذنْ جملةٌ مفيدةٌ، وهي جُملة مطوَّلةٌ دلَّ السببُ فيها على المسبَّب"[2].

وكذلك ورَد قوله تعالى عَقِيبَ هذه الآية أيضًا: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3].

(١) الكشاف، (٣/٤١٨).

(٢) المثل السائر، (٢/٧٩).

(٣) سورة القصص، الآية ٤٦.

يرى ابنُ عاشور "أن الاستدراكَ في قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ناشئٌ عن دلالةِ قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾، على معنى: ما كان عِلْمُك بذلك لحضورِك، ولكن كان عِلْمُك رحمةً مِن ربِّك؛ لِتُنذِرَ قومًا ما أتاهم من نذيرٍ مِن قبلك، فانتصابُ (رحمة) مُؤذِنٌ بأنه معمولٌ لعاملِ نصبٍ مأخوذٍ مِن سياق الكلام؛ إما على تقديرِ كونٍ محذوفٍ يدلُّ عليه نفْيُ الكون في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾، والتقدير: ولكن كان عِلْمُك رحمةً منا، وإما على المفعول المطلَقِ الآتي بدلًا مِن فِعلِه، والتقدير: ولكنْ رَحِمناك رحمةً بأنْ علَّمناك ذلك بالوحيِ رحمةً؛ بقرينةِ قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾. ويجوز أن يكونَ ﴿رَّحْمَةً﴾ منصوبًا على المفعولِ لأجله معمولًا لفِعلِ ﴿لِتُنذِرَ﴾، فيكونَ فِعلُ ﴿لِتُنذِرَ﴾ مُتعلِّقًا بكونٍ محذوفٍ، هو مصبُّ الاستدراك، وفي هذه التقاديرِ توفيرُ معانٍ؛ وذلك مِن بليغ الإيجازِ"(١).

ويقول ابن الأثير: "إنَّ في هذا الكلام محذوفًا لولاه لَمَا فُهِمَ؛ لأنه قال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، وهذا لا بُد له مِن محذوفٍ حتى يستقيمَ نظْمُ الكلامِ، وتقديره: ولكنْ عرَّفناك ذلك وأوحيناهُ إليك رحمةً مِن ربك؛ لِتُنذِرَ قومًا ما أتاهم مِن نذيرٍ من قبلك، فذكَر الرحمةَ التي هي سببُ إرساله إلى الناسِ، ودلَّ بها على المسبَّب الذي هو الإرسالُ"(٢).

**الضَّرب الثالث: وهو الإضمارُ على شريطةِ التفسير.**

وهو أنْ يُحذَفَ مِن صدْر الكلام ما يُؤتَى به في آخره؛ فيكون الآخِرُ دليلًا على الأولِ. وهو يأتي على وجهين:

**الأول: أن يأتِيَ على طريق الاستفهامِ، فتُذْكَر الجملةُ الأولى دون الثانية،** كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ

(١) التحرير والتنوير، (٢٠/١٣٤).

(٢) المثل السائر، (٢/٧٩).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[1].

جاءت هذه الآيةُ بعدَ ذِكر جزاءِ المتَّقين، وتمثيلِ حالِهم في الانتفاع بالقرآن، قال ابن عاشور: "و(مَنْ) موصلةٌ مبتدأٌ، والخبرُ محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ مما اقتضاهُ حرفُ الاستدراك مِن مُخالَفةِ حاله لحالِ مَن حقَّ عليه كلمةُ العذاب، والتقدير: أفمَن شرَح الله صدْرَه للإسلامِ، فهو على نورٍ مِن ربِّه؛ مِثْلُ الذي حقَّ عليه كلمة العذاب، فهو في ظلمة الكفر، أو تقديره: مِثلُ مَن قسَا قلبُه؛ بدلالة قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾، وهذا من دلالةِ اللاحقِ"[2].

وقدَّره ابنُ الأثير بقوله: "أفمَن شرَح اللهُ صدْرَه للإسلام كمَن أقسى قلْبَه"[3]، وأفاد الحذفُ تعظيمَ شأْن المذكورِ وعُلوِّ منزلتِه، عن ذِكر الفريق الآخر المنحطِّ قدْرًا، المحقَّرِ ذِكرًا؛ ففيه صيانةٌ لمِن شرَح اللهُ صدْره للإسلام.

**الوجه الثاني: يَرِدُ على حدِّ النفْيِ والإثباتِ**، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾[4].

كان المسلمون قَبْلَ فتْح مكَّة في قلَّةٍ وضَعْف، ولَمَّا فُتِحَت مكةُ دخلَت سائرُ قريشٍ وكثيرٌ من العرب الإسلامَ، فكان الإنفاقُ والجِهادُ قبْل الفتح أعظمَ أجرًا؛ لأنه أشقُّ على النفْسِ؛ ولذا لا يَتسوي الفريقانِ في الذِّكر ولا في المنزلةِ؛ فلذلك أُغفِلَ ذِكْرُهم، وإنْ كان أصلُ المفاضَلة يدلُّ على المشاركة في الوصفِ.

قال ابن عاشور: "حُذِفَ قِسمُ مَن أنفَق مِن بعد الفتحِ إيجازًا؛ لدلالةِ فِعلِ التسويةِ عليه لا مَحالةَ، والتقدير: لا يسْتوي مَن أنفَق مِن قبْل الفتْح ومَن أنفَق بعده"[5]؛ بدلالةِ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

(١) سورة الزمر، الآية ٢٢.
(٢) التحرير والتنوير، (٣٧٩/٢٣).
(٣) المثل السائر، (٨١/٢).
(٤) سورة الحديد، الآية ١٠.
(٥) التحرير والتنوير، (٣٧٥/٢٧).

أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾[1].

**الضَّرب الرابع: ما ليس بسببٍ ولا مُسبَّب، ولا إضمارٍ على شريطة التفسيرِ، ولا استئنافٍ:**

كما في قوله تعالى في قصَّة سُليمان عليه السلام والهدهدِ في إرساله بالكتاب إلى بِلقيسَ: ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[2].

عندما تفقَّد سُليمان عليه السلام الطيرَ، ففقَد الهدهدَ، فسألَ عنه، فأتى وأخبَره خبر مَملكةِ سبأٍ، ثم أرسلَ سُليمانُ عليه السلام مع الهدهدِ كتابًا إلى بلقيسَ يدعوها فيه للإسلام، ثم انتَقل المشهدُ مباشرةً إلى حالِ بلقيسَ أثناء تلقِّي الكتاب، دون ذِكر تفاصيلِ الأحداث بين ذلك.

قال ابن عاشور: "طُوِيَت أخبارٌ كثيرة دلَّ عليها ما بين الخبرينِ المذكورين من اقتضاءِ عدَّةِ أحداثٍ؛ إذ التقديرُ: فذهَب الهدهدُ إلى سبأٍ، فرَمى بالكتاب، فأبلغَ الكتابَ إلى المِلكةِ وهي في مجلسِ مُلْكِها، فقرأتْه، قالت: يا أيها الملأُ"[3]، وحُذِفَت هذه الجُمَلُ؛ لأنها غيرُ مَعنيةٍ بسياق القصةِ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[4].

بعدما عَلِمَ المِلكُ أنَّ الذي عبَّر الرُّؤيا هو يوسفُ عليه السلام المسجونُ، أُعجِبَ بتأويله، ورأى أنه يَستحقُّ الاصطفاء والاستخلاصَ؛ لعِلْمِه وحكمتِه، وصبْره ونزاهتِه، وحُسن خُلقِه، فطلَب مُقابَلته، فجاء إليه وكلَّمه، وفي الآيةِ حذفٌ يدلُّ عليه السياقُ.

(١) المثل السائر، (٢/٨١).

(٢) سورة النمل، الآيات ٢٧-٢٩.

(٣) التحرير والتنوير، (١٩/٢٥٨).

(٤) سورة يوسف، الآية ٥٥.

قال ابن عاشور: "جُملة ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ مُفرَّعةٌ على جُملة محذوفةٍ دلَّ عليها ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾، والتقديرُ: فأتَوه به -أي بيوسفَ عليه السلام-، فحضَر لديه وكلَّمه، فلمَّا كلَّمه، والضميرُ المنصوب في ﴿كَلَّمَهُۥ﴾ عائدٌ إلى المِلك، فالمكلِّم هو يوسفُ عليه السلام، والمقصودُ مِن جُملة ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ إفادةُ أنَّ يوسفَ عليه السلام كلَّم المِلكَ كلامًا أُعجِبَ المِلكُ بما فيه مِن حكمةٍ وأدب"(١).

ويُمكِن أن يكونَ للحذفِ بُعدٌ آخرُ؛ وهو سُرعة المجِيء بيوسفَ؛ فالأمرُ قد صدَر مِن المِلكِ، وهو يستعجلُ لقاءَ يوسفَ، الذي أظهَر تعبيرُه رُؤيا المِلكِ سياسةَ مواجهةِ الأزمة الاقتصاديةِ القادمة، فأراد المِلكُ أن يجعَله مستشارًا خاصًّا له، فحُذِفَت الجُمَلُ؛ للإشارة إلى سُرعة الإتيانِ به.

إنَّ حَذْف الجُملِ المفيدة هو أحسنُ المحذوفات، ومِن أنواعه: الاستئنافُ بإعادة الأسماء والصِّفات، وبغير الأسماء والصِّفات، ومنه الاكتفاءُ بالسّبب عن المسبَّب، والإضمارُ على شَريطة التفسيرِ، ويأتي عن طريقِ الاستِفهام، أو عن طريقِ النَّفيِ والإثبات، وهناك أنواعٌ لا تَدخُل ضِمنَ ما سبَق.

(١) التحرير والتنوير، (٧/١٣).

# المبحث الثاني
# حذْف الجُمَلِ غيرِ المفيدة

**حذْف الجُمَلِ غيرِ المفيدة على تقسيم ابنِ الأثير يأتي على أضْرُبٍ:**

**الضَّرب الأول: الاكتفاءُ بالسببِ عن المسبَّب.**

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(١).

قال ابن عاشور: "أي: وإنِ استمرُّوا على انصرافهم عن قَبولِ دعوتك، ولم يشْكُروا النِّعمةَ ببعثك؛ فلا عجَبَ؛ فقد كذَّب أقوامٌ مِن قبلهم رسلًا من قبْلُ، وهو انتقالٌ مِن خطاب الناس إلى خِطاب النبيِّ ﷺ؛ لمناسَبةِ جَريانِ خِطاب الناس على لسانِه، فهو مُشاهِدٌ لخِطابهم، فلا جرَمَ أنْ يُوجَّه إليه الخِطابُ بعد توجيهِه إليهم؛ إذ المقامُ واحدٌ، وجِيءَ في هذا الشرطِ بحرفِ (إنْ) الذي أصلُه أنْ يُعلَّق به شرطٌ غيرُ مقطوعٍ بوقوعِه؛ تنزيلًا لهم بعدما قُدِّمت إليهم الحُجة على وَحدانية الله، المصدِّقةُ لِمَا جاءهم به الرسولُ عليه الصلاة والسلامُ، فكذَّبوه فيه، مَنزلةَ مَن أيقَن بصِدقِ الرسول ﷺ، فلا يكون فرضُ استمرارِهم على تكذيبِه إلا كما يُفرَضُ المحالُ، وهذا وجْهُ إيثار الشَّرط هنا بالفِعلِ المضارع الذي في حيِّز الشرطِ يتمحَّضُ للاستقبال، أي: إنْ حدَث منهم تكذيبٌ بعدما قرَع أسماعَهم مِن البراهين الدامغةِ... والمذكورُ جوابًا للشرطِ إنما هو سببٌ لجوابٍ محذوف؛ إذ التقدير: وإنْ يُكذِّبوك فلا يَحزُنْك تكذيبُهم؛ إذ قد كُذِّبَت رسلٌ مِن قبلك، فاسْتُغْنِيَ بالسببِ عن المسبَّبِ؛ لدلالته عليه"(٢).

قال الزمخشريُّ: "معناه: وإنْ يُكذِّبوك، فتأسَّ بتكذيب الرُّسل مِن قبلك، فوُضِعَ ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ

(١) سورة فاطر، الآية ٤.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٥٧).

﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ موضعَ: فتأَسَّ، استغناءً بالسببِ عن المسبَّب، أعنى بالتكذيبِ عن التأسِّي"[1].

**الضَّرب الثاني: الاكتفاء بالمسبَّب عن السببِ.**

وأما الاكتفاء بالمسبَّب عن السببِ فكما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2].

تقدَّم هذه الآيةَ وعْدُ الله -سُبحانه- لكلِّ مَن عمِلَ صالحًا بأحسن الجزاء، ثم جاء الأمرُ بالاستعاذةِ عند إرادةِ قِراءة القرآن، واختلَف المفسِّرون في مناسبتِها، وقد نقَل ابن عاشور أقوالَ المفسِّرين الذين وصَفهم بالحذَّاق وعلَّق عليها، فقال: "موقعُ فاءِ التفريعِ هنا خَفِيٌّ ودقيق، ولذلك تصدَّى بعضُ حذَّاق المفسِّرين إلى البحثِ عنه؛ فقال في «الكشَّاف»: «لما ذُكِرَ العملُ الصالحُ ووُعِدَ عليه، وُصِلَ به قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾؛ إيذانًا بأنَّ الاستعاذة مِن جُملة الأعمال التي يُجزَلُ عليها الثوابُ»، وهو إبداءُ مناسبةٍ ضعيفةٍ لا تقْتضي تمكُّنَ ارتباط أجزاء النظْمِ.

وقال فخر الدِّين: «لما قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[3]، أرشَد إلى العمل الذي تَخلُصُ به الأعمالُ من الوسواس» اهـ، وهو أمكنُ مِن كلام «الكشَّاف»، وزاد أبو السعود: «لما كان مدارُ الجزاءِ هو حُسنَ العملِ، رتَّب عليه الإرشادَ إلى ما به يَحسُن العمل الصالحُ؛ بأنْ يَخلُص مِن شَوب الفسادِ»، وفي كلامَيْهما مِن الوهنِ: أنه لا وجْهَ لتخصيصِ الاستعاذةِ بإرادة قِراءة القرآن.

وقول ابن عطيَّة: «الفاءُ في ﴿فَإِذَا﴾ واصلةٌ بين الكلامينِ، والعربُ تَستعمِلُها في مِثل هذا»، فتكونُ الفاء على هذا لمجرَّدِ وصْل كلامٍ بكلام، واستشْهَد له بالاستعمالِ. والعُهدةُ عليه.

---

(١) الكشاف، (٣/٥٩٨).

(٢) سورة النحل، الآية ٩٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٧.

وقال شرف الدين الطِّيبي: «قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ مُتَّصلٌ بالفاءِ بما سبَق مِن قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]؛ وذلك لأنه تعالى لما مَنَّ على النبيِّ ﷺ بإنزال كتابٍ جامعٍ لصفاتِ الكَمال، وأنه تِبيانٌ لكلِّ شيء، ونبَّه على أنه تِبيانٌ لكل شيءٍ بالكلمة الجامعةِ؛ وهي قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[2]، وعطَف عليه ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[3]، وأكَّده ذلك التأكيدَ، قال بعد ذلك: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، أي: إذا شرَعْتَ في قراءة هذا الكتاب الشريفِ الجامعِ الذي نبَّهْت على بعضِ ما اشتمَل عليه، ونازَعَك فيه الشيطانُ بهَمْزه ونَفْثِه؛ فاستعِذْ بالله منه. والمقصود إرشادُ الأمَّة» اه.

وهذا أحسنُ الوجوهِ، وقد انقدَح في فِكري قبْل مُطالَعة كلامِه، ثم وجدْتُه في كلامِه؛ فحِمْدُت اللهَ، وترحَّمْتُه عليه، وعليه: فما بيْن جُملة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾[4]، وجُملة ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ جملةٌ مُعترِضةٌ، والمقصودُ بالتفريع الشروعُ في التنويهِ بالقرآن"[5]. وهذا أدبُ ابنِ عاشورٍ في التعامل مع مَن سبَقه، واعترافٌ بفضْله.

وأضاف ابنُ الأثير: "أي: إذا أردتَ قِراءة القرآن... فاكْتفى بالمسبَّب -الذي هو القراءةُ- عن السببِ -الذي هو الإرادةُ-، والدليلُ على ذلك: أنَّ الاستعاذةَ قبْل القراءة، والذي دلَّت عليه أنها بعدَ القراءةِ، كقول القائل: إذا ضربْت زيدًا فاجلِسْ؛ فإن الجلوسَ إنما يكون بعدَ الضربِ، لا قبْله، وهذا أولى مِن تأوُّلِ مَن ذهَب إلى أنه أراد: فإذا تعوَّذْتَ فاقرَأْ؛ فإنَّ ذلك قلْبًا لا ضرورةَ تدعو إليه، وأيضًا فليس كلُّ مُستعيذٍ واجبةً عليه القراءةُ"[6].

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.
(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.
(٣) سورة النحل، الآية ٩١.
(٤) سورة النحل، الآية٨٩.
(٥) التحرير والتنوير، (١٤/٢٧٥).
(٦) المثل السائر، (٢/٨٠).

**الضَّرب الثالث: ما ليس بسببٍ ولا مُسبَّب، ولا إضمارٍ على شريطة التفسير، ولا استئنافٍ:**

وهو كثيرٌ في القصصِ القرآني، وأما ما ورَد من هذا الضَّرب في حذْفِ الجُمَلِ التي ليست بمُفيدةٍ، فكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[1]، بعدَما عجَز الملِكُ عن الحصول على تأويلِ رُؤياه ممَّن حوله وممَّن أرسَلَ إليهم، تذكَّر ساقِي الملِكِ ما جرى له مع يوسفَ عليه السلام في السجنِ، فقال لهم: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾، ثم انتقَل المشهدُ مباشرةً من مجلِسِ الملِكِ إلى السجنِ؛ حيث يَسألُ الساقي يوسفَ عليه السلام تعبيرَ رُؤيا الملِكِ، مُغفِلًا ذِكرَ إرساله ومشْيِه ووصولِه؛ إذ لا عَلاقةَ له بأحداث القصةِ، وهو من بديعِ الإيجازِ، كما سمَّاه ابن عاشور في قولِه: "الخِطابُ بالنداء مُؤذِنٌ بقول محذوفٍ في الكلام، وأنه مِن قول الذي نجَا وادَّكر بعد أُمَّةٍ، وحُذِفَ من الكلامِ ذِكْرُ إرسالِه ومشْيِه ووصولِه؛ إذ لا غرَض فيه من القصةِ. وهذا مِن بديعِ الإيجازِ"[2]، والمحذوفُ هنا مفهومٌ مِن سياق الآياتِ.

ومِن حذْف الجُمَلِ التي يدلُّ عليها السياقُ، ولا تتطلَّبها الصِّناعة النحْويةُ بشرطِ عدَمِ الالتباسِ، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنۢبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾[3].

قال ابن عاشور: "تفريعُ حِكاية الذَّهاب به والعزمِ على إلقائِه في الجُبِّ على حِكاية المحاوَرة بين يعقوبَ عليه السلام وبَنيه، في محاولةِ الخروجِ بيوسفَ عليه السلام إلى البادية: يُؤذِنُ بجُمَلٍ

(١) سورة يوسف، الآيتان ٤٥-٤٦.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨٤/١٢).

(٣) سورة يوسف، الآية ١٥.

محذوفةٍ، فيها ذِكرُ أنهم ألحُّوا على يعقوبَ عليه السلام حتى أقْنعوه، فأذِنَ ليوسفَ عليه السلام بالخروجِ معهم؛ وهو إيجازٌ، والمعنى: فلما أجابهم يعقوبُ عليه السلام إلى ما طَلبوا ذهَبوا به، وبلَغوا المكانَ الذي فيه الجُبُّ"(١). والآياتُ في سياق المؤامرةِ التي دبَّرها إخوةُ يوسفَ؛ لِيَخْلُوَ لهم وجْهُ أبيهم، ويبْدو أنَّ حذْفَ موافقةِ يعقوبَ عليه السلام لأبنائه تدلُّ على أنه لم يكن راضيًا عن إرساله معهم، وكأنه أحسَّ بما سيَحدث ليوسفَ عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢).

قال ابن عاشور: "وجُملة ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ مقولُ قولٍ محذوفٍ يُقدَّر حالًا مِن ﴿يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، وهذا القولُ مِن كلام إبراهيم؛ لأنه الذي يُناسِبه الدعاءُ لذُرِّيته؛ لأن إسماعيلَ كان حينئذ صغيرًا. والعدولُ عن ذِكر القولِ إلى نُطق المتكلِّم بما قاله المحكيِّ عنه: هو ضربٌ مِن استحضار الحالةِ، قد مَهَّد له الإخبارُ بالفِعل المضارِع في قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾، حتى كأنَّ المتكلِّمَ هو صاحبُ القولِ، وهذا ضربٌ من الإيغالِ"(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾(٤).

قال ابن عاشور: "بلَغ الضَّجرُ في بني إسرائيل من المنِّ والسَّلوى أنْ يطلُبوا من موسى دعاءَ

(١) التحرير والتنوير، (٢٣٣/١٢).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

(٣) التحرير والتنوير، (٧١٩/١).

(٤) سورة البقرة، الآية ٦١.

الله أنْ يُخرِجَ لهم ما ذكَروه من أصنافٍ؛ فهي في معنى مقولِ قولٍ محذوفٍ، كأنه قِيل: قلْ لربِّك: يُخرِجْ لنا... ومُقتضى الظاهر أنْ يُقال: أنْ يُخرِجَ لنا، فعُدِلَ عن ذلك إلى الإتيان بفِعلٍ مجزومٍ في صورةِ جوابِ طلبِهم، كأنه قِيل: إنْ تَدْعُ ربَّك بأنْ يُخرِجْ لنا يُخرِجْ لنا، وهذا بتنزيلِ سببِ السببِ منزلةَ السببِ، فجُزِمَ الفِعلُ المطلوب في جوابِ الأمر بطَلبه لله؛ للدلالة على تحقُّق وُقوعه؛ لِتَقتهم بإجابة اللهِ تعالى دعوةَ موسى، وفيه تحريضٌ على إيجادِ ما عُلِّق عليه الجوابُ، كأنه أمْرٌ في مُكْنَتِه، فإذا لم يَفعل فقد شحَّ عليهم بما فيه نفْعُهم"(١).

حَذْفُ الجُمَلِ غَيرِ المفيدةِ يأتي في الاكتفاءِ بالسَّبب عن المسبَّب، وبالمسبَّب عن السبب؛ لدَلالةِ كلٍّ منهما على الآخَرِ. ومِن أكثرِ أنواعِ الحذْف في القَصص القرآنيِّ ما ليس من الأنواع السابقة، وقد يُفيدُ التركيزَ على الغرضِ المسوق له القِصَّة، وتجاوُزَ ما يمكن أن يكون معلومًا من السِّياق، ولا يُؤثِّر حَذْفُه، ومنه العدولُ عن ذِكر القولِ إلى نُطق المحكيِّ استحضارًا للحالة، ولكلِّ سياقٍ غاياتُه.

(١) التحرير والتنوير، (٥٢٢/١).

# الفصل الخامس
# منهج ابنِ عاشور في مُعالجة الحذْف ونقْده

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** منهج ابنِ عاشور في معالجة الحذف.

**المبحث الثاني:** نقْد المنهج.

# المبحث الأوَّل
# منهجُ ابن عاشور في معالَجة الحذْف

## المطلب الأول
## العزْو والتوثيـق

لا بُد لكلِّ مؤلِّفٍ مِن مصادرَ يَستنِد إليها، ويأخُذ منها، أو يستدلُّ بها، ومِن حقِّ السابق على اللاحق أنْ يَنسبَ قولَه إليه، وبدايةُ العزْو كانت في الإسناد، ثم تطوَّر إلى مظاهرَ أخرى، كلُّها تعود إلى توثيقِ المعلومة.

والعزْو هو إرجاعُ القول إلى قائله، والمعلومةِ إلى مصدرِها، والتوثيقُ تأكيدُ وجود المعلومةِ في المصدر، ويبْدو جليًّا اهتمامُ ابن عاشور بالعزْو والتوثيق في تَفسيرِه؛ فقد عدَّ في مُقدِّمته أمَّهاتِ كتب التفسيرِ التي يَرجِعُ إليها إجمالًا، وجعَل «الكشَّاف» في طليعةِ مراجعه، كما ذكَر ذلك في مُقدمته، وهو يَنقِل عنه، وينسب إليه كثيرًا.

وتفسيرُ «التحرير والتنوير» تفسيرٌ موسوعيٌّ، اعتنى فيه ابنُ عاشور بالبلاغة عنايةً واضحةً، وسلَّط الضوءَ على الحذْف وأبعاده البلاغيةِ، وما يُضِيفه من معانٍ جديدة، وقد استفاد ممَّن سبَقه من المفسِّرين والبلاغيين، فقال: "وقد اهتمَمْتُ في تفسيري هذا ببيانِ وُجوه الإعجاز ونُكت البلاغةِ العربية وأساليبِ الاستعمال"(١)، ويَمتدِح كتابَه بقوله: "ففيه أحسَنُ ما في التفاسير، وفيه أحسنُ ممَّا في التفاسير"(٢)، كما ذكَر أنَّ فنَّ البلاغة لم يخُصَّه أحدٌ من المفسِّرين بكتابٍ كما خصُّوا أفانينَ القرآن الأخرى، ومِن أجْل ذلك الْتزَمَ ألَّا يُغفِلَ التنبيهَ على ما يَلوح له منه كلَّما أُلْهِمَهُ، وقد ميَّز ما يَفتِح الله له مِن فَهمٍ في معاني كتابه وما جلَبه من المسائل العلميَّة

(١) التحرير والتنوير، (٨/١).

(٢) التحرير والتنوير، (٨/١).

مما لا يَذكُره المفسِّرون[1].

**أ. منهج ابن عاشور في عزو الأقوال:**

تَباينَت طُرق ابنِ عاشور في العزْو؛ ففي بعضِ المواضع يَذكُر المؤلِّف، أو يَذكُر الكتابَ دون المؤلِّف، وأحيانًا يُغفِل النِّسبة، وفي بعضِ المواضع يَذكُر الكلامَ بنصِّه، وفي بعضها الآخرِ يَذكُره مُضمَّنًا أو بمعناه، وذكَر علَّة تغافُلِه عن العزْو بعدما ذكَر مراجعه التي يعتمِد عليها بقولِه: "ولقصد الاختصارِ أُعرِضُ عن العزْو إليها"[2].

ويُمكِن تلخيصُ طُرق ابن عاشور في الإفادةِ من مصادرِه -مع ما يُمثِّلها- فيما يلي:

١- الإشارةُ إلى المؤلِّف والمصدر، أو أحدِهما:

كما في تفسيرِه لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[3].

قال ابن عاشور: "جعَل صاحبُ «الكشَّاف» (إذا) ظرفًا مجرَّدًا عن معنى الشرطيةِ، منصوبًا بفِعلٍ محذوفٍ؛ لقصد التهويل... إلخ"[4].

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ...﴾[5]: "وحُذِفَ مفعولُ ﴿يَسْقُونَ﴾؛ لتعميمِ ما شأْنُه أنْ يُسْقى، وهو الماشيةُ والناسُ؛ ولأنَّ الغرض لا يتعلَّق بمعرفة المِسْقيِّ، ولكن بما بعدَه مِن انزواءِ المرأتين عن السَّقيِ، كما في «الكشَّاف» تبعًا «لدلائل الإعجاز»، فيكون مِن تنزيل الفِعلِ المتعدِّي مَنزلةَ اللازمِ"[6]، وهنا أشار لاسم الكتابِ دون ذِكر صاحبِه.

---

(١) التحرير والتنوير، (٨/١).

(٢) التحرير والتنوير، (٧/١).

(٣) سورة النحل، الآية ٨٥.

(٤) التحرير والتنوير، (٢٤٦/١٤).

(٥) سورة القصص، الآيتان ٢٣-٢٤.

(٦) التحرير والتنوير، (٩٩/٢٠).

٢- الإشارةُ إلى المصدر دون نقْل منه:

ومِن ذلك ما أشار إليه ابنُ عاشور في بيان اتِّصال الاستدراكِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾[1]؛ إذ فصَّل القول فيها، وعقَّب بالإشارة إلى قولِ صاحب «الكشَّاف» ولم يُورِدْه، بل أثنى عليه بقولِه: "وهذا أحسنُ في بيانِ اتِّصال الاستدراك مما احتفَلَ به صاحبُ «الكشَّاف»، ولله دَرُّه في استشعارِه، وشكَر اللهُ مَبلغَ جُهدِه"[2].

٣- النقلُ من المصدر دون عزْوٍ:

وهذا في عموم التفسيرِ، وهو منهجُه في الكلام المتَّفق عليه، والمتواتِر في التفاسيرِ السابقة، وهو ما أراده بقولِه: "ولقصْدِ الاختصار أُعرِضُ عن العزْو إليها"[3].

٤- إبهامُ العزْو:

ويَغلِب هذا الإبهامُ حين يكون القول ضعيفًا، فيَعزوه إلى بعضِ المفسِّرين، أو بقوله: "قِيل"، كما في تفسيرِه لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، قال ابن عاشور: "ومِن المفسِّرين مَن قدَّروه مبتدأً محذوفًا، وجعَلوا ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا عنه، أي: هذا كتابٌ، أي: أن المشارَ إليه القرآنُ الحاضر في الذِّهن، أو المشار إليه السُّورةُ؛ أُطلِقَ عليها كتابٌ، ومنهم مَن جعَل ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا عن كلمة ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾، وكلُّ ذلك بمَعزِلٍ عن متانةِ المعنى"[5]، وظاهرٌ ردُّه لهذا القول.

ولو أنعَمْنا النظرَ فيمَن نقَل ابنُ عاشور عنهم، نجِدُ أكثرَ مَن ذُكِرَ السكَّاكي، وتَسميته

(١) سورة القصص، الآيتان ٤٤-٤٥.

(٢) التحرير والتنوير، (١٣١/٢٠).

(٣) التحرير والتنوير، (٧/١).

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢.

(٥) التحرير والتنوير، (٨-ب/١٢).

للحذفِ الذي اتَّبع فيه الاستعمالَ الوارد على ترْكِه، ففي قولِ اللهِ تعالى: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾، قال ابن عاشور: " يَشيع عند العربِ أنْ إذا ذكَروا موصوفًا بأوصافٍ أو أخبار، حذَفوا المسنَدَ إليه وجَعلوه كأنه معروفٌ للسامع، وقد سمَّاه السكَّاكيُّ "الحذْف الذي اتُّبِعَ فيه الاستعمالُ الوارد على ترْكِه"، فـ ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ أخبارٌ لمبتدأ محذوفٍ هو ضميرٌ يعودُ إلى ما عاد إليه ضميرُ ﴿مَثَلُهُمۡ ﴾... إلخ"[1].

وقلَّما ترَك نِسبةَ تسميةِ السكَّاكي في الحذْف الغالب في الاستعمال، أو ما يُسمِّيه أحيانًا بالاستعمال الجاري؛ اعتمادًا على ما مرَّ ذِكرُه منسوبًا من قبْلُ، كما في قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩ ﴾[2]، قال ابن عاشور: "فـ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوف، أي: هو الرحمن، وهذا مِن حذْف المسنَد إليه الغالبِ في الاستعمال عندما تتقدَّم أخبارٌ أو أوصاف لصاحبِها، ثم يُراد الإخبارُ عنه بما هو إفصاحٌ عن وصْفٍ جامع لِمَا مضى، أو أهمَّ في الغرضِ مما تقدَّمه... الخ"[3].

وقد ذكَر مرَّةً تسمية السكَّاكي منسوبةً لعُلماء المعاني[4]، وعبَّر عنها بمُتابعة الاستعمالِ.

**ب. منهج ابن عاشور في عزْو الشواهد الشِّعرية:**

فقد اهتمَّ بالاستشهاد بالشِّعر اهتمامًا بالغًا، ولا ريب أنَّ الشِّعر ديوانُ العربِ، كما يقول ابنُ عباسٍ ﷺ: «الشِّعر ديوانُ العرب، فإذا خَفِيَ علينا الحرفُ من القرآنِ الذي أنزلَه الله بلُغَتِهم، رجَعنا إلى ديوانهم، فالْتمَسنا معرفةَ ذلك منه». وكان كثيرًا ما يُنشِد الشِّعر إذا سُئِلَ عن بعض حروفِ القرآن[5]، وابنُ عاشور يَذكُرها منسوبةً لقائليها غالبًا، وقد يَذكُر البيتَ منسوبًا

(١) التحرير والتنوير، (٣١٣/١).
(٢) سورة الفرقان، الآية ٥٩.
(٣) التحرير والتنوير، (٦٠/١٩).
(٤) التحرير والتنوير، (٢٦٢/٤).
(٥) التحرير والتنوير، (٢٢/١).

لشاعرٍ، ويتردَّد في نِسبته، فيَذكر معه آخرَ، وفي موضعٍ آخرَ لا يُصرِّح بالقائل، بل يَذكر وصفًا، فمثلًا روى شاهدًا للحذْف للاستعمال الجاري:

سَأَشْـــكُرُ عَمْـــرًا إِنْ تَرَاخَـــتْ مَنِيَّـــتِي أَيَـــادِيَ لَمْ تُمْـــنَنْ وَإِنْ هِـــيَ جَلَّـــتِ

فَـــتًى غَيْـــرُ مَحْجُـــوبِ الْغِـــنَى عَـــنْ صَـــدِيقِهِ وَلَا مُظْهِـــرُ الشَّـــكْوَى إِذَا النَّعْـــلُ زَلَّـــتِ

قال في الحاشيةِ -عند ذِكره أوَّل مرة-: "مِن الحماسةِ، في باب الأضيافِ غير منسوبٍ، ونسَبه الشريفُ المرتضى في أماليهِ لإبراهيم بن العباسِ الصُّولي، وقيل: لعبد الله بنِ الزُّبَيْرِ الأسدي، وقيل: لمحمد بن سعيدٍ الكاتب، وعمرٌو المذكور هو عمرُو بن سعيد بن العاصِ الملقَّبُ بالأشدقِ"[1]. وقد سبَق تحقيقُه في موضع ورُوده[2].

(١) التحرير والتنوير، (٣١٣/١).

(٢) انظر: (ص٥١).

## المطلب الثاني

## المُناقشة والاستدلال

وضَّح ابنُ عاشور منهجَه في تفسيره؛ فهو يأخُذ بأقوال العلماء السابقينَ، مختارًا ومصحِّحًا ومزيدًا، أو مُعترِضًا بدليلٍ وتعليلٍ، أو سابقًا في رُؤًى جديدةٍ، يقول: "فجعلْتُ حقًّا عليَّ أنْ أُبدِيَ في تفسير القرآن نُكتًا لم أرَ مَن سبقني إليها، وأن أَقِفَ موقف الحَكم بين طوائفِ المفسِّرين، تارةً لها، وآونةً عليها؛ فإن الاقتصارَ على الحديث المعاد تعطيلٌ لفَيض القرآن الذي ما له مِن نَفاد، ولقد رأيت الناسَ حول كلامِ الأقدمين أحدَ رجلين: رجلٌ مُعتكِفٌ فيما شادَه الأقدمون، وآخرُ آخِذٌ بمِعْوَلِهِ في هدْم ما مضت عليه القرونُ، وفي تلك الحالتين ضرٌّ كثير، وهنالك حالةٌ أخرى يَنجبِر بها الجَناحُ الكسير؛ وهي أن نَعمِد إلى ما أشاده الأقدمون، فنُهذِّبه ونَزيده، وحاشَا أن نَنقُضَه أو نُبيدَه، عِلْمًا بأنَّ غمْضَ فضْلِهم كفرانٌ للنِّعمة، وجحْد مزايا سلَفِها ليس مِن حميدِ خِصال الأُمة"(١).

ومِن منهج ابنِ عاشور: إذا نقَل رأيًا أنْ يُناقِشه ويُبيِّن وجْهَ الصواب مستدلًّا على قوله بما يُعضِّده، كإيرادِه تقديرَ الفرَّاء للمحذوفِ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢)؛ إذ ذكَر أنَّ الفرَّاء قدَّر المحذوفَ بـ"فإخوانكم تُخالِطون"، وعلَّق عليه بأنه تقديرٌ سَمِجٌ، وعلَّل ذلك بأن الفاء تَقترِن بجواب الشرطِ إذا كان جُملة اسميةً، ثم خرَّج قولَ الفرَّاء بأنه أراد جواز التركيب في العربيةِ، ثم استدرَك عليه بأنَّ اشتراطَ صِحَّة الرِّواية أولى مِن تسويغ قِراءة القرآنِ بما يَسُوغ في العربيةِ؛ قال ابن عاشور: "قوله: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ جوابُ الشرطِ؛ ولذلك قُرِنَ بالفاء؛ لأن الجملةَ الاسميَّة غيرُ صالحةٍ لمباشرة أداةِ الشرطِ؛ ولذلك

(١) التحرير والتنوير، (١/٧).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٠.

فـ﴿إِخْوَٰنِكُمْ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديرُه: فهم إخوانُكم، وهو على معنى التشبيه البليغِ، والمراد بالأخوَّة أُخوةُ الإسلام التي تَقتضي المشاورةَ والرِّفق والنُّصح، ونقَل الفخر الرازيُّ عن الفرَّاء: «لو نصبْتَه كان صوابًا، بتقدير: فإخوانكم تُخالِطون»، وهو تقديرٌ سَمِجٌ، ووجودُ الفاء في الجواب يُنادي على أنَّ الجواب جُملةٌ اسمية مَحضةٌ، ومَحملُ كلامِ الفرَّاء على إرادة جواز تركيب مِثلِه في الكلام العربيِّ، لا على أنْ يُقرَأَ به، ولعلَّ الفرَّاء كان جريئًا على إساغة قراءةِ القرآن بما يَسُوغ في الكلام العربيِّ دون اشتراط صِحَّةِ الرِّواية"(١).

وقد أورَد ابن عاشور خمسةَ أقوالٍ في بيانِ مُناسبة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(٢)، مع ما تقدَّمها مِن الآيات، فذكَر اختلافَ المفسِّرين فيها، وعقَّب كلَّ قولٍ بتأييد أو تخطئةٍ، مُبيِّنًا علَّةَ ذلك؛ بدَأها بذِكرِ قولِ الزمخشري بأنَّ الاستعاذةَ مِن جملة الأعمالِ التي يُجزَلُ عليها الثوابُ، ثم أبْدى تضعيفَه لهذا الرأي بقولِه: "وهو إبداءُ مُناسبةٍ ضعيفة لا تقْتضي تمكُّنَ ارتباطِ أجزاء النظْم". ثم أورَد قول الرازيِّ: "لما قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾(٣) أرشَد إلى العمل الذي تَخلُص به الأعمالُ مِن الوسواس"، وفضَّله على كلام الزمخشريِّ، وعقَّب بقول أبي السعودِ: "لما كان مدارُ الجزاء هو حُسنَ العمل، رتَّب عليه الإرشادَ إلى ما به يَحسُن العمل الصالحُ؛ بأنْ يَخلُص مِن شَوب الفساد". ثم ضعَّف قولَيهما بأنهما لم يُعلِّلا تخصيصَ الاستعاذة بقراءةِ القرآن؛ فيقول: "وفي كلامَيْهما من الوهنِ: أنه لا وجْهَ لتخصيص الاستعاذةِ بإرادة قراءة القرآنِ". ثم ذكَر قولَ ابن عطية وعلَّق عليه، وخلُصَ أخيرًا إلى قولِ الطِّيبيِّ، وذكَره مُفصلًا واستحسَنه، وذكَر أنه ورَد في ذِهنه قبْل اطلاعِه عليه، فدعا له وحمِدَ الله، وهذا مِن نزاهة ابنِ عاشور وأدَبِه مع العلماء السابقين، وسُمُوِّ أخلاقه؛ إذ يقول: "وقال شرفُ الدِّين الطيبيُّ: «قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ

(١) التحرير والتنوير، (٢/٢٥٧).

(٢) سورة النحل، الآية ٩٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٧.

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ مُتَّصلٌ بالفاءِ بما سبَق مِن قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]؛ وذلك لأنه تعالى لما مَنَّ على النبيِّ ﷺ بإنزال كتابٍ جامعٍ لصفاتِ الكَمال، وأنه تِبيانٌ لكلِّ شيء، ونبَّه على أنه تِبيانٌ لكل شيءٍ بالكلمة الجامعةِ؛ وهي قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[2]، وعطَف عليه ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[3]، وأكَّده ذلك التأكيدَ؛ قال بعد ذلك: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، أي: إذا شرَعْتَ في قراءة هذا الكتاب الشريفِ الجامعِ الذي نبَّهْت على بعضِ ما اشتمَل عليه، ونازَعَك فيه الشيطانُ بهَمْزِه ونَفْثِه؛ فاستعِذْ بالله منه. والمقصود إرشادُ الأمَّة» اه. وهذا أحسنُ الوجوهِ، وقد انقدَح في فِكري قبْل مُطالَعة كلامِه، ثم وجدْتُه في كلامِه؛ فحَمِدْتُ اللهَ، وترحَّمْتُه عليه، وعليه: فما بيْن جُملة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾[4]، وجُملة ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ جملةٌ مُعترِضةٌ، والمقصودُ بالتفريع الشروعُ في التنويهِ بالقرآن"[5]. وقد نقَل هذه النصوصَ بحروفها – على طولِ بعضِها–؛ لأنه موضعُ تحريرٍ لموقعٍ وصَفه بالخفاء والدِّقة.

واعْتنى ابنُ عاشور بالاستدلالِ في تفسيرِه؛ فهو يَحتجُّ بالقرآن وبالحديث، وبالشِّعر وبالأمثال، وسأعرِضُ لكلٍّ منها نموذجًا.

**١- الاستدلالُ بالآيات:**

يستدل ابن عاشور بالآيات لتأكيدِ تشابُهِ المعاني القرآنيةِ، وتأييد بعضِها بعضًا، وللتمثيلِ بالأظهرِ؛ لبيانِ معنًى دقيقٍ، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٣) سورة النحل، الآية ٩١.

(٤) سورة النحل، الآية٨٩.

(٥) التحرير والتنوير، (١٤/٢٧٥).

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1]، ذكَر آيةً أخرى تَحمِل التركيبَ نفسَه؛ وهي قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾[2]

**٢- الاستدلالُ بالحديث:**

قلَّ استشهادُ ابن عاشور بحديثِ الرسولِ ﷺ في تفسيرِه، وعزَا ذلك إلى قلَّة الآثار المرويَّة عنه في المرادِ بالآيات، فيقول: "أمَّا الآثارُ فالمعنيُّ بها ما نُقِلَ عن النبي ﷺ مِن بيان المرادِ من بعض القرآنِ في مواضع الإشكال والإجمالِ، وذلك شيءٌ قليل. قال ابنُ عطية عن عائشة: «ما كان رسول الله يُفسِّر من القرآنِ إلا آياتٍ معدودات علَّمه إيَّاهن جبريلُ»، وقال معناه في مغيَّبات القرآن وتفسير مُجْمَله مما لا سبيلَ إليه إلا بتوقيفٍ"[3]، ولم أقِفْ على استشهادٍ صريحٍ به -فيما جمَعْته من مواضعَ للحذْف-، إنما ورَد مُضمَّنًا في اقتباسٍ لقولِ الزمخشريِّ في معنى (استمع) في قولِه تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾[4]؛ إذ يَنقُل ابن عاشور قولَ الزمخشري الذي يَرى أنَّ معناها: "واستمِعْ لِمَا أُخبِرُك به من حال يوم القيامة، وفي ذلك تهويلٌ وتعظيمٌ لشأْن المخبَرِ به، كما رُوِيَ أن النبي ﷺ قال لمعاذِ بن جَبل: «يا معاذُ، اسمَعْ ما أقول لك». ثم حدَّثه بعد ذلك"[5].

**٣- الاستدلالُ بالشِّعر:**

أشار ابنُ عاشور إلى أهميةِ الشِّعر في التفسيرِ؛ إذ يرى أنه "لم يكُنْ غِنًى للمفسِّر في بعض المواضعِ مِن الاستشهادِ على المراد في الآيةِ ببيتٍ مِن الشِّعر أو بشيء من كلامِ العربِ؛ لتكميلِ

(١) سورة يونس، الآية ٣١.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٥١، ٥٢.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٣/١.

(٤) سورة ق، الآية ٤١.

(٥) التحرير والتنوير، (٣٣٠/٢٦).

ما عنده مِن الذَّوق، عند خفاءِ المعنى، ولإقناعِ السامع والمتعلِّم اللذين لم يَكمُل لهما الذَّوق في المشكلاتِ"[(١)]، ولذلك استشهَد ابن عاشور بالشِّعر الأصيل، وبخاصَّة شِعرَ الجاهليين والمخضرَمين وشُعراء صدْر الإسلامِ، كما هو مُتَّفق عليه في قانون أهلِ اللغة من الاحتجاجِ بشِعر هذه الأزمنةِ، وتابَع الزمخشريُّ في الاستشهاد بالجيِّد من شِعر المحدَثين، وربما كان هذا على سبيل الاستئناسِ لا الاحتجاج، وهو دليلٌ على مَوسوعيَّته اللُّغوية، وعِنايته بكُتب الأدب والبلاغة؛ كديوانِ الحماسة الذي أكثَر النقلَ عنه والاستشهادَ به[(٢)].

أمَّا عن طريقتِه في التعامل مع الشِّعر؛ فإنه قد يُورِدُ نصفَ بيتٍ، سواء كان ذلك صدرًا أم عَجُزًا، ومن ذلك إيرادُه صدْر بيت المتلمِّس:

آلَيْــتُ حَــبَّ الْعِــرَاقِ الــدَّهْرَ أَطْعَمُــهُ[(٣)] .....

واقتصَر على العَجُزِ في بيت القطاميِّ:

..... فَآلَيْنَــــــا عَلَيْهَــــــا أَنْ تُبَاعَــــــا[(٤)]

أي: ألَّا تُباع[(٥)].

ويُورِد بيتًا -وهو الغالب-، أو بيتينِ أو أكثرَ، ثم يُعيِّن الشاهد ووجْهَ الدلالة فيه، ويُوضِّح ما خَفِيَ من لَفظِه، وقد يَنقِل شرحًا إن اقتضى المقامُ ذلك، كما استدلَّ لوقوع (إذن) جزاءً لكلامٍ مُقدَّر شائعٍ في كلام العربِ بقول العنبريِّ:

لَــوْ كُنْــتُ مِــنْ مَــازِنٍ لَمْ تَسْــتَبِحْ إِبِلِــي بَنُــو اللَّقِيطَــةِ مِــنْ ذُهْــلِ بْــنِ شَــيْبَانَا

إِذَنْ لَقَــامَ بِنَصْــرِي مَعْشَــرٌ خُشُــنٌ عِنْــدَ الْحَفِيظَــةِ إِنْ ذُو لَوْثَــةٍ لَانَــا

(١) التحرير والتنوير، (٢١/١).

(٢) انظر: أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر ابن عاشور في كتابه: (التحرير والتنوير)، مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ. ص ٢٢٠، بتصرف.

(٣) انظر: (ص٣٥).

(٤) انظر: (ص٣٤).

(٥) التحرير والتنوير، (٦٧/٦).

ثم أورَد قول المرزوقيِّ في «شرح الحماسة»: «وفائدة (إذن) هو أنه أخرَج البيت الثانيَ مُخرجَ جوابِ قائلٍ له: ولو استباحوا، ماذا كان يفعَل بنو مازن؟ فقال: إذنْ لقام بنَصري معشرٌ خُشنٌ»[(١)].

ومِن الملاحَظِ أنَّ ابن عاشور يُكرِّر البيت في كلِّ موضع مُشابهٍ، كقول العنبري السابقِ؛ فقد ذكَره في أربعةِ مواضعَ[(٢)]، وهذا دلالةٌ على طول نفَسِه -رحمه الله- في التفسيرِ.

**٤- الاستدلالُ بالأمثال:**

اهتمَّ ابن عاشور بالمثَلِ العربي؛ لأنه يُشكِّلُ جانبًا مهِمًّا من المسموعِ اللُّغوي، الذي يَستدلُّ به المفسِّرون والبلاغيون على أقوالِهم، ونظرًا لمِحدوديَّة الأمثالِ التي لا تُقارَنُ بالشِّعر؛ فهي أقلُّ وُرودًا، إلا أنه أحسَنَ توظيفَها في تأكيدِ بلاغة الحذْف.

ومِن ذلك ما استدلَّ به لحذْفِ الموصوف وجَعلِ الموصولِ صفةً، فيَجري الكلامُ مَجرى المثَلِ في قولِه تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**...﴾ الآية[(٣)]، قال ابن عاشور: "ومِن هذا القَبيلِ: أنهم أتَوا بالموصول مُؤنَّثًا وصفًا لمحذوفٍ مُلتزَمِ الحذْف، وحذَفوا صِلَتَه أيضًا في قولهم في المثَل: «بعدَ اللَّتيَّا والَّتي»، أي: بعد الداهيةِ الحقيرةِ والداهية الجليلةِ"[(٤)].

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٥/٢٣٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٥/١١٥- ٥/٢٣٦- ٢١/١٠- ٢١/٢٩١).

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

(٤) التحرير والتنوير، (٨-أ/١٦٣).

## المطلب الثالث

## الاختيارُ والترجيح

اختار ابن عاشورٍ منهجًا وسطًا بين العقل والنقْل؛ فقد غاص في أعماقِ التُّراث، واستوعَب ما كُتِبَ قبله، مُتأمِّلًا مُحلِّلًا، ومعلِّقًا على نقْله بتصحيحٍ واستدراكٍ، أو استحسانٍ وتفضيلٍ، ومؤيِّدًا، ومزيدًا ما فتَح الله تعالى عليه به مما لم يُسبَقْ إليه، بإشارةٍ لطيفة إلى تفرُّدِه به، وتأدُّبٍ مع آراء العلماءِ قبْله.

ويَحسُن التذكيرُ بأن ابن عاشورٍ يَقبَل اختلاف المفسِّرين كلَّما كان ذلك مُمْكِنًا، ودون معارضةٍ لدلالة النصِّ القرآني، كما أشار إلى ذلك في مقدِّمته التاسعةِ: "أن المعانيَ التي تَتحمَّلُها جُمَلُ القرآن تُعتبَرُ مُرادةً بها"، حيث يقول: "ولما كان القرآن نازلًا مِن المحيطِ عِلْمُه بكلِّ شيء، كان ما تَسمَحُ تراكيبُه الجارية على فصيحِ استعمال الكلام البليغ باحتماله مِن المعاني المألوفة للعربِ في أمثالِ تلك التراكيبِ: مظنونًا بأنه مرادٌ لمنزِّله، ما لم يَمنَعْ مِن ذلك مانع صريحٌ أو غالب؛ مِن دلالة شرعيةٍ، أو لُغوية، أو تَوقيفية"(١).

ويَنتقِد ابن عاشورٍ طريقة المفسِّرين في الترجيح الذين إذا رجَّحوا معنًى جعلوا غيرَه مُلغى، ويرى أن المعانيَ المتعددة التي يَحتمِلها اللفظ بدون خروجٍ عن مَهْيَعِ الكلام العربي البليغِ، معانيَ في تفسير الآية، ويُوضِّح منهجَه في ذلك بقوله: "فنحن في تفسيرِنا هذا إذا ذكَرْنا معنيينِ فصاعدًا، فذلك على هذا القانون، وإذا تركْنا معنًى مما حمَل بعض المفسِّرين عليه في آيات من القرآنِ، فليس تركُنا إياه دالًّا على إبطاله، ولكن قد يكونُ ذلك لترجُّح غيره، وقد يكون اكتفاءً بذِكره في تفاسيرَ أخرى تجنُّبًا للإطالة"(٢).

(١) التحرير والتنوير، (٩٣/١).

(٢) التحرير والتنوير، ١٠٠/١.

ويُمكِن أنْ نتبيَّن طريقةَ ابن عاشور فيما يُورِدُ من أقوالِ غيره بما يلي:

**١- يَذكُر القولَ، ثم يُعلِّق عليه بثناءٍ واستحسانٍ أو ترجيحٍ:**

ومِن ذلك بيانُ مَحمَلِ (استمع) في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[(١)]؛ إذ أورَد رأيَ ابن عطية فيه، وعلَّق بأنه لم يرَ مَن سبَقه إليه؛ فيقول: "نحَا ابنُ عطية حمْلَ (استمع) على المجازِ، أي: انتظِرْ، قال: «لأن محمدًا ﷺ لم يُؤمَرْ بأن يَستمِع في يومِ النداء؛ لأن كلَّ مَن فيه يَستمِع، وإنما الآيةُ في معنى الوعيد للكفَّار؛ فقيل لمحمدٍ ﷺ: تحسَّسْ هذا اليومَ وارْتَقِبْه؛ فإنَّ فيه تبيُّنَ صِحَّة ما قلْتُه» اهـ. ولم أرَ مَن سبَقه إلى هذا المعنى"، ثم ذكَر قولًا للزمخشري وأثْنى عليه بأنه مَحمَلٌ حَسنٌ دقيقٌ، يقولُ فيه: "وللزمخشريِّ طريقةٌ أخرى؛ إذ يقول: «يعني: واستمِعْ لِمَا أُخبِرُك به مِن حال يوم القيامة، وفي ذلك تهويلٌ وتعظيمٌ لشأْن المخبَرِ به، كما رُوِيَ أن النبي ﷺ قال لمعاذِ بن جَبل: «يا معاذُ، اسمَعْ ما أقول لك». ثم حدَّثه بعد ذلك، ولم أرَ من سبَقه إلى هذا، وهو مَحملٌ حَسن دقيقٌ"[(٢)].

وعرَض ابنُ عاشور قولينِ في تقديرِ المضاف إليه المحذوفِ مع (بعد)، واختار قولًا ورجَّحه بلفظٍ صريحٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾[(٣)]؛ قال ابن عاشور: "إنَّ حذْفَ ما أُضِيفت إليه (بعد) يُنادي على أنه حذْفٌ معلومٌ دلَّ عليه الكلام السابقُ، فتأخُّرُها في النزول عن الآياتِ التي قبْلها، وكونُها متَّصلةً بها وتتمَّةً لها: مما لا يَنبغي أنْ يُتردَّد فيه، فتقدير المضاف إليه المحذوفِ لا يَخلو: إما أن يُؤخَذ مِن ذِكر الأصناف قبْله، أي: من بعدِ الأصناف المذكورةِ بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾[(٤)]، وإما أن يكون مما يَقْتضيه الكلامُ من

(١) سورة ق، الآية ٤١.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٦/٣٣٠).

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٠.

الزمان، أي: مِن بعد هذا الوقت. والأول الراجحُ"[1].

**٢- يَذكُر القولَ ثم يرُدُّه:**

كما في تفسيرِه لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]؛ قال ابن عاشور: "ومِن المفسِّرين مَن قدَّروه مبتدأً محذوفًا، وجعَلوا ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا عنه، أي: هذا كتابٌ، أي: أن المشارَ إليه القرآنُ الحاضر في الذِّهن، أو المشار إليه السُّورةُ؛ أُطلِقَ عليها كتابٌ، ومنهم مَن جعَل ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا عن كلمة ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾، وكلُّ ذلك بمَعزِلٍ عن متانةِ المعنى"[3]، وظاهرٌ ردُّه لهذا القول.

**٣- يَذكُر القولَ ولا يُعلِّق عليه:**

كما في إيرادِه قولَ الزمخشري في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4]؛ قال ابن عاشور: "ومعنى: ﴿هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ﴾ يَحتمل أن يرادَ به: أنَّ كلَّ آية تأتي تكون أعظَمَ مِن التي قبْلها، فيكون هنالك صِفةٌ محذوفة؛ لدلالةِ المقام، أي: مِن أختها السابقةِ، وهذا يَستلزِمُ أن تكون الآياتُ مُترتِّبةً في العِظَمِ بحسب تأخُّر أوقات ظهورِها؛ لأن الإتيانَ بآيةٍ بعد أخرى ناشئٌ عن عدَمِ الارتداع من الآيةِ السابقة. ويَحتمِل ما قال صاحب «الكشاف»: أنَّ الآياتِ موصوفاتٌ بالكِبَرِ لا بكونها مُتفاوتةً فيه، وكذلك العادةُ في الأشياء التي تَتلاقى في الفضل، وتتفاوَت منازلُها فيه التفاوتَ اليسير، أي: تختلف آراءُ الناس في تفضيلِها"[5]، وهذا يُفيد قَبولَه لاتِّساع المعنى، عند عدمِ

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/٧٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢.

(٣) التحرير والتنوير، (٨-ب/١٢).

(٤) سورة الزخرف، الآية ٤٧.

(٥) التحرير والتنوير، (٢٥/٢٢٦).

مُخالفته لدلالةٍ شرعية أو لُغوية.

**٤- يَنفرِد برأيٍ ويُنبِّه على سبْقِه إليه:**

كما في بَيانِه للحذْف الذي كشَف مُناسبةَ ذِكر حِلِّ المحصَنات من المؤمناتِ في أثناء إباحةِ طعام أهلِ الكتابِ، وإباحة تزوُّجِ نسائهم، في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]؛ قال ابن عاشور: "عُطِفَ ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ عطْفَ المفردِ على المفرَد، ولم يُعرِّج المفسِّرون على بيان المناسبةِ لذِكْر حِلِّ المحصَنات من المؤمنات في أثناء إباحةِ طعام أهل الكتابِ، وإباحة تزوُّجِ نسائهم، وعندي: أنه إيماءٌ إلى أنهنَّ أَولى بالمؤمنين من مُحصنات أهل الكتاب، والمقصودُ هو حُكم المحصَنات من الذين أُوتوا الكتاب؛ فإنَّ هذه الآيةَ جاءت لإباحة التزوُّج بالكتابيات، فالتقديرُ: والمحصَنات من الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم"[2].

وبعدَ بيانِ مَنهجِ ابنِ عاشور في تناوُلِ ظاهرةِ الحَذْف، يَحسُنُ الانتقالُ إلى نقْدِ هذا المنهجِ، وهو ما يأتي الحديثُ عنه في المبحثِ التالي.

(١) سورة المائدة، الآية ٥.

(٢) التحرير والتنوير، (١٢٣/٦).

## المبحث الثاني
## نقْد المَنهـــج

امتاز ابنُ عاشور في تناوُلِه لبلاغة الحذْف بأمورٍ؛ أبرزُها:

١. أنَّه يَعُدُّ تفسيرَ «الكشَّاف» للزمخشريِّ مرجعًا أساسيًّا في البلاغة والعربية، ويُقدِّمه على غيره، رغمَ اختلافه عنه في المذهب العَقَدي.

٢. يَذكُر نظائر الحذْف في آيات أُخَرَ، ويُكرِّر هذا في كثير من المواضعِ، مما يُساعِد على البيان والمقارَنة وتوضيح المقاصدِ.

٣. أحسَنَ في ذِكر تقديرِ المحذوف في الآياتِ، واحتمالاتها ونِسبةِ بعض التقديراتِ لقائليها، كما أنَّه قد يَترُك تقديرَ المحذوف في آيةٍ وينصُّ عليه عندَ بيانِ مَثيلتِها، بمعنى أنه – أحيانًا– يَذكُر تقديرَ المحذوف في غيرِ موضعِه من الآيات، فمثلًا: في قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾[1]، لم يَذكُرْ تقديرَ المحذوفِ عند بيانها، وإنما ذكَره عند حديثِه على قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[2]؛ فقال: "التقديرُ: هو ربُّ السموات"[3].

٤. بيَّن ابن عاشور بلاغةَ الحذْف في مُعظَمِ المواضع، وأغفَلَ بعضَ المواضع، كما أنه لا يَلتزِمُ ذِكرَ دليل الحذْف أو قرينته دائمًا.

٥. يَستشهِد على الحذْف في الآيات بالشِّعر، ويَذكر البيتَ منسوبًا لقائله، وربما ذكَر المناسبةَ التي قِيلت فيه؛ زيادةً في البَيان، ويُكرِّره في المواضع المشابِهة غالبًا، ويُوضِّح معناه بإجمالٍ

(١) سورة النبأ، الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨.

(٣) التحرير والتنوير، (٣١٣/١).

أحيانًا، وقد يَذكُر أكثر مِن شاهدٍ لإثبات الاطرادِ وشيوعه، لا كونه حالةً مُستثناة.

٦. عندَ تشابُهِ بلاغة الحذْف في آيتينِ، فإنه يَبسُط القولَ في الأولى ويُجْمِله في الأخرى، ويُحِيل إلى الآية السابقة، بذِكر الآية ورقَمِها.

٧. يُنبِّه على إضافاته التي لم يُسبَقْ إليها.

٨. أجاد في عزْو الأقوالِ والأبيات لقائليها، وترَكَ العزْو في بعض المواضع؛ لقصْد الاختصارِ، كما نبَّه عليه هو في مُقدِّمتِه، حين لا يختصُّ القول بعالِمٍ بعينه، ويكون القولُ مما اتُّفِقَ عليه وشاع ذِكرُه.

ممَّا سبَق تَظهَرُ عِنايةُ ابنِ عاشور بعَزو الأقوال لأصحابها على أكثرَ مِن مستوى حسَبَ ما يرَى ضَرورتَه، وعِنايتُه بعزو الشواهد الشِّعرية وبيان ما يَحتاجُه السياقُ مِن توضيح فيها، وحَرَص ابنُ عاشور على مناقشةِ الأقوال وبيانِ أوجهِ الصِّحَّة والخطأ بالدليل والتعليل؛ ليختارَ ما يراه الأرجحَ، أو يُضيفَ رأيًا جديدًا يُنبِّهُ على سبْقِه فيه.

## الخاتمة

الحمدُ الله الذي تتمُّ بنِعمته الصالحاتُ، وبعدُ:

فقد تناولْتُ في هذا البحث بلاغةَ الحذْف في القرآن الكريم مِن خلال تفسير "التحرير والتنوير" لابنِ عاشور؛ رغبةً في الكشْف عن القِيَمِ البلاغية للحذْف على اختلاف أنواعه، وقد أثمرَتِ الدراسةُ جملةً من النتائج، أبرزُها ما يلي:

١. عنايةُ ابن عاشور بالحذْف عنايةً خاصَّةً، تمثَّلَ ذلك بتحديدِ مواقعه، وتقدير المحذوف، وبيانِ أبعاده وبلاغتِه، والمعاني التي أضافها.

٢. عند تأمُّل مواضعِ الحذْف في الآيات، يتبيَّن أنَّ الدلالات التي يخرج إليها لا يُمكِن أن تُحصَرَ، بل مرَدُّها وعمادها الذَّوقُ وطاقة الفَهْم والتدبُّر.

٣. يُمكِن القولُ: إن غاية الحذْف الإيجازُ في كلِّ موضع، ويُضاف إليه ما يتَّسِعُ له المعنى من معانٍ جديدة.

٤. أنَّ دراسة بلاغةِ الحذْف يجِبُ أن تكون داخلَ سياق الآيةِ والسُّورة والنصِّ القرآني، ولا يمكن اجتزاؤها مِن موضعها.

٥. سَعةُ أُفقِ ابن عاشورٍ في قَبول الأقوال المختلفةِ في الحذْف الواحد ما لم تُعارِضْ الثوابت الشرعية أو اللغوية.

٦. قد يُفيد حذْف حرفِ الجرِّ عنده احتمالَ أكثرَ مِن معنى، ويدلُّ على تعدُّد الدلالة التي تكون متضادةً أحيانًا.

٧. لم يَرِدْ في القرآن نداءٌ بغير الياءِ، واطَّرد حذْفُها في نداء الربِّ تبارك وتعالى؛ تعظيمًا وتنزيهًا، ما عدا آيتينِ، سياقهما شَكوى الرُّسل من إعراض قومِهم عن اتِّباع الحقِّ والهدى، وهو مقامُ إطنابٍ؛ فلذلك ذُكِرَت.

٨. اطَّرادُ حذْف حرف العطْفِ في المحاوَرات؛ لأنها تقْتضي تَكرارَ أفعال القولِ، فيتكرَّر العاطف، وأن العطفَ بالفاء هو الأصلُ.

٩. أنَّ حذْفَ المبتدأِ يُؤدِّي دلالاتٍ أخرى؛ كالتعظيم، أو التحقيرِ، أو التهويل، أو لِيَجْرِيَ مَجرى المثلِ.

١٠. أنَّ أبرزَ غايات حذْف الفاعل هي إفادةُ أكثرَ من احتمالٍ، بصلاحية تعدُّد الفاعل، فتتعدَّد المعاني. كذلك يُحذَفُ تعظيمًا له، فيتعيَّن ألَّا يُمكِن صدور الفِعلِ إلا منه.

١١. حُذِفَ الفعلُ من البسملة؛ لتَصلُحَ للابتداء بها في كلِّ فعلٍ، ويُقدَّرُ بحسب السياق.

١٢. أكثرَ ابنُ عاشور من الوقوف على حذْف المفعول، والبحثِ عن بواعثه وسبْر أغوارِه؛ فقد يكون الغرضُ العنايةَ بإثبات الفِعل للفاعل دون الالتفاتِ للمفعولِ، أو للعموم، أو لقصْدِ الاتِّساع، فتذهب النفْسُ فيه كلَّ مذهبٍ.

١٣. تبيَّن أنَّ حذف المفعول هو أكبرُ أبواب الحذْف وأكثرها أبعادًا ومقاصدَ؛ لأن المفعولَ إن حُذِفَ لا ينوبُ عنه شيءٌ؛ كالمضاف عند حذْفه. وشواهدُ ابن عاشور في الآيات تُثْبِتُ هذا.

١٤. يَكثُر حذْف مفعولِ المشيئة؛ لإغناءِ ما بعده عنه، ويُراد به البيانُ بعد الإبهامِ. ولا يُذكَرُ إلا أن يكون عظيمًا أو غريبًا.

١٥. إنَّ ما يُحذَفُ في مقامٍ ويُذكَرُ في نظيرِه لَهُوَ خيرُ دليل على أن السِّياق هو الذي يُسلِّط الضوء على أهدافٍ معيَّنة؛ بُغيةَ إبرازها، والعنايةِ بها في مقامٍ، وإغفالها وتجاوزها في مقامٍ آخر.

١٦. أنَّ أكثرَ حذْف للمضاف جاء في دلالةِ الاقتضاء؛ لأنَّ الأحكام لا تتعلَّق بالذوات، بل بأفعالٍ يتعلَّق بها الطلبُ.

١٧. يَقِلُّ حذْف المضاف إليه عمومًا، وعند حذْفه مع "كلّ" يُعوَّضُ عنه بالتنوين، ويدلُّ حينئذٍ على العموم والشُّمول والإحاطة.

١٨. كما شاع حذْف الموصوف في الدُّنيا والآخرة والحَسنة والسيِّئة؛ لكثرةِ استعمالها وكونِها معلومةً. وكذلك يُحذَفُ الموصوف إذا كانت الصِّفة مُختصَّةً به ولا تكون إلا له؛ كالصَّافنات، والرواسي، والجوارِ.

١٩. يَندُر حذْف الصِّفة وإقامةُ الموصوف مقامَها، ما لم يدلَّ عليها المقامُ، فيُفيد التعظيم والتفخيمَ.

٢٠. تُحذَفُ الجُملة الفِعلية؛ لتَخييلِ المستقبل حاضرًا حيًّا؛ ليكون التأثيرُ أبلغَ، والخيال واقعًا، والشكُّ يقينًا.

٢١. يَكثُر حذف الشَّرط بعدَ الأمر بالقولِ، وتقديرُ لامِ الأمْر مع الفِعل المضارع؛ لأن المطلوبَ الاستزادةُ مِن الفعل ممن كان مُتلبسًا به، لا طلبُ إيجادِ الفِعل بصيغة الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾، ويُحذَفُ جواب (لو) للتهويلِ والتفخيم والتعظيمِ؛ لِتذهَبَ النفسُ فيه كلَّ مذهبٍ.

٢٢. إذا كان في المقسَمِ به دلالةٌ على المقسَمِ عليه، فحذْفُ الجوابِ أبلغُ وأوجزُ؛ لتتَّسِع الدلالة في المقسَمِ عليه.

٢٣. يَكثُر حذْف الجُمَلِ في سياق القصصِ القرآني، وذلك عائدٌ إلى المشاهِدِ المرادِ إظهارُها وتسليطُ الضوء عليها بما يخدُم غرضَ السياق، وعلى ذلك فقد تختلِف الجُمَلُ المحذوفةُ في القصة نفسِها باختلاف السياقِ.

٢٤. أنَّ استخدام اسمِ الإشارةِ في موضع الاستئنافِ على تقديرِ سؤالٍ محذوف أبلَغُ؛ لأنه أظهرُ في التنويهِ بالصِّفات المشار إليها وبالحكمِ الناشئ بعدَ اسم الإشارةِ.

٢٥. اعتنى ابنُ عاشور بنسبة الأقوال إلى أصحابِها، وعلَّل ترْكَ العزوِ في بعض المواضعِ إلى تجنُّب الإطالةِ، والرغبة في الاختصارِ.

٢٦. عندما ينقُل ابن عاشور رأيًا إمَّا أن يُعلِّق عليه باستحسانٍ وموافقةٍ، وإما نقْد وتصحيحٍ ومناقشة لبيانِ الخطأِ.

٢٧. أحسَنَ ابنُ عاشور توظيفَ الشِّعر بما يخدُم الغرض المرادَ بيانُه، بل يعمد أحيانًا إلى شرح بعض مُفرداته ووجهِ الاستشهاد به، أو ربما نقَل شيئًا من شروحات الأبياتِ متى ما احتاج لذلك.

**ولله الحمدُ من قبلُ ومن بعدُ..**

## ٣- قائمة المصادر والمراجع

**المصادر:**

١. **القرآن الكريم بالرسم العثماني**، رواية حفص عن عاصم، طبعة الملك فهد الإصدار الأول.

٢. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

**المراجع:**

١. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢. **أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر ابن عاشور في كتابه: (التحرير والتنوير)**، مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.

٣. **أساليب بلاغية: الفصاحة – البلاغة – المعاني**، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

٤. **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: د/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي- القاهرة.

٥. **أسرار التكرار في القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.

٦. **الإيضاح في علوم البلاغة**، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة.

٧. **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر

الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٨. **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩. **بلاغة الحذف في القرآن الكريم**، د/ إبراهيم عبد الفتاح رمضان، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ.

١٠. **البلاغة العربية**، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١١. **تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢. **تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣. **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤. **تفسير الألوسي= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٥. **التفسير البسيط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٦. **تفسير البيضاوي =أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٧. **تفسير التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور**، دراسة منهجية ونقدية، د/ جمال محمود أبو حسان، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ.

١٨. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل = تفسير الزمخشري**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٩. **التفسير الكبير =مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٠. **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢١. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٢. **جمهرة أشعار العرب**، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٣. **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي = عناية القاضي وكفاية الرَّاضي على**

**تفْسير البيضاوي**، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت.

٢٤. **الحذف بين النحويين والبلاغيين**، حيدر حسين عبيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢٥. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٦. **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤ د. ت.

٢٧. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق..

٢٨. **درة التنزيل وغرة التأويل**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى.

٢٩. **دلائل الإعجاز**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٠. **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتحقيق: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣١. **ديوان البحتري**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د. ت، ١٢٤٤هـ.

٣٢. **ديوان الصولي ضمن الطرائف الأدبية**، صححه: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة

الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.

٣٣. **ديوان العباس بن الأحنف**، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م - ١٣٧٣هـ.

٣٤. **ديوان العباس بن مرداس**، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١م - ١٤١٢هـ.

٣٥. **ديوان القطامي**، دراسة وتحقيق: د. محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

٣٦. **ديوان امرِئ القيس**، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: ٥٤٥م)، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٧. **ديوان عمرو بن كلثوم**، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣٨. **ديوان كعب بن زهير**، تحقيق: د/ دوريش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

٣٩. **ديوان مالك بن الريب**، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ١٥، ربيع الأول ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٤٠. **ديوان النابغة الذبياني**، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٢. **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

٤٣. **شرح ديوان الحماسة**، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت:

٥٠٢هـ)، دار القلم، بيروت.

٤٤. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٥. **الصناعتين**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤٦. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٤٧. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤٨. **علم المعاني**، عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٩. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٥٠. **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

٥١. **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٥٢. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٥٣. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٥٤. **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٥. **معجم الشعراء**، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، (ت: ٣٨٤هـ)، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٦. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

٥٧. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٥٨. **مفتاح العلوم**، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٩. **مقاصد الشريعة**، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦٠. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي

بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦١. **النكت في إعجاز القرآن**، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٦٢. **نهاية الأرب في فنون الأدب**، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٦٣. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٢٧هـ.

٦٤. **وظائف الحذف في القرآن**، توفيق البوشخي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة القرويين، مراكش، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ.

## ٥- فِهرس الموضوعات

الإهداء ..... د
شكر وعرفان ..... هـ
ملخص الرسالة ..... و
مُقَدِّمَة ..... ١
تَمهِيد ..... ٧
أولا: الحذف البلاغي ..... ٨
ثانيا: الطاهر ابن عاشور وتفسيره: التحرير والتنوير ..... ١٦
**الفصل الأول: بلاغة حذف الحرف عند ابن عاشور** ..... ٢٤
**المبحث الأول: حذف أحرف المعاني** ..... ٢٥
**المبحث الثاني: بلاغة حذف أحرف المباني** ..... ٤٢
**الفصل الثاني: بلاغة حذف الكلمة عند ابن عاشور** ..... ٤٩
**المبحث الأول: حذف المسند إليه** ..... ٥٠
**المطلب الأول:** حذف المبتدأ ..... ٥٠
**المطلب الثاني:** حذف الفاعـل ..... ٦١
**المبحث الثاني: حذف المســـند** ..... ٧١
**المطلب الأول:** حذف الخـــبر ..... ٧١
**المطلب الثاني:** حذف الفعـــل ..... ٧٧
**المبحث الثالث: حذف المتعلقات** ..... ٨٣
**المطلب الأول:** حذف المفعول به ..... ٨٣
**المطلب الثاني:** حذف المضاف ..... ١٠١
**المطلب الثالث:** حذف المضاف إليه ..... ١٠٩
**المطلب الرابع:** حذف الموصوف ..... ١١٥

**المطلب الخامس:** حذف الصفـــة ..... ١٢١
**الفصل الثالث: بلاغة حذف الجملة عند ابن عاشور** ..... ١٢٦
**المبحث الأول: حذف الجملة الاسمية** ..... ١٢٧
**المبحث الثاني: الجملة الفعليـــة** ..... ١٣٣
**المبحث الثالث: حذف الشرط وحذف القسم وجوابيهما** ..... ١٣٧
**المطلب الأول:** حذف الشـــرط وجوابه ..... ١٣٧
**المطلب الثاني:** حذف جملة القسم وجوابه ..... ١٤٨
**الفصل الرابع: بلاغة حذف الجمل** ..... ١٥٣
**المبحث الأول: حذف الجمل المفيدة** ..... ١٥٤
**المبحث الثاني: حذف الجمل غير المفيدة** ..... ١٦٤
**الفصل الخامس: منهج ابن عاشور في معالجة الحذف ونقده** ..... ١٧٠
**المبحث الأول: منهج ابن عاشور في معالجة الحذف** ..... ١٧١
**المطلب الأول:** العزو والتوثيـــق ..... ١٧١
**المطلب الثاني:** المناقشة والاستدلال ..... **١٧٦**
**المطلب الثالث:** الاختيار والترجيح ..... ١٨٢
**المبحث الثاني: نقد المنهـــــج** ..... ١٨٦
**الخاتمة** ..... ١٨٨
فهرس الآيات القرآنية ..... ١٩٢
فهرس الأبيات الشعرية ..... ٢٠٨
قائمة المصادر والمراجع ..... ٢١١
فهرس الموضوعات ..... ٢٢٢

*3- Ibn Ashour thinks that different opinions concerning one elision may be accepted as long as they don't oppose a sacred text . As a result , he paused long ,talking about object elision , searching motives beyond it and, exploring its depths, clarifying that it is the most types of Elision and it has the vastest dimentions and most motives because, unlike the genitive, if object is elided , nothing can replace it . Thos, he assured that whenever we come upon something elided at one situation and then mentioned at a similar one , this must be a sign that the context is the factor that highlights certain goals In order to be displayed and taken care of at one situation while being neglected and forgotten at another .*

*4- Ibn Ashour thinks the phenomena of genitive eliding is the least , and when it is elided with (kull) meaning:all ,and it is made up using Tanween " PRONOUNCED NOUN " , IT DENOTES generalization , inclusion and encompassion . He adds that the elision of the qualified noun (mawsoof) has been common in (Dunia ,Aakhera) and (Hasana ,Sayyea) meaning: (this world , the hereafter)and (good deed ,sin) because they are very much used and known .He thinks alsi that the qualified noun (mawsoof) should be elided the same as aforementioned , if the adjective is specified only to it,like: (alsafenat ,alrawasy ,aljawary) meaning: (fast horses ,heavy mountains ,sailing ships) while it is rare to elide the adjective when putting the qualified noun " mawsoof " at the same time in place of it , unless the situation context denotes the meaning of glorification and magnification .*

*He thinks that the purpose beyond verbal sentence elision is to imajine the future as present and alive , so as to make the effect stronger , the imajination actual and the probable as certain . And if there is sign in the oath (qasam) to the matter you swear at (moqsam alayh) , eliding the answer (jawab) makes the oath stronger and more abridged , so as the denotation of the matter you swear at gets wider .*

***THESIS IN BRIEF***

*RHETORICAL EFFECT OF ELISION*

*IN AL-TAHER IBN ASHOUR'S*

*QURAN INTERPRETATION ENTITLED*

*"Al-TAHREER Wa Al- TANWEE'*

*PREPARED BY POST GRADOATR STUDENT: NAWF BINT MOHAMMAD IBN ALY AL-SAMAANY*

*THIS Thesis is treating the rhetorical effect of Elision throughout the aforementioned Quran interpretation from the angle of what it performs of several objectives , the Holy Quran employed . So I am displaying the rhetorical aspects , in Ashour's work . that is distinguished when dealing with Elision phenomena,through the following prpcedures: collecting Elision positions in his Quran interpretation ,classifying , analyzing and criticizing them in comparison with scholars before him .Then elucidating his method of treating ELISION , in the Holy Quran , and criticizing it .*

*The research consists of a preface and five chapters: The first of which is on eloquence of letters, according to Ibn Ashour, whether they are semantic or constructive*

*The second is on the eloquence of word Elision , according to Ibn Ashour , at leve of attributed noun elision (musnad elayh)*

*, like the nominal and verbal subjects .And at level of eliding the predicate (musnad) like*

*Predicate and verb elision, and at level of attributives' (Mutaalliqat) elision, like object , .genetive, ablative,aAdjective and the noun it qualifies (mawsoof) . The th[rd chapter is abpot the sentence ' elision, according to Ibn Ashour, whther noun, verb, conditional, or qath sentence.The fourth chapter is on eloquence of elision to complex sentences whether complete or not. The fifth chapter is on the method iBN Ashour followed to treat and criticize Elision .The researcher has concluded the following main results:*

*1- The purposes of using Elision are unlimited ,because they are based on speakers' power of perception and contemplating , let alone that the main objective to use it ia briefing .*

*2- Elision study should be done inside , not outside , the text whether it is verse, surah ,or the whole Quran context ,*